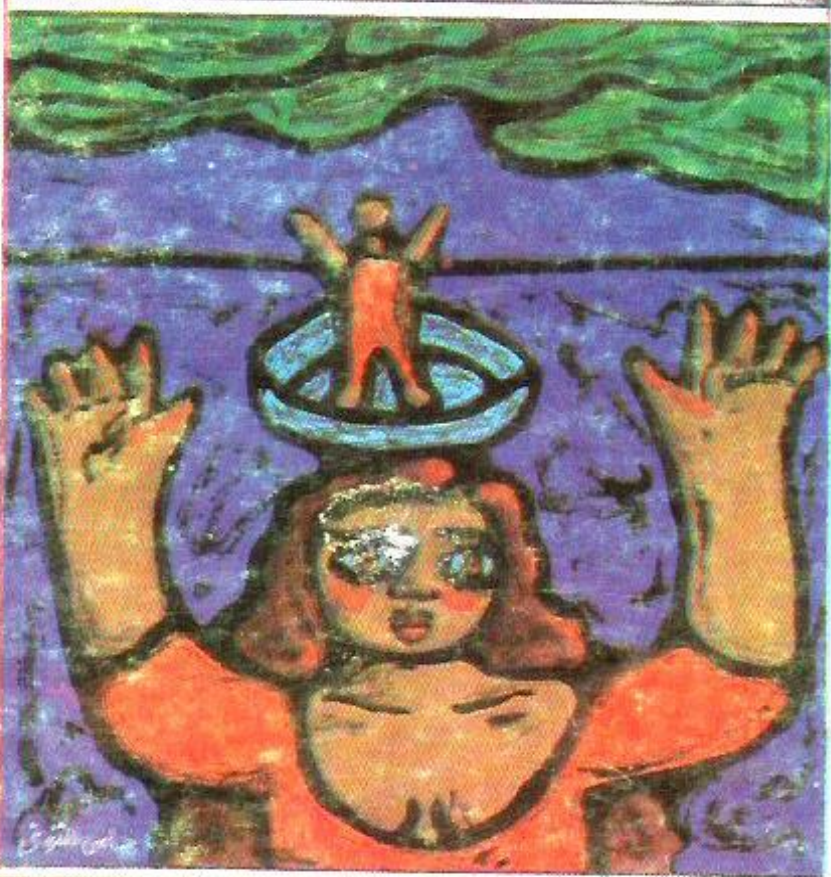


رواية
الجلال

مَيْمُون



تأليف جورجس أمادو. ترجمه شحات مهادق



العدد ٥٧٤
اكتوبر ١٩٩٦ ● جمادى الثانية ١٤١٧ هـ
NO-574-1996

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal



سلسلة
شهرية
لنشر
القصص
العالمى

تصدر عن

مؤسسة دار الهلال

الإصدار الأول:

يناير ١٩٤٩



رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة

عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

سكرتير التحرير

محمود قاسم



ثمن النسخة

سوريا ٢٠٠ ليرة - لبنان

١٢٠٠٠ ليرة - الأردن ٤٦٠٠

فلس - الكويت ٢٥٠٠ فلس

السعودية ٢٥ ريالاً.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عدداً) ٥٥
جنيتها داخل ج م ع تسدد مقدماً نقداً او
بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية
٣٥ دولاراً - امريكا واروبا واسيا وافريقيا
٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٦٠ دولار
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لامر
مؤسسة دار الهلال - ويرجى عدم ارسال
عملات نقدية بالبريد

للاشتراك فى الكويت السيد عبدالعال بسيونى زغلول
الصفا ص ب ٢١٨٣٣ (13079) ت ٤٧٤١١٦٤
الإدارة القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان
سابقاً) ت ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتب ص ب
٦٦ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا
المصور - القاهرة ج م ع

تلكس hilal u n 92703 TELEX

فكس 3625469 FAX

بحر مہیت

تألیف
جورجی آمادو

ترجمة
شحات صادق



دار الملال

هذه هي الترجمة الكاملة لرواية

MAR MORTO

تأليف الكاتب البرازيلي

JORGE AMADO

الغلاف للفنان

حلمي التونى

قبل أن تقرأ

هذه الرواية لا تحتاج الى تقديم

إنها كالبحر المفتوح ما ان تشرع فى السباحة فيه حتى يجذبك الى أغواره، ويشدك الى البشر الذين يعيشون على صفحته ويروعك بكل هذه العلاقات الإنسانية التي نمت وانتهت على نفس الصفحة ولكن

جورجى أمادو يحتاج الى أن نتعرف على عالمه

فرغم أهمية هذا الكاتب، الذى له فى بلاده نفس شهرة لاعب الكرة بيليه فانها المرة الاولى التى تترجم فيها هذه الرواية المنشورة عام ١٩٣٦ باللغة العربية ، كما أنها المرة الاولى التى نقرأ فيها أمادو فى مصر ، وان كان القارئ العربى يعرفه جيداً من رواياته التى نشرت فى لبنان أمادو من الكتّاب البارزين الذين ارتبطوا دوماً بالمكان الذى ولدوا فيه، وعاشوا سنوات حياتهم ، لم يشاؤوا أن يبرحوه إلى مكان آخر ، وقد ظلت مياه بحر باهيا ورمالها التى ولد بها الكاتب عام ١٩١٢ بمثابة المنبع الذى نهل منه أمادو دوماً وقد راح يعبر عن الحياة والناس هناك منذ روايته الاولى «بلاد الكرنقال» عام ١٩٣٢ ، وحتى كتابه الأخير

فى عام ١٩٣٥ نشر أمادو أول رواية من سلسلة أعماله عن باهيا مسقط رأسه بعنوان «چويبابا» وذلك تحت اسم «باهيا كل القديسين» وكانت رواية «بحر ميت» بمثابة العمل الثانى فى هذه السلسلة والتى كتبها اثناء منفاه فى بيونس آيريس ورغم أن المؤلف قد كتبها عام ١٩٣٦ ، فإنه لم ينشرها الا مع بداية الاربعينيات وفى هذا العام ايضا قدم «فرسان الرمل» حول الغلمان الضائعين فى باهيا والذين يشكلون خطراً عليها ثم قدم «لويز كارلوس ، فارس الامل» وهى كلها أعمال كفيفة أن تصنع المجد لصاحبها اما روايته « جابريلا » عام

١٩٥٨ فقد كانت بمثابة الشمس الوضاحة التي أعطته ما يستحق من تقدير وتتابع أعماله ومنها «دونا فلور» و«دروب الحرية السفلية» و«طفل الكاكاو» و«توكايا الكبير»، و«كيف اكتشف الاتراك امريكا» والجدير بالذكر أن للعرب والاتراك مكانة بارزة فى روايات أمادو ويتضح ذلك فى الفصول الاخيرة من روايته «بحرमित»

يقول أمادو فى سيرته الذاتية «الوحدة ليست هى مناخى الخاص فأننا رجل دنيوى، أحب أن أعيش ، وأن اكون مع الناس ، اضحك ، واثرت ، و اكون فى أحسن حالاتى وأنا فى حالة اتصال» وقد علفت زوجته الأدبية «زيليا جاتاي» عن هذا الأمر فى نفس الكتاب قائلة «لا يشعر جورجى أنه على أحسن ما يكون إلا عندما ينشغل بالعمل وهو فى الصالة الرئيسية فهو هناك أفضل حالا ، يجلس فى قاعة الطعام (ولم لا) كى يشغل المائدة ، ويضع عليها آلتة الكاتبة وأوراقه ويبدأ فى الكتابة»

ويرى أمادو ان الكثير من كُتَّاب عصره المتميزين قد انفصلوا عن العالم وكتبوا من وراء الجدران مثل كافكا وبروست أما هو فقد أثر أن يشارك فى الحياة نفسها ، وأن يرتبط بالناس لذا فان ابطال رواياته هم من الذين عاش بينهم ولم يكن أمادو بمثابة ساكن البرج العاجى ، ولا الغرف المليئة بالسجاد، ويعترف الكاتب ان كل الشخصيات التى عرفها القراء وجدت أساسا فى الواقع مثل «دونا فلور» التى تزوجت رجلين فى نفس الوقت

يقول أمادو إنه سار على نهج مكسيم جوركى فبسذاجته يواجه تعقيدات الآخرين ، وبعدها يتصدى للظلم ، ولكن السؤال هو: هل يمكن لكل الآخرين أن يتفهموا معنى الصفاء الذى يتمتع به الكاتب؟ وقد ظلت شخصية الثورى تتماوج فى داخله ، وتدفعه الى الكتابة عن المقهورين من أبناء باهيا ليس القهر هنا سياسيا ، ولكنه حياتى فهؤلاء البسطاء يطلبون القليل من الدنيا ، ويرتضون بما

قسم لهم ولذا فإنهم لا يطمون بالخروج عن دائرة المقاطعة لأن العالم في منظورهم يقف هناك قد يأتي آخرون من عوالم أخرى الى باهيا للاقامة بها باعتبارها منطقة جذب مثلما حدث للعربي في روايته «بحر ميت» ، وفي كتابه «كيف اكتشف الاتراك أمريكا»

اعترف أمادو في مذكراته بتأثير كُتاب بأعينهم عليه ، ورفضه لكُتاب آخرين، فإذا كان قد سخر من الحياة التي عاشها كل من مارسيل بروست، وفرانز كافكا فإنه معجب بالكاتب البرازيلي جيلبرتو فريير صاحب رواية «سادة وعبيد» ، ويقول الروائي الفرنسي «منيك فرناندين» في مقاله عن أمادو ١١ يوليو ١٩٩٦ في مجلة «لونوفيل اوبزرفاتور» «إن جورجى لم يكتب سيرته الذاتية بقدر ما سرد سيرة سياسية لبلاده وكشف الأوجه الاباحية والحسية، والالوان المتباينة للناس والطبيعة فى البرازيل وخاصة باهيا التي تنام فى أحضان البحر انها ارض الكاكاو كما أطلق عليها أمادو فى عنوان احدى رواياته» ويرى فرناندين انه من النادر أن نرى فى عصرنا الحديث كاتباً له نفس قامة ديكنز ويلزك ، وان أمادو قد ارتفع الى نفس القامة - من الواضح أن فرناندين لم يقرأ نجيب محفوظ - فكل هؤلاء عاشوا مع أبطالهم فى أماكن ضيقة لكن هذا لم يعفهم من الرحيل عبر شخصياتهم الى أطراف العالم

وفى سيرته، يقف أمادو عند الذين أعلنوا عليه الخصومة :«أما هؤلاء الذين لم تفوتهم أى فرصة لمهاجمتى ، والذين تجاهلوا قيمة ما بكتبى فانى أقول إن لا أحد منهم قد استطاع الوصول الى المعنى الحقيقى لحدود كتاباتى فأنا كاتب ملىء بالوعى ، ولم أترك الشهرة تفسدنى وأحس أن الشخصيات التي ابتدعتها هى أيضا مثل نغمة فى حياة الشعب البرازيلي قد تطير مع الريح فأنا لست مغروراً ، ولا مدعياً ولكننى ملىء بالكبرياء»

وأهم ما فى مذكرات أمادو أنه قد أعاد الى الأذهان الثنائى الذى تكون بين سيمون دى بوفوار وچان بول سارتر ، وايضا بين الكاتب الايطالى البرتوموراڤيا والسامورانتة قبل أن ينفصلا فالعلاقة الحميمة بين أمادو وزيلياجاتاى تجعل القارىء يحس وكأن كلا منهما يكتب للآخر وكأن لا حدود منفصلة بين اسلوبيهما، ولا بين أفكارهما فهى تكتب عنه قائلة «بعد سنوات عديدة من التواصل عاد جورجى الى الكتابة مع جابريللا التى سببت له المزيد من البهجة وترجمت فور صدورهما الى اللغة الانجليزية وكان الكتاب على قمة المبيعات فى الولايات المتحدة ، وتجولت الرواية فى كل شوارع باريس وهى تتكلم الفرنسية لقد منحته هذه الرواية منزلا فى باهيا ثم جاءت بعد ذلك روايته «البحارة العواجيز» التى أكدت على ما يملكه المبدع من حق اللحم وما لديه من بذور روائية مفروسة فى رأسه لقد ترك أمادو نفسه يوما لنوم عميق كى يمنح نفسه أكبر قدر من الاحلام

لم يستطع الزوجان أن ينفصلا عن باهيا وكتبا عنها كأنها العشيق الثالث فى حياتهما كل منهما يحبها بطريقته الخاصة ويقول الكاتب فى سيرته إن باهيا قد تتحول لدى البعض الى عبارات دلغرافية مدونة فى موسوعة جغرافية تتضمن بعض البيانات السكانية ولكن مدينته بالنسبة له شىء آخر أنها المكان الذى ولد به وسوف يموت به «عندما عدت إليها من سفر طويل وجدت نفسى لأول مرة أتحمس سرج جواد ابى وفراش خوتى وبقايا أوانى أمى كان منزلنا منعزلا عن بقية الديار وبعد بعض الوقت، اكتشفت انه لم تعد هناك شوارع ولا حوارى ، فقد تلاحقت المنازل مثلما يفعل البشر ، وتقارب الناس وانتشرت روائح الكاكاو عبر التوافذ ، ورحنا نسمع ما يدور فى غرفهم المجاورة كانت الشوارع تزيد الناس اقترابا كلما ارتفعت حدة الفقر فيما بينهم »

يمانجا

ملكة البحار والمراكب

عاصفة

الليل يحث ساعاته على الإسراع. لم يعد الرجال ينتظرون عندما هبط الليل على المدينة محملاً بالسحب الكثيفة. لم تكن أضواء الميناء قد أضيئت بعد، ففي حانة «منارة النجوم» لم تكن مصابيح الزيت الفقيرة، التي تضيء زجاجات الخمر قد اشعلت بعد كان عدد كبير من البواخر يمخر عباب البحر عندما حملت الريح الليل الملبد بالغيوم السوداء.

راح الرجال ينظرون لبعضهم البعض كأنهم يتساءلون. كانوا يحدقون في زرقة المحيط وهم يتساءلون من أين أتت هذه الليلة قبل أوانها لم يكن الوقت قد حان. ومع ذلك حل الليل محملاً بالسحب تسبقه ريح المساء الباردة حاجبة الشمس كخارقة مخيفة.

هبط الليل، هذه المرة دون موسيقى ترحب به. لم تكن الأصدااء الرنانة لنواقيس الشفق قد سمعت في المدينة. لم يكن أى زنجى قد خرج بقيثارته إلى رصيف الميناء. وفي المراكب لم تكن أى هارمونيكا تحيي الليل. وحتى فى الشوارع لم تسمع الإيقاعات الرتيبة لـ «الكاندومبيلية» (١) و«الماكومبا» (٢). ولماذا يأتى الليل هكذا لا ينتظر الموسيقى ولا ينتظر دقات النواقيس أو أنغام القيثارة والهارمونيكا والإيقاعات العجيبة للموسيقى المقدسة. لماذا جاء هكذا قبل مواعده، خارج الزمن؟

(١) الكاندومبيلية والماكومبا طقسان زنجيان من أصل أفريقي يمارس خلالهما زنوج البرازيل الرقص والغناء على قرع الطبول. وهما أشبه بالزار فى مصر.

إنها ليلة غريبة تبعث على القلق. تبدو على الرجال امارات التوجس. أما البحار الذى كان يشرب وحيداً فى حانة «منارة النجوم» فقد جرى نحو سفينته كأنه سينقذها من كارثة محققة. وعلى رصيف السوق وقفت امرأة تنتظر السفينة التى تحمل حبيبها بدأت المرأة ترتعش، ليس من البرد الذى تسببه الريح أو المطر، لكن من برد يأتى من قلبها العاشق، مفعماً بهواجس تنذر بالشر، بسبب الليل الذى هبط سريعاً

كان البحار والمرأة الخلاسية معتادين على البحر، ويعرفان تماماً أنه إذا هبط الليل قبل مواعده، فإن رجالاً كثيرين سيموتون فى البحر، وبواخر كثيرة لن تكمل رحلتها، وأرامل سيكبن على رعوس صغارهن. ولأنهما يعرفان ذلك، لم يكن ذلك الليل ليلاً حقيقياً، فالليل الحقيقى ليل النجوم والقمر، ليل الموسيقى والحب. ليل يأتى فى مواعده عندما تدق النواقيس وعندما يعزف أحد الزنوج، فى الميناء، لحناً شجياً على قيثارته. أما الليل الذى جاء محملاً بالغيوم مدفوعاً بالريح، فهو العاصفة التى تحطم المراكب وتقتل الرجال. العاصفة ليل زائف.

ظل المطر ينهمر فى عنف، يوصل الميناء ويبلل الرمال ويرجرج المراكب المربوطة فى المرسى ويفكك الأشياء. هرب كل الذين كانوا ينتظرون السفينة. قال أحد حمالي الميناء لزميله إن العاصفة سوف تهب، ومثل وحش عجيب كان خطاف أحد الأوناش يحمل البضائع ويخترق المطر والريح. أخذ المطر يوسع الجمالين بلا رحمة. وكانت الريح تهب فى سرعة، تصفر وتقلب الأشياء وتخيف النساء. المطر يكتسح كل شئ ويغلق عيون الرجال. الأوناش وحدها هى التى تتحرك فى الظلام. انقلب أحد المراكب الشراعية وسقط رجلان فى الماء. أحدهما كان شاباً قوياً، ربما تتمم باسم معين فى اللحظة الأخيرة. من المؤكد أنه لم يتلفظ بسببه، لأن صوته كان يرن بنعومة فى وسط العاصفة.

انتزعت الريح شراع المركب ودفعتة نحو الميناء مثل خير مشئوم. ازداد حجم الماء وراحت الأمواج تلتطم أحجار الرصيف. وفى ميناء «لينا» أخذت الزوارق تتأرجح لدرجة جعلت الملاحين يقرون عدم معاودة الإبحار فى تلك الليلة إلى مدن الخليج الصغيرة. ارتطم شراع المركب الغارق بحاجز الأمواج، عندئذ انطفت كل مصابيح المراكب، وأخذت النساء يرددن صلوات على الرجلين الميتين، بينما اتجهت عيون الرجال صوب البحر.

ظل الزنجى «روفينو» أمام كأس «الكاشاسا» (١). لم يخرج، وفى العاصفة لن تأتى «إزميرالدا».

أضيت الأنوار لكنها كانت واهنة مرتعشة. كان الرجال الذين ينتظرون السفينة لا يرون شيئاً لقد دخلوا الهناجر فكانوا يميزون بصعوبة أشباح الأوناش والحمالين الذين ينتقلون تحت المطر، ولكنهم لا يرون السفينة التى ينتظرونها التى ستأتى بأصدقاء وأباء واخوة وربما بخطاب. لم يروا الرجل الذى كان يبكى فى الدرجة الثالثة فى سفينة توقفت فى عشرين مرفأ، فالمر كان يختلط بالدموع، وكانت ذكرى المصابيح الصغيرة لقريته تتدافع مع أضواء المدينة الغائمة بفعل العاصفة.

أما المعلم مانويل أكثر البحارة اعتياداً على هذه البحار، فقد قرر ألا يبحر بمركبه فى تلك الليلة، فالجنس جميل فى ليالى العاصفة وجسد ماريا كلارا له نكهة البحر. كانت أضواء الميناء القديم مطفاة، وكذلك مصابيح السفن. كانت الاضاءة مفتقدة فى المدينة، حتى الأوناش توقفت، ودخل الحمالون تحت الهناجر. ومن مركبه «الباسل» (٢)

(١) الكاشاسا مشروب كحولى قوى يقطر من قصب السكر (المترجم).

(٢) اسم المركب. ويفعل عندنا أصحاب المراكب وسيارات النقل والأجرة الشىء نفسه فيطلقون على مراكبهم وسياراتهم أسماء

رأى «جوما» الأضواء تنطفئ فاستولى عليه الخوف، أمسك بالدفة وقاد مركبه الذى مال على جانبه. أولئك الذين كانوا ينتظرون الباخرة ذهبوا فى سيارة نحو أماكن أكثر صخباً الوحيد الذى بقى، كان رجلاً يصافح راكباً هبط من إحدى السفن عابرة المحيطات.

- أكل شىء على مايرام؟

قال الآخر وهو يبتسم

- كل شىء.

نادى الرجل الذى كان ينتظر إلى جوار سيارة، وذهب الاثنان فى صمت.

لا بد أن الأصدقاء ينتظرونهما الآن.

توقف الرجل الذى كان مسافرا بالدرجة الثالثة يشاهد المدينة ذات اللغة والعادات الغريبة انه يضم إلى صدره حافظه نقوده الخالية تقريباً، واتجه بحقيبة سفره إلى أول حارة قابلته. وأصبح الميناء خالياً

ليفيا «وحدها، نحيفة شعرها الناعم يلتصق بوجهها بفعل المطر، ظلت أمام رصيف المراكب تنظر إلى البحر. تسمع تأوهات الحب الصادرة عن «ماريا كلارا». لكن أفكارها وعينيها كانت مشدودة نحو البحر. تهزها الريح كما لو كانت عود قصب، والمطر يلسعها فى وجهها وساقها ويديها لكنها ظلت بلا حراك، وقد أحنّت جسمها إلى الأمام، تحدى بعينيها فى الظلام لعلها ترى المصباح الأحمر «للباسل» يعبر العاصفة ليضىء ليلة بلا نجوم، ويعلن عن وصول «جوما».

أغنيات الميناء

فجأة، مثلما جاءت سريعة، رحلت العاصفة إلى بحار أخرى لتبتلع مراكب أخرى. كانت «ليفيا» تسمع تأوهات «ماريا كلارا». لم تعد صرخات اللذة والألم الحادة، صرخات حيوان جريح تخترق العاصفة في تحد. وفوق المدينة، فوق الميناء والبحر يمتد الليل الحقيقي، ليل النجوم والقمر وفي مركب المعلم «مانويل» كان الحب حلواً هادناً كانت تأوهات «ماريا كلارا» مثل شهقات الفرح، تتم في كتمان تقريباً، كأنشودة. حولت «ليفيا» عينها، للحظة، عن البحر، وأنصتت إلى هذه التأوهات. عما قريب يصل «جوما»، ويعبر «الباسل» الخليج. سوف تضمه بذراعيها السمراوين ويدأوهأس من الحب. توقفت العاصفة، ولم تعد خائفة. لن تمكث كثيراً بانتظار رؤية الضوء الأحمر لقنديل المركب يومض فوق البحر. راحت الأمواج تضرب أحجار الرصيف فتتهتز المراكب في رفق. وعلى البعد كانت الأضواء تنعكس على أسفلت المدينة المبلل. مجموعة من الرجال لم يعودوا متعجلين أو خائفين استقلوا المصعد الكبير (١).

استدارت «ليفيا» ناحية البحر. منذ ثمانية أيام لم تر «جوما». انها تنتظر بالبيت الصغير في الميناء. هذه المرة، لاتعرف نتيجة المغامرة التي تتجدد دوماً مع كل رحلة في الخليج وفي النهر الهادئ. كان من الأفضل أن تكون معه على متن المركب عند هبوب العاصفة. كان سيخاف على حياة صاحبه، ولكن «ليفيا» لم تكن لتخاف لأنها معه. فهو يعرف كل دروب البحر، عيناه في قوة عدة مصابيح، ويدها على الدفة واثقتان.

لن يتأخر في الوصول. سوف يعود وقد بللته العاصفة، يروي حكايات، مبتسماً، منتفخ العضلات. على ذراعه اسم «ليفيا» وسهم مرسوم بالوشم.

(١) تنقسم «باهيا» إلى قسمين المدينة السفلى «حى الميناء» والمدينة العليا ويربط بينهما مصعد كهربائي عملاق هو مصعد «لاسيردا»

ابتسمت، استدار جسدها الطويل الأسمر ناحية تأوهات «ماريا كلارا». الظلام يسود الميناء. هنا أو هناك يومض مصباح فوق المراكب، ولكنها تعرف تماماً مركب المعلم «مانويل» الذى تنبعث منه التأوهات. المركب مربوط بالرصيف، يتأرجح فوق الأمواج. وبداخله رجل وامرأة يمارسان الحب وتصل تأوهاتهما إلى حيث تقف «ليفيا».

عما قريب، ستكون فى مقدمة المركب تحتضن جسد «جوما» القوى وتغطى شعره الأسود بالقبلات، وتحس بطعم البحر فى جسده، وطعم الموت فى عينيه اللتين أفلتتا للتو من العاصفة. ستكون تأوهاتهما أكثر رقة من تأوهات «ماريا كلارا» لأنهما سيكونان مرهقين من طول الانتظار، ومن الخوف الذى انتابها قد تتوقف «ماريا كلارا» عن ممارسة الحب لتنصت إلى موسيقى التأوهات والضحكات التى سوف تنبعث من شفتيها عندما يضمها «جوما» ويأخذها بين ذراعيه اللذين بللها البحر.

مر واحد من أصحاب المراكب وتمنى ليلة طيبة «ليفيا». وعلى مبعده، كانت جماعة تفحص شراع المركب الذى غرق. كان الشراع بالقرب من الرصيف، ناصع البياض ممزقاً. كان بعض الرجال قد ذهبوا للتو فى مركب بحثاً عن الجثتين. أخذت «ليفيا» تفكر فى «جوما» الذى على وشك الوصول، وفى الحب الذى ينتظرها ستكون أكثر سعادة من «ماريا كلارا» التى لم تنتظر، ولم يستبد بها الخوف.

- أتعرفين يا «ليفيا» من الذى مات؟

ارتعبت. لكن هذا الشراع ليس شراع «الباسل». شراع مركبه أكبر بكثير ولا يتمزق على هذا النحو. استدارت «ليفيا» وسألت «روفينو».

- من يا ترى؟

- «رايمونديو» وولده. غرقا بالقرب من المدينة.. كانت عاصفة ملعونة. فكرت

«ليفيا» فى «جوديث»، فهذه الليلة لن تعرف الحب، لا فى بيتها ولا فى مركب زوجها. و«جاك» ابن «رايمونديو» مات أيضا. سوف تذهب إليهم فيما بعد، بعد أن يصل «جوما»، ويكونا قد قتلا من الانتظار. بعد أن مارسا الحب. نظر «روفينو» إلى القمر الصاعد:

- لقد ذهب البعض توأ بحثًا عن الغريقين.

- و«جوديث» تعرف ذلك؟

- سوف أخبرها.

«ليفيا» تنظر إلى الزنجى إنه عملاق تفوح منه رائحة خمر «ماء الحياة» من المؤكد أنه شرب للتوفى حانة «منارة النجوم» لماذا ينظر إلى القمر الصاعد فوق البحر، القمر الذى يضىء كل شىء بأشعة فضية؟ «ماريا كلارا» تتأوه من الحب. لن يكون «لجوديث» حب هذه الليلة. ستعرف «ليفيا» الحب ونكهة البحر بمجرد أن يصل «جوما» مبتلا بسبب العاصفة. يا له من بحر جميل تحت القمر الذى يضىء كل شىء..! لايزال «روفينو» هناك بلا حراك. ومن القلعة القديمة تأتى موسيقى: أحدهم يعزف على الهارمونيكيا ويعنى:

«خُلِقَ الليل من أجل الحب»

صوت قوى لزنجى. «روفينو» ينظر إلى القمر. هو يفكر أيضا أن «جوديث» لن تعرف الحب هذه الليلة، أو أى ليلة أخرى، من الآن فصاعدا... لقد مات زوجها فى البحر.

«تعالوا للحب فوق المياه، فالقمر يضىء...»

سألت «ليفيا» «روفينو»

- ألا تزال «جوديث» تسكن مع أمها؟

- لا، لقد رحلت العجوز إلى «كاشويرا» (١).

(١) مدينة ساحلية قريبة من باهيا.

قال ذلك دون أن يأتى بحركة، ناظراً إلى القمر. زنجى يغنى فى القلعة
القديمة، لكن غناه لن يعزى «جوديث». مد «روفينو» يده
- سأذهب

- سأذهب فيما بعد

- إنه أمر محزن من المؤلم أن أكلهما وأن أقول لها ، مات
حك رأسه ليفيا حزينة لن تعرف جوديث الحب بعد ذلك أبدا ولن
تأتى لتمارس الحب فى البحر عندما يضىء القمر بالنسبة لها لن يكون الليل
من أجل الحب ، بل من أجل الدموع مرر « رفينو » يده فوق جبهته
- تعالى معى يا «ليفيا». ستعرفين كيف تخبرينها

لكن الحب ينتظرها. فعما قريب يصل «جوما» على متن «الباسل»، لن
يتأخر وميض القنديل الأحمر، ولحظة عناق الجسدين لن تتأخر. سيعبر «جوما»
دون ابطاء ، أشعة الضوء التى يلقيها القمر على البحر. الحب ينتظرها:
لا تستطيع «ليفيا» أن تذهب. الآن، بعد الخوف، وبعد أن تخيلت «جوما»
غريقاً، تنتظر الحب، وتنتظر الفرحة وتأوهات العناق. لاتستطيع أن تذهب لتبكى
مع «جوديث» التى لن تستطيع أن تحب بعد الآن.
- سأنتظر «جوما» حتى يصل يا «روفينو».

هل يظن الزنجى أنها بلا قلب؟ ولكن «جوما» لن يتأخر. وأردفت:

- سأذهب فيما بعد...

رفع «روفينو» يده:

- إذن، طابت ليلتك.

- إلى اللقاء بعد قليل...

سار «روفينو» بضع خطوات متكاسلاً، يتطلع إلى القمر، وينصت إلى
الرجل الذى يغنى:

«تعالوا للحب فوق المياه، فالقمر يضىء...»

وعاد إلى «ليفيا»

- أتعرفين أنها حامل؟

- «جوديث»؟

- نعم

ثم ذهب وهو لا يزال ينظر إلى القمر. ومن القلعة القديمة كانت الأغنية

تقول:

«خلق الليل من أجل الحب

كانت «ماريا كلارا» تتأوه وتضحك بين ذراعي رجلها ذهبت «ليفيا» وهي

تكاد تجرى وتنادى «روفينو» الذي يبتعد شبحه:

- سأذهب معك...

سار كلاهما وهي لاتزال تنظر ملياً إلى البحر. من يعرف إن كان القنديل

الذي يضىء من بعيد ليس قنديل «الباسل»؟

«جوديث» خالسية، بطنها مكور تحت الفستان. التزم الجميع الصمت.

يحرك «روفينو» الزنجى يديه فى ضيق، لا يعرف أين يضعهما، ينظر إلى الآخرين

فى دهشة. «ليفيا» التى تتحرك بهدوء، أخذت رأس «جوديث» بين يديها جاء

أشخاص آخرون يقدمون العزاء. وفى أحد أركان الغرفة الكبيرة كانتا تنتظران

الجثتين اللتين ذهب الرجال للبحث عنهما فى البحر. من المكان الذى تجلس فيه

«جوديث» يصدر نحيب متقطع، وكانت يدا «ليفيا» تقومان بحركات موسية. بعد

ذلك، جاء المعلم «مانويل» و«ماريا كلارا» متعبة العينين. لم يعد شىء يذكر

بالعاصفة. إن تتأوه «ماريا كلارا» من الحب. ولكن لماذا تبكى «جوديث». «جوديث»

أرملة. الرجال ينتظرون جثتين.

ود الزنجى «روفينو» أن يخرج من هناك، ويذهب إلى حيث البهجة بين نراعى «إزميرالدا». إنه يعانى من حزن هذا البيت، ومن ألم «جوديث». إنه يضيق دائماً بيديه. يعرف أنه سيعانى أكثر عندما تصل الجثة، ويكون اللقاء الأخير «لجوديث» مع الرجل الذى أحبته وأنجبت منه، الرجل الذى امتك جسدها. احتفظت «ليفيا» برياسة جأشها. لاتزال جميلة. من ذا الذى لا يريد أن يتزوج من «ليفيا» ويكون موضع بكائها عندما يموت فى البحر؟ إنها ، فى هذه اللحظة أخت «جوديث».

وهى أيضاً من المؤكد أنها تريد أن تهرب، وتذهب لتنتظر «جوما» على رصيف الميناء من أجل ليلة تحت النجوم. أصاب ألم «جوديث» الآخرين بالحزن، وفكرت «ماريا كلارا» أنه ربما، ذات يوم، يفرق المعلم «مانويل» فى البحر، فى ليلة عاصفة، وأن تكف «ليفيا» عن انتظار «جوما» لتأتى وتبلغها الخبر. ضغطت بقوة على ذراع المعلم «مانويل» الذى سأله:

- ما بك ؟

يكت، وظل المعلم «مانويل» صامتاً. احضروا زجاجة «كاشاسا». وقادت «ليفيا» «جوديث» إلى غرفتها. تبعتهما «ماريا كلارا» وحلت محل «ليفيا» فى البكاء مع الأرملة، انها تبكى لنفسها أيضاً. عادت «ليفيا» إلى الغرفة الكبيرة. الرجال يتحدثون بصوت خفيض عن العاصفة، وعن الأب والابن اللذين ماتا هذه الليلة

قال زنجى

- العجوز كان رجلاً بمعنى الكلمة.. فى شجاعة ثلاثة رجال...

وبدأ آخر حكاية

- أتذكرون العاصفة التى هبت فى يونيو؟ إيه، نعم ! «رايمونديو»..

فتح أحدهم زجاجة «الكاشاسا». عبرت «ليفيا» من بين الجماعة ووصلت

إلى الباب، كانت تسمع صخب البحر الهادئ، نفس الشيء دائماً، صخب كل يوم. لن يتأخر «جوما»، وسوف يأتي ليبحث عنها عند «جوديث». فى ظلمات الميناء كانت تميز أشرعة المركب. فجأة، استولى عليها نفس الخوف الذى استولى على «ماريا كلارا». وإذا حدث فى ليلة أن جاءها أحدهم وأخبرها أن «جوما» فى قاع البحر، وأن «الباسل» جرفه التيار، بلا دفة أو قائد؟ عندئذ فقط سوف تحس بكل آلام «جوديث»، وتشعر بأنها أختها، وأخت «ماريا كلارا» أيضاً، وأخت كل نساء البحر نوات المصير المشترك: الانتظار فى ليلة من ليالى العاصفة الخبر بموت الزوج. ومن الغرفة سمعت شهقات «جوديث»، إنها تحمل ابنا فى أحشائها ربما تبكى أيضاً ذات يوم موت هذا الابن مفقوداً فى البحر. ومن بين الجماعة التى بالصالة قال رجل:

- لقد أنقذ خمسة... لقد كانت ليلة كنهاية العالم.. رأى كثيرون «ربة المياه» فى تلك الليلة «رايمونديو»...

«جوديث» تنتحب فى الغرفة. ذلك هو مصير كل هؤلاء النساء. النساء فى الجوار ليس لهن إلا طريق البحر. لقد انخرطن فيه لأنه قدرهن. البحر سيدهن. من البحر تأتى كل البهجة وكل الأحزان، لأن البحر لغز لا يفهمه حتى البحارة المسنون... أو أصحاب المراكب الكهول الذين لم يعودوا يبحرون بل أصبحوا يرتقون الأشرعة وهم يحكون الحكايات.

من ذا الذى يستطيع أن يحل لغز البحر؟ فمنه تأتى الموسيقى، ويأتى الحب والموت. ألا يبدو القمر أكثر جمالا فوق البحر؟ إن البحر متقلب مثل حياة رجال المراكب. من منهم أنهى أيامه مثل رجال البر الذين يداعبون أبناءهم الصغار، ويجمعون أسرهم وقت الطعام؟ لا أحد منهم له منهج صارم مثل رجال البر. لكل منهم شىء فى قاع البحر: ابن أو أخ أو ذراع أو مركب غارق أو شرع اقطلعته

ريح العاصفة. ولكن بالمقابل، من ذا الذى لا يعرف أن يغنى أغنيات الحب فى لىالى الميناء؟ من منهم لا يعرف أن يحب بعنف وألم؟ لأنهم فى كل مرة يغنون ويحيون قد تكون المرة الأخيرة. عندما يغاسرون نساءهم لا يقبلونهن فى عجلة كما يفعل رجال البر وهم ذاهبون إلى عملهم. يقومون بوداع طويل، وحركات ممتدة بالأيدي مثل شخص يستقيث.

«ليفيا» تراقب الرجال الذى يصعدون الشارع الضيق، يأتون فى مجموعتين. المصابيح تحيل هذا المشهد الجنائزى إلى مشهد خارق. تضاعف نحيب «جوديث» فى الغرفة كما لو كانت تستشعر وصولهم. يكفى المرء رؤية الرجال رؤوسهم عارية ليفهم أنهم أتوا بالجثتين. مات الأب والابن متعانقين فى العاصفة. لا شك أن أحدهم حاول إنقاذ الآخر فغرق الاثنان فى البحر. ومع كل ذلك، كانت تأتى من القلعة القديمة ومن الميناء، ومن المراكب، ومن مكان بعيد غير محدد أغنية موسية تصحب الجثتين.

«ما أحلى الموت فى البحر...»

بكت «ليفيا» وضمت «جوديث» إلى صدرها، تبكى لأنها متيقنة أن دورها أت، وبور «ماريا كلارا» وكل الأخريات. الأغنية تعبر الميناء وتصل حتى هناك:

«ما أحلى الموت فى البحر...»

لكن حتى حضور «جوما» الذى جاء فى هذه اللحظة مع الموكب - فهو الذى اكتشف الجثتين - لم يثلج صدر «ليفيا».

وحده الغناء الذى لا أحد يعرف من أين يأتى «ربما من القلعة القديمة» قائلاً ما أحلى الموت فى البحر، يذكر بموت زوج «جوديث». الجثتان الآن ممددتان فى الصالة، و«جوديث» تبكى جاثية بجانب زوجها والرجال من حولها، و«ماريا كلارا» يلازمها الخوف من أن يأتى يوم ويغرق «مانويل» أيضاً.

ولكن لماذا تفكر فى ذلك، تفكر فى الموت، وتكون حزينة عندما ينتظرها

الحب؟

تتمدد «ليفيا» فوق متن «الباسل» تحت الشراع المطوى، تراقب رجلها الذى يدخل الغليون فى هدوء. لماذا التفكير فى الموت، فى رجال يصارعون الأمواج، بينما رجلها هنا، نجا من العاصفة، ويدخن غليوناً هو أجمل نجمة فى هذا البحر؟ لكن «ليفيا» تفكر. كم هى حزينة لأنه لا يضمها بذراعيه الموشومتين. تنتظر واضحة يديها تحت رأسها ويظهر نصف ثديها من تحت فستانها الذى يرفعه نسيم الليل ويحركه المركب المتأرجح.

«ليفيا» تنتظر، انها جميلة فى هذا الانتظار. بل أجمل امرأة فى الميناء وفى المراكب الشراعية. ليس هناك صاحب مركب لديه امرأة مثل زوجة «جوما». الجميع يقولون ذلك لـ «ليفيا» وهم يبتسمون. كلهم سيسعدون بامتلاكها بين أذرعهم المفتولة من كثرة الرحلات. لكنها لا تخص سوى «جوما». لقد تزوجته فى كنيسة «مونت سيرات» حيث يتزوج جميع الصيادين والبجارة وأصحاب المراكب الشراعية. حتى البجارة الذين يبحرون إلى بحار بعيدة، فى سفن كبيرة، يأتون للزواج فى كنيسة «مونت سيرات» التى هى كنيستهم القابعة فوق الجبل، تشرف على البحر، تزوجت «جوما» هناك، ومنذ ذلك الحين، فى ليالى الميناء، فى مركبه، فى غرف «منارة النجوم»، على رمال الميناء، كانا يمارسان الحب ويمتزج جسدهما فوق البحر وتحت القمر.

واليوم، بعد أن انتظرت طويلاً فى العاصفة. تشتهيهِ كثيراً لأنها خافت كثيراً، أما هو فيدخل دون أن يفكر فيها. لذلك تتذكر «جوديث» التى لن تعرف الحب، والتى سيكون الليل بالنسبة لها يوماً وقت بكاء. كانت تتذكر: «جوديث» بجوار زوجها، تنظر إلى وجهه، هذا الوجه الذى لم يعد يتحرك، ولم يعد يبتسم،

هذا الوجه الذى غاص تحت الأمواج، وهاتين العينين اللتين شاهدتا «يمانجا» ربة المياه».

«ليفيا» تفكر فى «يمانجا» بغضب، إنها ربة المياه، ومملكة البحار، ولذلك فكل الرجال الذين يعيشون فوق الماء يخشونها ويحبونها، لأنها تطش. لا تظهر أبداً للرجال إلا عندما يسوتون فى البحر. وأولئك الذين يموتون فى العاصفة هم المفضلون لديها وأولئك الذين يموتون وهم ينقذون الآخرين ويذهبون معها بعيداً عبر كل البحار، لا أحد يجد جثثهم لأنهم يذهبون مع «يمانجا». كم واجهوا من أخطار فى البحر مبتسمين من أجل أن يروا ربة المياه فاخفقوا إلى الأبد! أتنام معهم جميعاً فى أعماق البحر؟ «ليفيا» تفكر فيها بغضب. لابد أنها فى هذه الساعة مع الأب والابن اللذين ماتا فى العاصفة، وربما يتصارعان من أجلها، هما اللذان كانا مفاهمين طوال حياتهما عندما أشرف على الموت، كان الأب لا يزال يحاول انقاذ ابنه عندما وجد «جوما» الجثتين كانت يد العجوز تشبث بقميص الابن. لقد ماتا كصديقين حميمين، والآن من يدرى ربما يتشاجران بسبب «يمانجا» - ملكة البحار، المرأة التى يراها الأموات فقط، تسبح «رايمونديو» بالمدينة التى لم يجدها الرجال فى حزامه لأنه كان يحملها ربما يتعاركان فى قاع الماء لمعرفة من منهما سيذهب معها يجوب البحار ويرى مدن الجانب الآخر من الأرض.

«جوديث» التى تبكى، «جوديث» التى تحمل جنينا فى بطنها، «جوديث» التى سوف ينهكها العمل الشاق، «جوديث» التى لن تحب رجلاً بعد الآن، لا شك أنه تم نسيانها الآن، لأن «أم المياه»، ذات الشعر الذهبى الطويل، تتجول عارية تحت الأمواج، لا يغطيها سوى شعرها الذى يمكن رؤيته عندما يمر القمر فوق البحر.

رجال البر - لكن ما الذى يعرفونه رجال البر؟ - يقولون إنه انعكاس أشعة القمر على سطح الماء. لكن البحارة وأصحاب المراكب الشراعية والمراكبية

يسخرون من رجال البر الذين لا يعرفون شيئاً. فهم يعرفون تماماً أنه شعر «يمانجا»، إلهة الماء، التى تأتى لرؤية القمر. من أجل ذلك، يتأمل الرجال البحر الفضى فى الليالى التى يكتمل فيها القمر، لأنهم يعرفون أن «أم المياه» هناك. يعزف الزوج على القيثارة والهارمونيكا ويرقصون على ايقاع «الباتوك» (١). انها الهدية التى يقدمونها إلى ملكة البحار. الآخرون يدخلون الغليون لينبروا طريقهم: هكذا ترى «يمانجا» بصورة أفضل. إنهم جميعاً يحبونها، وينسون النساء عندما تبسط الإلهة شعرها فوق البحر.

هكذا كان «جوما» يراقب سطح المياه الفضى، وهو يستمع إلى أغنية الزنجى التى تدعو إلى الموت. يقول إنه جميل أن نموت فى البحر، فهناك سيجد المرء «أم المياه» التى هى أجمل امرأة فى الدنيا «جوما» ينظر ملياً إلى شعرها ناسياً أن «ليفيا» ممددة بجواره، مظهرة ثديها، «ليفيا» التى انتظرت طويلاً ساعة الحب، «ليفيا» التى رأت العاصفة تدمر كل شىء، تقلب المراكب وتقتل الرجال، «ليفيا» التى خافت كثيراً أرادت «ليفيا» أن تضمه بين ذراعيها وأن تقبله فى فمه لتعرف ما إذا كان يخاف عندما تنطفئ الأضواء، وأن تحتضن جسده لتعرف ما إذا كانت العاصفة قد بللته. ولكنه فى هذه اللحظة يتناسى «ليفيا». إنه يفكر فى «يمانجا»، ملكة البحار، ربما يرغب فى مصير الأب والابن اللذين ماتا فى العاصفة، واللذين يجوبان الآن ذلك العالم الذى يعرفه البحارة المسنون وحدهم. تشعر «ليفيا» بالكراهية تتصاعد داخلها استولت عليها الرغبة فى البكاء، أن تتوه فى البحر، أن تذهب بعيداً جداً

مر مركب. نهضت «ليفيا» مستندة على ذراعها لتتمكن من الرؤية بصورة

أفضل. صاح أحدهم:

(١) نوع من الطبل الأفريقى

- مساء الخير يا «جوما»!

رد «جوما» التحية وأشار بيده

- رحلة سعيدة!

تطلعت «ليفيا» إليه. الآن، بعد أن حجبت الغيوم القمر وهربت «يمانجا»،

أطفأ غليونه وابتسم. اضطربت من الفرح، أحست بذراعيه. قال «جوما»:

- ترى أين يغنى هذا الزنجي؟

- يبدو أنه فى القلعة القديمة.

- أغنية جميلة.

نظر «جوما» إلى البحر:

- نعم سيكون الأمر شديد الوطأة عليها، مع طفل فى بطنها.

انقبض وجهه وهو ينظر إلى «ليفيا» إنها جميلة عندما تعرض نفسها

هكذا. ليست لها يدان خشتتان من جراء العمل الشاق. إذا مات فى البحر لابد

لها من اللجوء إلى رجل آخر لتعيش. ملأته هذه الفكرة بغضب صامت. صدر

«ليفيا» يظهر من تحت فستانها كل الرجال فى الميناء يرغبونها. الكل يريد

امتلاكها لأنها أجمل النساء. وإذا راح هو الآخر مع «يمانجا»؟ يريد أن يقتلها هنا

حتى لا تكون لرجل آخر أبداً.

- وإذا غرقت يوماً وكنت طعاماً للأسماك؟

وبدت ضحكته متكلفة.

اخترق صوت الزنجى الليل من جديد:

«إنه حلو ، الموت فى البحر...

- هل سستهكين نفسك فى عمل شاق؟ أم ستهبين مع رجل آخر؟

كانت خائفة فبكت. كانت تخشى أيضا أن يجيء يوم ويغرق رجلها فى قاع

البحر حيث لا يعود أبداً ويذهب مع «يمانجا» - ملكة البحار، وإلهة الماء - يجوبان البحر والبر. نهضت وأحاطت عنق «جوما» بذراعيها:

- إننى خائفة اليوم، انتظرت على حافة الرصيف، خيل لى أنك لن تعود أبداً اقترب منها إنه يعرف كم انتظرت «ليفيا» وكم كانت خائفة، اقترب من ذراعيها. كان الرجل يغنى على البعد:
«ما أحلى الموت فى البحر...»

تحت ضوء القمر، لم يعد يبرق شعر «يمانجا» ملكة البحار. وكان الذى قطع غناء الزنجى أهات الحب التى تصدر من «ليفيا» امرأة الميناء التى يرغبها الجميع، والتى كانت فى مقدمة المركب «الباسل» تمارس الحب مع رجلها بكل قوتها، لأنها خافت ولاتزال تخاف عليه.

الآن، أصبحت رياح العاصفة بعيدة، وغيوم الليل الزائف تجثم على موانئ أخرى، وسوف ترحل «يمانجا» مع جثث أخرى، نحو بحار أخرى. البحر هادئ مطمئن. البحر صديق أصحاب المراكب الشراعية. أليس البحر دريهم وطريقهم وبيتهم جميعاً؟ أليس فى البحر، وعلى متن مراكبهم يمارسون الحب وينجبون أبناءهم؟

نعم، «جوما» يحب البحر، و«ليفيا» أيضاً تحبه. فى الليل، البحر جميل، أزرق، زرقه بلا نهاية، مرآة للنجوم، تغطيه قناديل المراكب الشراعية وبصيص غلايين التبغ المشتعلة، ويملؤه صخب الحب.

إن البحر صديق صديق حلو لأولئك الذين يعيشون فيه. أحست «ليفيا» بنكهة البحر فى جسد «جوما» كان «الباسل» يتأرجح مثل شبكة.

أراض مجهولة

انطلق صوت دافىء قوى لدرجة أنه غطى على كل أصوات الليل الأخرى. جاء الصوت من القلعة القديمة، وامتد فوق البحر وفوق المدينة. لم يكن ما قاله بالشئ الطيب، انه يميت قلب الرجال. كان لحناً ناعماً حزيناً أرغم الناس على الحديث همساً. فى هذه اللحظة راحت كلمات هذه الأغنية القديمة تقول: «بائسة هى المرأة التى ترتبط برجل يعمل فى البحر. لن يكون لها مستقبل سعيد، وحزينا سيكون مصيرها لن تكف عيناها عن البكاء وستخبوان سريعاً من كثرة التحديق فى البحر بانتظار وصول الشراع. «كان صوت الزنجى يغطى الليل.

العجوز فرانثيسكو يعرف هذه الأغنية وهذا العالم المرصع بالنجوم التى تنعكس على صفحة البحر. وإلا فما فائدة أربعين عاماً أمضاها فى المركب الشراعى؟ لم تكن النجوم فقط التى يعرفها. كان يعرف أيضاً كل صخور ومنحنيات وممرات الخليج ونهر «الباراجواى» (١) ، وكل موانئ هذه المناطق، وكل الأغانى التى يغنونها هناك. وسكان هذه المنطقة من النهر والمناطق المجاورة أصدقاؤه. يقول البعض إنه، ذات مرة، فى الليلة التى أتقذ فيها كل الركاب فى مركب صيد، رأى شبح «يمانجا» التى ظهرت له على سبيل المكافأة. عندما يتحدثون عن ذلك - وكل شخص مستجد من أصحاب المراكب الشراعية يسأل العجوز فرانثيسكو إن كان ذلك قد حدث حقيقة - يكتفى بالابتسام ويعلق:

- يقولون أشياء كثيرة فى هذه الدنيا يا ولدى...

وهكذا، لا أحد يعرف إن كان ذلك حقيقة أم كذباً والمرجح أن يكون ذلك صحيحاً. إن «يمانجا» غريبة الأطوار، وإذا كان هناك من هو جدير بأن يراها ويحبها. فهو العجوز فرانثيسكو الذى يعيش فى هذا الميناء منذ زمن لا يعرف

(١) ينبع هذا النهر من «ماتوجروسو» فى البرازيل وينتهى فى الباراجواى ويبلغ طوله

٢٢٠٦ كم (الترجم)

أحد قدمه. ومع ذلك. فهو يعرف، أفضل من كل الصخور والمسافرين والقنوت، تاريخ هذه المياه وأعياد «يمانجا» والسفن الغرقى والعواصف. فهل هناك حكاية لا يعرفها العجوز فرانثيسكو؟

عند هبوط الليل، يغادر مسكنه الصغير، ويأتي إلى رصيف الميناء. يتخطى الوحل الذى يغطى الأسمنت، ويخوض فى الماء ، ثم يقفز إلى أحد المراكب. عندئذ يطلبون منه أن يروى الحكايات والمغامرات. لا أحد مثله يعرف هذا القدر من المغامرات.

واليوم يتعيش من رتق الأشرعة ومما يعطيه له «جوما» ابن أخيه. كان فى وقت من الأوقات يمتلك ثلاثة مراكب شرعية أغرقتها رياح العاصفة. لكن الرياح لم تستطع قط أن تهزم العجوز فرانثيسكو. كان يعود دائماً إلى الميناء وأسماء المراكب الثلاثة موشومة على ذراعه اليمنى وكذلك اسم أخيه الذى مات هو الآخر فى العاصفة. ربما يكتب، ذات يوم، اسم «جوما» إذا خطرت فكرة عشق ابن أخيه بذهن «يمانجا» والحق يقال، كان العجوز فرانثيسكو يضحك من كل ذلك. إنه مصيرهم الهلاك فى البحر وإن كان هو نفسه لم يغرق فى البحر فلأن «جانينا» لم ترد ذلك. لقد فضلت أن يراها وهو حى، وأن يبقى ليتحدث إلى الشباب، يسدى لهم النصائح ويروى الحكايات.

وما الفائدة إذن فى أن يبقى هكذا يرتق الأشرعة، ويتفرج على ابن أخيه، بلا نفع، ولا قدرة على الإبحار لأن ذراعيه لم تعد بهما قوة، ولأن عينيه أصبحتا لا تميزان شيئاً فى الليل؟ لقد كان من الأفضل أن يبقى فى قاع البحر مع مركبه «نجمة الصباح» أسرع مراكبه، الذى غرق ليلة عيد القديس «سان خوان». إنه الآن يرى الآخرين يرحلون ولكنه لا يرحل معهم.

كان يراقب «ليفيا» وقد استبد بها الخوف أثناء العاصفة، ويساعد فى دفن من ماتوا مر وقت طويل منذ أن عبر الخليج لآخر مرة، يده على الدفة، وعيناه

تثقبان الظلمة، يحس الريح تلمح وجهه، يجرى بمركبه نحو صوت أغنية يأتي من بعيد.

اليوم، يغنى زنجى أيضاً المصير المحزن لزوجات من يعملون فى البحر. ابتسم العجوز فرانثيسكو. هو الذى دفن زوجته. قال الطبيب إنها ماتت بالقلب. ماتت فجأة، ذات ليلة، عندما عاد من العاصفة، ألقّت بنفسها بين ذراعيه، وعندما نظر إليها، لم تعد تتحرك، كانت قد ماتت. ماتت من الفرحة عندما رأته عائداً. قال الطبيب إنه القلب. كان «فريديريكو» والد «جوما» هو الذى غرق تلك الليلة. لم يعثر أحد على جثته لأنه مات كى ينقذ «فرانثيسكو»، ولذلك فقد رحل مع «يمانجا» نحو بلاد رائعة. نعم، أخوه وزوجته هلكا فى نفس الليلة. بعدئذ قام بتربية «جوما» فى مركبه، فى البحر حتى لا يخاف. أم «جوما» التى لا يعرفها أحد، جاءت ذات يوم وطلبت الطفل:

- حضرتك السيد فرانثيسكو؟

- نعم أنا، أية خدمة...؟

- ألا تعرفنى؟

- كلا، لا أعرفك... «وضع يده على جبهته يفكر فى معارفه القدامى» كلا..

لا أعرفك، اعذرني.

- لكن «فريديريكو» كان يعرفنى جيداً

- هذا ممكن جداً لأنه كان يبحر كثيراً فى سفن «باهيانا» (١) فى أى

منطقة عرفك؟

- بقرب «أراكاجو» ياسيد فرانثيسكو. جاء إلى هناك ذات يوم. حدث

بالمركب ثقب كبير فى جانبه. وصل بمعجزة...

- أتذكر ذلك، إنها منطقة «الماراو»... كانت رحلة شاقة كما حكى لى

«فريديريكو». أهنالك تعرف بك؟

(١) اسم شركة الملاحة فى «باهيا».

- مكثت السفينة هناك شهراً ، وأمضى معى وقتاً جميلاً
- إنه خلاسى ، زير نساء ليس له مثيل
ابتسمت فكشفت عن أسنانها المسوسة
- قال لى أشياء كثيرة قال إنه سيأخذنى ويؤث لى بيتاً، ويشترى لى
الثياب والطعام... تعرف أن ذلك

قام العجوز «فرانشيسكو» بمبادرة. كانا بالقرب من الرصيف، وفى السوق
المجاور، كانوا يبيعون برتقالاً و«أباكاشى» (١). جلسا فوق الصناديق. وتابعت
المرأة:

- كان سبب شقائى عندما قال إنه لم يرحل فى السفينة. لكن عندما
أصلحوا الثقب، قفز فى السفينة حتى دون أن يودعنى...

- لن أقول إنه أحسن صنعاً، لا، فهو من دى ولحمى، لكن.. قاطعته:
- لا أريد أن أقول إنه كان سيئاً. كان قدرى، وكان على أن أذهب معه
حتى وأنا أعرف أنه جاحد، كنت مفتونة به تماماً كانت تنظر إلى العجوز
فرانشيسكو الذى كان يتسأل عن سبب مجيئها بعد كل هذه السنين. ربما بحثاً
عن المال، ولكنه لا يملك مليماً، وليس لديه ما يعطيه... لقد كان «فريديريكو» دائماً
زير نساء.

- قال إنه سيبعث بمن يحضرنى، هل بعثك؟ «ابتسمت» هذا ما فعله
معى. وعندما كبر بطنى. وكان على أن أوضح كل شىء، غضبت أمدى، وأبى الذى
كان رجلاً قاسياً، عندما عرف الأمر، برك فوقى وبيده سكين كبير كان يريد أن
يعرف المتسبب فى ذلك ليصفى حسابه معه، وأحدث بى هذه العلامة فوق ركبتى،
ضربنى فيها بالسكين.

لماذا تكشف فخذها هكذا؟ لن يذهب فرانشيسكو مع امرأة أخيه لأن
ذلك شر يستوجب القصاص.

(١) نوع من الأناناس

- لم أكن أعرف إلى أين أذهب. منحتني أسرة «إشيبيني» عملاً، وذات يوم، وأنا أعد المائدة، جاعتني آلام المخاض.

عندئذ فهم فرانشيسكو

- «جوما»؟

- لقد كان «جومير سيندو». نعم. إنه إشيبيني الذي أسماه على اسمه. دبرت مبلغاً صغيراً وحملت الطفل إلى «فريديريكو». كان وقتها مع امرأة أخرى، احتفظ بالطفل ولكنه لم يرغب في معرفة أى شيء عنى.

ساد الصمت من جديد. راح فرانشيسكو يتأملها ليعرف ماذا تريد. لم تكن معه نقود في هذا اليوم. وأن يضاجع امرأة أخيه فشىء لا يستطيع فعله.

- عندئذ، بقيتُ بالقرب من هنا. خجلت من أن أعود، إننى فقيرة لكن لى كرامة، أليس كذلك؟ لم أرغب فى أن أكون امرأة ساقطة فى بلدى، ووالدى رجل محترم، إنه حتى جعل من أحد اخوتى طبيباً بعد أن تسكنت هنا وهناك، لقد مر وقت طويل...

أشارت بيدها نحو المركب. ومن السوق كانت تتسامع المساومات ولغط المحادثات وتتعالى الضحكات.

- منذ ثلاثة أيام فقط جئت من «ريسيفيه». كنت أعتزم رؤية الصغير. إنه أحد الأصدقاء الذى أخبرنى أن «فريديريكو» مات منذ عامين. والآن، جئتُ أبحث عن ابنى... سوف أقوم بتربيته...

لم يعد «فرانشيسكو» يسمع اللغظ الصادر عن السوق. لم يسمع إلا هذه المرأة التى تقول إنها أم «جوما» جاءت تبحث عنه. لا يريد أن يتناقش مع امرأة، فالمناقشة مع امرأة لا تنتهى أبداً، ولكن عليه أن يتناقش لأنه لا يريد إرجاع «جوما» الذى أصبح بمقدوره امسك دفعة مركب، وحمل كيس دقيق بذراعيه الصغيرتين. كان فرانشيسكو معتاداً على مناقشة رجال الميناء الخشنين، من

أصحاب المراكب الذين يمكنه اهانتهم، لأن بإمكانهم الدفاع عن أنفسهم، وإذا أفلتت كلمة بذينة فإنه لا يستاء.

ولكن مع امرأة، وبالذات امرأة كأُم «جوما»، تضع العطور وترتدى الحرير، وتمسك بيدها مظلة، ولها سن ذهبية، لا يعرف كيف يتناقش. إذا أفلتت منه كلمة جارحة فمز: الممكن أن تبكى، وهو لا يحب أن يرى امرأة تبكى. وفوق ذلك، فلم يعاملها أخوه معاملة حسنة، ولكن هل بمقدور البحارة العيش وهم يفكرون فى النساء اللاتي تركوهن فى الموانئ؟ أليس الأسوأ أن يتزوجوهن ويتركوهن أرامل، أو حتى يمتن بالقلب عند رؤية أزواجهن يعودون سالمين من العاصفة؟ نعم، إن ذلك أسوأ لن يتزوج «جوما». سيظل دائماً حراً فى مركبه. وإذا ذهب مع «يمانجا» عندما يريد، فلن يكون له مرسى يربطه بالبر. إن الرجل الذى يحيا فى البحر لا بد أن يكون حراً

ولكن ما عساه أن يصبح «جوما» إذا أخذته هذه المرأة؟ ربما يصبح نجاراً أو بناء، وربما يصبح طبيباً أو حتى قساً يرتدى ملابس كملايس النساء، من يدري؟ اكتسى وجه العجوز فرانثيسكو بالخلج وهو يفكر فى مصير ابن أخيه، ولم يبق أمامه إلا أن يذهب، ذات ليلة، لمجابهة «يمانجا» فى البحر، كلا لن يترك هذه المرأة تأخذ «جوما» لأى سبب من الأسباب.

دهشت المرأة لهذا الصمت، جاءت أصوات من السوق:

– إنه باهظ الثمن لدرجة مخيفة!

وعلى مبعده كانت تدور محادثة

– عندئذ، أطلقت طلقتين واكتفيتُ فقط برؤية الخلاسى يهرب – لكن لأن

الرجل لا بد أن يكون رجلاً، فضلتُ الشهامة على الثروة وذهبتُ...

ضحك العجوز فرانثيسكو:

– أتعرفين ياسيديتى، إنك لن تأخذى الطفل، لن تأخذه، ماذا ستفعلين به؟

كان ينظر إلى المرأة منتظراً إجابة، لكن وجهه كان يقول إنه ما من قوة في هذا العالم باستطاعتها انتزاع «جوما» منه. رفعت المرأة يدها بإشارة غامضة وأجابت:

- أنا نفسي، لا أدرى شيئاً... أريد أن أخذه لأنه ابني، وبلا أب... فحياة المومس أنت تعرفها... اليوم هنا، وغداً هناك... ولكن إذا ظل هنا سيحدث له ما حدث لأبيه.. سيموت غريقاً ذات يوم...

- وإذا رحل معك؟

- سأدخله مدرسة. سيتعلم القراءة، وربما يصبح طبيباً مثل خاله، أخي...

لن يموت غريقاً

- ولكن ياسيدي ، إن المصير شيء يتقرر هناك، في الأعلى... إذا قُدر له أن تأخذه «يمانجا» فلن يعرف كيف يتجنبها. إذا بقي هنا فسوف يصير رجلاً بحق. وإذا ذهب معك، فسيكون مثار شفقة أكثر من السكيرين.

- حضرتك الذى تقول ذلك.

- أين ستجدين المال لتعلميه؟ إن المومس، كما أعرف ، يوم معها ويوم آخر

ليس لديها شيء... لقد قلت إنك اليوم هنا، وغداً هناك...

نكست رأسها لأنها تعرف أن ذلك حقيقة. فاصطحاب ابنها سيجلب له أبلغ مهانة، لأن الناس جميعاً يعرفون أن أمه امرأة ساقطة ، وأينما ذهب، فى الشارع، فى المدرسة، فى أى مكان، فلن يستطيع أن يقول شيئاً فى مواجهة الإهانات. ومن السوق جاء صوت الرجل الذى كان يروى المغامرة:

لم أر إلا سكيناً لمع، أكبر من سكين تقطيع السمك. رفعت كوعى

وركبتى أمامى. لم يكن منظرًا تُستحب مشاهدته...

من الأفضل أن يبقى هنا، ليتعلم قيادة المركب إلى الموانئ، وينجب أطفالاً

من نساء مجهولات، وينتزح السكين من أيدي الرجال، ويشرب فى الحانات،

ويرسم قلوباً بالوشم على زراعته، ويخترق العاصفة، ويذهب مع «يمانجا» عندما يأتى بوره، لن يسأله أحد من هى أمه.

- ولكن أيمكننى رؤيته من وقت لآخر؟

- فى كل مرة يحدثك فيها قلبك.

الآن، يشعر فرانثيسكو بالألم، فهو ليس بألم، وحتى لو كانت ساقطة كيف لا تحب أطفالها؟ حتى أنثى الحوت، التى هى حيوان بلا عقل، تدافع عن صغارها ضد الصيادين وتموت من أجلهم.

- اليوم يمكنك رؤيته. سيعود فى الليل من «إيتاباريكا» بالمركب. سنذهب

بمجرد

بدا القلق على وجهها:

- أيزهد الآن وحيداً فى المركب؟

- من «إيتاباريكا» إلى هنا فقط. لكى يتعلم إنه الآن رجل.

تألق وجهها بالزهو، فابنها الذى يبلغ الحادية عشرة فقط يقود الآن مركباً ويبحر فوق الماء كرجل. سألت بصوت طفولى خرج من أعماق قلبها:

- أيشبهنى؟

كان العجوز فرانثيسكو ينظر إلى المرأة التى، على الرغم من أسنانها الموسسة، كانت جميلة، وكانت لها سن ذهبية لتعوض هذا العيب. كان العطر يفوح منها غريباً فى هذا الميناء الذى يفوح برائحة السمك. وكان لشفتيها المطليتين لون الدم وكأنتهما معوضتان. ذراعاها المرفوفتان تسقطان بجانب جسدها، أنزلتها الحياة وهى لاتزال صغيرة، صغيرة على أن تكون أم «جوما». ومع ذلك، فمنذ إحدى عشرة سنة تواجه الحياة، وتعاشر الرجال وتضاجعهم، وتمنح نفسها للكثيرين. وعلى الرغم من ذلك، لاتزال تغرى أحدهم، لو لم تضاجع «فريديريكو»!
- نعم ، يشبهك. إن عينيه مثل عينيك تماماً. ونفس الأنف أيضاً...

ابتسمت، فهذه بحق أجمل لحظات حياتها ذات يوم، عندما يدوى جمالها تماماً، ويكون الرجال قد استهلكوها كلية، ستعيش شيخوخة آمنة، تعد له الطعام وتنتظر عودته أيام العاصفة، ولن تكون فى حاجة لأن تتبرأ أمامه، فالأبناء يغفرون كل شىء للأمهات العجائز المتعبات اللاتي يظهرن فجأة تركت المرأة نفسها لهذه السعادة تغمرها كان فمها يبتسم، وعيناها تبتسمان، وكانت حركاتها مرحة، حتى هذا العطر الفج الذى يذكر بجو الكباريات اختفى، ولم تبق إلا رائحة البحر والسلم المملح.

فى حوالى التاسعة، وصل «جوما» بالمركب «الباسل». رسا بجوار الرصيف الصغير، كور يديه حول فمه وصاح:

- أوه ! عمى، عمى

إنى أت

سمع «جوما» أصواتا تقترب. أحدهم قادم مع عمه: غير معروف له، لأنه يعرف الأصوات من بعيد. وصاح المعلم «مانويل» من مركبه:

- إنها زيارة لك أيها الصغير!

من سيأتى مع عمه؟ الصوت يدل على أنها امرأة. أكون عمه قد جاء بامرأة لينام معها؟ فمنذ وقت طويل، كان «فرانثيسكو» ورجال آخرون من الميناء قد بدأوا يلمحون إلى موضوع النساء، وتوعده عمه بأن يأتى بامرأة ويتركه وحده معها فى المركب، وسط البحر:

- أود أن أرى ما ستفعله أيها الأبله!...

انفجر الجميع فى الضحك وكانوا يغمزون لبعضهم.

- ها قد أصبح «جوما» رجلاً هكذا تكلم «انطونيكو». صاحب أحد المراكب، وكأنه لم يجد شيئاً آخر ليقوله.

وقال «رايموندى» الذى كان يخطب بيديه ويضحك كالمجنون:

- لابد أن يذوق ذلك.. إبني «جاك» قضم الثمرة توأ!

كان «جوما» يعرف أن الأمر يتعلق بمضاجعة امرأة، وارضاء غريزته التي تستحوذ عليه خلال أحلامه وتتركه كمن ضُربَ عَلقَة. وفي المدن الصغيرة التي كانوا يتوقفون فيها كثيرا ما كان يمر في الشوارع المشبوهة، لكنه دائما كانت تنقصه الشجاعة ليدخل. لن يقدر أحد عمره بأقل من خمس عشرة سنة، في حين أنه يبلغ إحدى عشرة. من هذه الناحية، لم يكن هناك ما يخشاه. ولكن خشية لا يدري سببها تمنعه من الدخول. كان على يقين أنه سيموت خجلاً عندما تعرف المرأة أن هذه أول مرة بالنسبة له.

يخاف ألا تأتي المرأة، وأن تعامله كطفل صغير، كيتيم ضائع في الشوارع. لا يمكنها أن تخمن أنه يقود بالفعل مركباً. ويرفع كيس دقيق. ربما تسخر منه. لذلك لم يدخل قط.

لكن عمه أتى له بالمرأة الموعودة. سيكون مرتبكاً أمامها. لا شك أن «فرانشيسكو» أخبرها أن «جوما» لم يعرف النساء قط. وأنه ساذج وخجول مع أنه يحمل مدية في حزامه. سيبقى أمامها بلا حراك. وإذا أراد عمه أن يكون حاضراً ليضحك ويسخر من هيئته، فإنه سيرحل ويهرب من الميناء وكله خجل، ولن يبحر بعد ذلك في هذه المياه.

بقلق بالغ راح «جوما» يسمع الأصوات وهي تقترب. ارتعد جسده، ومع ذلك، فانه يرغب في أن يأتيا بسرعة، لأنه يريد أن يصبح رجلاً في أقرب وقت، وأن يعبر لوحده، على متن «الباسل»، كل الأنهار وكل الموانئ والممرات.

اقتربت الأصوات. إنها امرأة، نعم. لقد وفي عمه بوعده. لا شك أنه يخجل من ابن أخيه الذي لم يصبح رجلاً بعد، والذي لايعرف النساء. ولأن «جوما» لم تواته الشجاعة ليدخل عند واحدة منهن، فقد أتى له عمه بواحدة، كما يحمل المرء الطعام لأعمى، وكما يحمل الماء إلى فم أحد المعاقين. إنها مهانة بالفعل، ولكنه

لا يريد أن يفكر فيها الآن. إنه يفكر بأنه بعد قليل سيكون بالقرب منه جسد امرأة. جسد يعرف كل الأسرار. سيطلب من عمه أن يذهب ويتركه وحده معها، وسوف يقود المركب فى وسط الخليج، وستأتى الموسيقى من القلعة القديمة أو من مركب آخر. سوف يمارس الحب ويعرف اللغز وعندئذ سيكون بمقدوره أن يقود المركب بمفرده نحو موانئ الخليج. وسيكون بمقدوره، عندما تحين ساعته، أن يرى وجه «يمانجا»، بلا فزع، ويحبها لأنه سيعرفها أخيراً الأسرار التى يتحدث عنها الرجال أغلب الأوقات، لذلك فهو يشعر بالبرد فى حين أن الليل دافئ والرياح حارة، فالنسيم يكاد يورجج المركب. والحقيقة أنه خائف. فالأصوات تزداد اقتراباً فى كل لحظة. إنه يميز الآن ما تقوله الأصوات:

- إنه لا يزال طفلاً، لكن له هيئة رجل...

كان عمه الذى يتكلم، من المؤكد أن المرأة تساءلت عنه. تريد أن تعرف كيف ستعامله. سيثبت لها أنه رجل قوى، وسوف يضمها إلى الدرجة التى تجعلها تبكى، إلى درجة تجعلها تقول إنه مثل الرجال الذين عرفتهم فى حياتها. سمع صوت المرأة تقول:

- أريده أن يكون رجلاً وسيماً وشجاعاً...

انتفخ قلب «جوما» بالفرح. لقد وقع فى حب هذه المرأة التى لم يعرفها بعد، والتى ساقها عمه إليه. وعزم أن يصطحبها إلى كل موانئ الخليج، وأن يجوب النهر نفعها. لن يدعها تعود إلى حياتها الأولى. ستكون له على الدوام. فالنساء اللاتى يصطحبهن فى مركبه، فى ليالى العشق، كلهن جميلات دوماً، فى تلك الليالى، يسمع «جوما» حركة الأجساد والتأوهات والقبيلات والضحكات. وكان عندما لا يسمع هذه الأشياء يصيح السمع وبه رغبة غريبة فى التلصص ولكن الخوف كان يمنعه. ذات ليلة، سمع صرخة ألم حادة. جرى إلى مكان العاشقين واثقا من أن فرانثيسكو يضرب المرأة. ولكنهما رجواه أن يعود. بعد ذلك بوقت

طويل فهم دلالة بقعة الدم التي ظلت على أرض المركب. عادت هذه الخلاسية الشابة مرات ومرات، ولم يعد يسمع صراخها. أصبح أنينها نفس أنين الأخريات. وهذه المرأة التي جاءت اليوم لن تصرخ بطبيعة الحال. فهذه ليست المرة الأولى بالنسبة لها في يوم من الأيام، سوف يجعل امرأة تصرخ في مركبه مثلما جعل عمه الخلاسية الشابة تصرخ. سمع «فرانشيسكو» يناديه:

- «جوما»!

- إني هنا

كان المركب ملاصقا للرصيف. وكان يكفيهما أن يعبرا الوحل ليصلا إلى المعبر الذي يربطه. وصل عمه مع المرأة. قفز إلى المركب، ومد يده إلى المرأة التي قفزت كاشفة فخذها رآها «جوما» فاستولت رغبة عنيفة على كيانه. إنها جميلة. على «فرانشيسكو» أن يذهب، ويتركه وحده معها، وألا يتدخل في شيء وسوف يثبت «جوما» أنه كفاء. كانت المرأة تنظر إلى «جوما» الذي أعجبها نعم، يبدو كرجل رغم سنه الاحدى عشرة ابتسم «جوما» كاشفاً عن أسنانه البيضاء. وظل «فرانشيسكو» واقفاً هناك يحرك يديه. ابتسمت المرأة. كان «جوما» ينظر إليهما وعلى شفثيه ابتسامة رضا. سأله المرأة:

- أتعرفنى؟

يعرفها، نعم. ومنذ وقت طويل ينتظرها. لقد بحث عنها في شوارع الساقطات وأرصعة الموانئ، وبين كل النساء اللاتي مر بهن. وأخيراً، عثر عليها. إنها امرأته. إنه يعرفها منذ أمد طويل، منذ أن اخترقت الرغبة أعصابه وأقلقت أحلامه.

قال «فرانشيسكو»

- إنها أمك يا «جوما».

لم تفارقه الرغبة، فمن المستحيل أن تكون أمه، هذه الأم التي لم يحدث

عنها أحد قط والتي لم يفكر هو فيها إطلاقاً. إنها بلاشك دعابة من عمه. إن المرأة التي أمامه بنت شوارع جاءت لتنام معه، وما كان ينبغي لفرانشيسكو أن يقارنها بأمه التي من المؤكد أنها طيبة ورقيقة وأبعد ما تكون عن هذه الأشياء التي يفكر فيها. ولكن المرأة اقتربت منه وقبلته كما تقبل الأمهات. بلا أدنى شك فإن النساء الساقطات يقبلن بطريقة أخرى. كان صوت المرأة رناناً:

- لقد تركتك منذ وقت طويل... وإن أتركك بعد الآن...

عندئذ بدأ «جوما» فى البكاء. ولم يعد يدرى إن كان قد عثر على أمه ، أم فقد المرأة التي كان ينتظرها.

كان ينظر إلى المرأة، لا يدرى ماذا يقول. ما كان ينتظره فى هذه الليلة لم تكن أمه بالتحديد. كانت تنظر إليه بعاطفة، وكانت تتكلم كثيراً عن «فريديريكو»، وتكرر فى كل لحظة:

- الآن، سأتبقى معك...

لم يفهم «جوما» هذه العبارة جيداً.. لماذا جاءت؟. لماذا تقبله هكذا؟ بالنسبة له، كانت غريبة. لم يكن أبداً يتذكر أمه. لم يحدثوه عنها قط طوال إحدى عشرة سنة. وعندما جاءت اختلطت برغباته وبإغراء امرأة أخرى فهدمت المشروع الذى خطط له. لقد كانت أمه، ومع ذلك، كانت كبيرة الشبه بالمرأة التي كان ينتظرها، لأن العطر الذى يفوح منها كان عطر المومسات، وأنها على الرغم من الجهد الذى بذلته، كانت تتفوه ، فى كل لحظة، بكلمات لم تكن بالكلمات التي يود سماعها من فم أمه، ولم يكن مسلكها كمسلك نساء الميناء. لقد كانت أمه، ولكن «فرانشيسكو» كان يركز النظر عليها. على اللحم الأبيض الذى يظهر من فتحة فستانها «الديكوتيه»، وعلى فخذيها اللذين تكشفهما الريح عندما تطير فستانها.

لم تبق لجوما سوى الرغبة فى البكاء البكاء لا يليق بالرجال، من لايعرف ذلك ؟ البحار يعرف ذلك أكثر من أى شخص آخر. النساء يبكين ما وسعهن البكاء. لا ينبغى للبحار أن يبكى. عض «جوما» على شفثيه وظل صامتاً بانتظار أن ترحل هذه المرأة وينتهى الكابوس فرانثيسكو توسوس له نفسه يفكر بأنها ضاجعت أخاه وأنها أم « جوما » ، ولكنه يرى لحمها وتستحوذ عليه فكرة. بدأ يتكلم بسرعة قائلاً إن الوقت أصبح متأخراً وأن عليهما أن يذهبا:

- لايزال أمامك اجتياز كل هذا الميناء الليل يتقدم.

قالت وهى تغادر «جوما»

- سأعود لرؤيتك يا ولدى...

رحل « فرانثيسكو » معها وكان « جوما » يتابعهما من أعلى المركب لم يشعر للحظة واحدة بأنها أمه. والآن ، فإن الذى سيضاجعها هو العجوز « فرانثيسكو » كان بمفرده فى المركب وبدأ يبكى ، ولأول مرة كان يسمع الأغنية التى تغنى « ما أحلى الموت فى البحر ولأول مرة راح يفكر فى الذهاب للقاء « يمانجا » جانينا الأم والزوجة لكل من يعيشون فى البحر.

عاد العجوز «فرانثيسكو» هائجاً كالوحش، متقلص الوجه، مقطب الحاجبين. قفز إلى المركب، ودون أن ينبس بكلمة، تمدد فوق مقدمة المركب، أشعل غليونه وأخذ ينظر إلى البحر. ابتسم «جوما»: هو أيضاً ليست له امرأة فى هذه الليلة. زوجة «فريديريكو» لم تود أن تذهب مع شقيق زوجها. إن لهن أيضاً قانوناً للشرف. عندئذ فقط، شعر «جوما» بعاطفة خاصة تتولد بداخله نحو هذه المرأة. بزغ القمر، وفرشت «جانينا» شعرها فوق البحر. عندئذ ارتفعت الأغانى

من المراكب، ومن القلعة القديمة، ومن القوارب، ومن الأرصفة، تحيي ربة الماء، ملكة البحر التي يخشاها الجميع ويعشقونها لقد كانت أما وزوجة. هي وحدها التي تعرف رغباتهم، وهي وحدها التي تعزيهم جميعاً. وبدأت النساء يتضرعن إلى «يمانجا». كل منهن تطلب شيئاً وطلب «جوما» امرأة جميلة، امرأة طيبة بدون هذا العطر الفج الذي تضعه أمه على عنقها، طلب إلى «يمانجا» أن تهبه امرأة جديدة وعذراء مثله، تشبهها في جمالها، فربما ينسى وجه أمه الساقطة، أمه التي تمنح نفسها للرجال، والتي أغوت عمه، وأغوت «جوما» ابنها.

إن «يمانجا» التي يناديها المراكبية «جانينا» طيبة مع رجال البحر. فهي تحقق أمانهم

لم تعد أمه بعد ذلك أبداً لا بد أنها رحلت إلى أرض أخرى، لأن الموسم. مثل التجار، لا مستقر لها، تنتقل من ميناء إلى آخر، حيثما توجد نقود تحصل عليها ومع ذلك، ظلت صورتها وعطرها يقضان مضجع «جوما» الهاديء لوقت طويل. كم ود أن تعود، لا كأم تتفوه بكلمات رقيقة حانية، بل كعاهرة، تفتح فمها لقبلات الحب. لم يعد يعرف السكينة. كان يخلط في قلبه اليافع بين صورة من هي، عند كل الناس، الطهارة نفسها، صورة الأم، وبين صورة النساء اللاتي يمنحن أنفسهن من أجل المال، النساء اللاتي يتخذن من الحب مهنة. لم تكن له أم قط. وعندما قابلها، كان ذلك ليفقدها في التو، ليرغبها دون أن يحبها، ليكرهها تقريباً. ليس هناك إلا أم واحدة بإمكانها، في نفس الوقت، أن تكون زوجة إنها «يمانجا» ولذلك فهي جد محبوبة من رجال الميناء. ولكي يحب «يمانجا» التي هي أم وزوجة، لا بد أن يموت المرء. وكثيراً ما كان «جوما» يرغب في إلقاء نفسه من مركبه في أيام العاصفة. فقد يذهب هكذا مع «يمانجا» ويحب الأم والزوجة. ولكن ذات ليلة، أثناء غيابه، اصطحب العجوز «فرانثيسكو» خلاسية إلى

المركب. وعندما وصل «جوما» مشمراً بنطلونه، وقد لطح وحل الرصيف ساقيه، كانت تتمدد فى فتور تنظر إلى القمر. وفهم.. الآن مر عامان على مجيء أمه. وتلك التى كانت أمامه هناك كان من الأفضل أن تأتى بدلاً من أمه.

عندما حجبت السحب الكثيفة القمر، قاد مركبه إلى وسط الخليج تصاحبه الرياح بينما تصدح الأغاني فى القلعة القديمة. امتلأ صدر «جوما» بالزهو. وماذا يهمله إن كان العجوز «فرانشيسكو» والآخرين يضحكون ويثرثرون على رصيف الميناء. هاهو قد أصبح رجلاً بمقدوره أن يفترع امرأة، وفى المستقبل، يمكنه أن يخرج وحده «بالباسل» إلى كل الموانئ، مثل بحار حقيقى. عاد من وسط العاصفة التى هبت فجأة، وكانت الخلاسية مذعورة تلتصق بصدرة. وابتسم لفكرة أن «يمانجا» أخذتها الغيرة فأطلقت ضده الرياح والرعود.

ومرت سنوات أخرى، ونساء أيضاً. وذات يوم، كاد العجوز «فرانشيسكو» أن يصدم «الباسل» بصخرة فى وسط النهر. ولو لم يضع «جوما» يده على الدفة لتحطم «الباسل»، نكس العجوز رأسه ولم يبتسم خلال بقية الرحلة، ولم يمزح فى حانة «ماراجوجيب»، ولم يرو حكايات فى مقاهى «كاشويرا». أثناء العودة، ترك الدفة «لجوما» وتمدد بطوله على أرضية المركب، وترك شمس الصباح تدفء جسده، قال لجوما:

- لقد أبحرت فى هذه المياه لأكثر من ثلاثين سنة..

نظر «جوما» إلى عمه. كان العجوز يخط على غليونه لينظفه.

- لم أخرج قط من هنا، ولم أرغب أبداً فى ارتياد بلاد أخرى. لم يكن لفريديريكو نفس طباعى. لم يقنع بالإبحار فى النهر. وتطلع إلى أن يكون ملاحاً فى سفينة، وأن يعرف كل البلاد... لكل شخص طبيعه.

كانت الشمس تسقط على المياه الهادئة فكانت الصخور تتلألأ أخذ

«جوما» يواسى العجوز:

- لقد كانت لديك أربعة مراكب ياعم...

- وفى إحدى الرحلات أنجبتك «فريدريكو». كان ذلك منذ ثمانية عشر عاماً.. كان فى البداية، يسافر كملاح فى السفن القديمة للشركة «الباهايانية»، ثم التحق بباحرة كبيرة وجاب العالم. تركك مع الأسرة حتى اليوم الذى عاد فيه...
- أذكر يا عم، كانت ليلة، وفجأة...

- لم يود أن يقول لماذا عاد. أعتقد أن ذلك كان بسبب امرأة. يقال إنه بقر بطن أحدهم. لقد كان خلاصياً شجاعاً، لم يكن يقبل أية إهانة.
ابتسم «جوما» وهو يتذكر أباه لحظة عودته مرتدياً ملابس سوداء كملايس الحجاج ومغطفا واقيا من المطر، والماء يقطر منه - يقبل «فرانشيسكو» ويقول له:

- ها أنذا يا أخى !...

خاف «جوما» أول الأمر. وكان يتفادى قبلات أبيه وشاربه. وها هو الآن تغمره السعادة يتذكر هذا المشهد، فقد وصل أبوه فجأة بعد أن بقر بطن أحدهم بسبب خلاصية. هذا الأب الذى عرف بلاداً كثيرة، وأبحر على متن بواخر عملاقة.
وتابع العجوز «فرانشيسكو»

- حينئذ بقى معى فى المراكب. كان المركب «نجمة الصباح» هو الذى

- أتذكر ذلك لقد كان متيناً !

- حدث ذلك فى ليلة العاصفة، فى شهر أغسطس. أخذ يضحك وهو يسلم الروح. لقد كان شجاعاً حقاً. زوجتى أيضاً رحلت فى تلك الليلة.. كان ذلك بسبب القلب. استدعيت طبيباً ولم يستطع شيئاً.

تساءل «جوما» لماذا يتذكر العجوز «فرانشيسكو» كل ذلك. إنه يعرف حكايات كثيرة فلماذا يروى حكايته هو؟ وجد «جوما» ذلك بلا فائدة وشعر بحزن يتملكه .

كان على أن أكف عن الإبحار منذ ذلك اليوم. لم يعد هناك شيء يمكن فعله... ولكنك كنت معي، وكان على أن أعلمك قيادة المركب... وها أنت الآن قد تعلمت...

كان العجوز يبتسم، وكان «جوما» يبتسم أيضاً. إنه يعرف الآن قيادة المركب. أما الذي لم يعد يعرف. فقد كان العجوز «فرانشيسكو» لأنه أعطى كل ما يعرفه إلى ابن أخيه.

- إننى عجوز.. لقد انتهيت... حتى الأسماك لا ترغبنى، لأنه لم يعد بى إلا العظام. صمت لحظة كى يستعيد قواه.

- أرايت؟ فى رحلة الذهاب كدت أصدم «الباسل» بالصخور.

- ماذا تقول يا عم؟ لقد مر بعيداً...

- نعم، لأنك وضعت يدك على الدفة. لقد تعبت بصرى. إن ضوء البحر يأكل

العيون...

راح ينظر إلى «جوما» مثل شخص لديه شيء مهم يريد قوله. أحرقته

الشمس. ولكنه مثل حيوان عجوز يستدفىء بها. أشار بيده وقال:

- إننى عجوز، لقد انتهيت. ولكنى لا أريد أن يسخر منى الزوج فى

الميناء... العجوز «فرانشيسكو»، بعد ثلاثين عاماً، صدم مركبه بالصخور... حتى

الأسماك لم تعد ترغبنى...

كان صوته قلقاً، به شيء يشى بالنهاية. قلق لا يوصف. لم يعرف «جوما»

ماذا يقول. وتابع العجوز «فرانشيسكو»

- أئن تقول شيئاً... لأنك لاتريد أن ترى خجلى؟

تمت بقية الرحلة فى صمت. وكانت آخر رحلة للعجوز فرانشيسكو.

منذ ذلك اليوم، كان هو الذى ينطلق «بالباسل» فوق المياه الزرقاء. وكان

العجوز «فرانثيسكو» يرتق الأشرعة، ويشرب «الكاشاسا»، ويروي الحكايات كان كل شيء قد انتهى بالنسبة له. كان شجاعاً لدرجة أن البحر لم يكن يرغب فيه. لقد رأى «يمانجا» مبتسمة. ولم يكن في حاجة للموت لكي يراها.

ظل «جوما» يعمل بالمراكب في الميناء، ولكن قصة أبيه كانت تستهويه. كان يحب السفن الكبيرة التي ترسو بالميناء، يستمتع في متعة إلى اللغات الأجنبية التي يتكلمها بحارة شقر، وكان يستمع إلى الحكايات التي يرويها عمال وقود السفن الزوج. كان يقول لنفسه إنه في يوم من الأيام سوف يذهب هو أيضاً في واحدة من هذه السفن، وسوف يرى أقماراً ونجوماً أخرى، وسوف يغنى أغاني مينائه في موانئ أخرى حيث لن يفهمها الرجال الذين لا يتحدثون لغته، ولكنهم سوف يصغون في صمت لأغانيه بسبب موسيقاها لأنهم يعرفون أن أغنية البحار بأية لغة كانت، تتحدث عن البحر، وعن عذاب الحب. سوف يبحر ، في يوم من الأيام، على متن واحدة من هذه السفن، وسوف يرى المراكب الشراعية صغيرة جداً. وسوف يترك المياه الهادئة في الخليج ونهر «الباراجواي» إلى مياه البحر المتلاطمة بلا حدود، إلى الطريق اللانهائي الذي يوصل إلى الأراضي البعيدة.

أه عليه أن يذهب في سفينة سوداء كبيرة، ويعيش الحكايات التي كان يسمعها كان منتهى آماله. إن بعض رجال المراكب قد رحلوا بالفعل. وكانوا يعودون أحياناً. يروون حكايات مرعبة وقصص حب ومخاطر العواصف وغرق السفن والصراع مع رجال صُفر في الجانب الآخر من الأرض. كانوا يتكلمون لغة هي خليط من كل اللغات الأخرى. ولكن يحدث أحياناً أنهم كانوا لا يعودون «شيكوتريستييزا» (من ذا الذي لا يذكره؟) التحق وهو لا يزال شاباً بسفينة بضائع ألمانية. كان زنجياً ضخماً لا يبتسم أبداً. قضى حياته ينظر إلى البحر ولا يتحدث إلا عن الرحيل. وكان بلاده تقع على الجانب الآخر من البحر.

ذات ليلة، عادت سفينته من الرحلة، وذهب رجال المراكب لرؤية «شيكو تريستيزا». حتى أمه العجوز التي كانت تبيع «الكوكادا» (١) فى وسط المدينة، هرعت إلى هناك ولا أحد يعرف كيف عرفت بالخبر بمثل هذه السرعة ولكنهم رجعوا جميعاً لأن «شيكو تريستيزا» لم يعد مع سفينته. كان قد التحق بالعمل فى سفينة أخرى، لقد أصبح عامل وقود. قال الألمان إنه غادر هذه السفينة الأخرى إلى سفينة ثالثة، ولا أحد يدرى فى أى مكان من العالم يبحر «شيكو تريستيزا». عندما يتكلمون عنه. يقول البعض إنه مات، ولكن أحداً لا يريد أن يصدق، فالبحار يعود دائماً ليموت فى مينائه، بالقرب من مراكبه وبحره. وإن مات فى البحر، يأتى مع «يمانجا» ليرى القمر فى مينائه ويسمع الأغانى التى هى أغانيه. لم يمت شيكو تريستيزا كان جوما لا يزال طفلاً عندما رحل، لم يعرفه جيداً، ولكنه كان يحبه ويريد أن يصبح مثله. كانت هذه البواخر السوداء تستهويه. إن فيها لغزاً، فى صفارتها وفى مرساتها وفى ملاحبها. فى يوم من الأيام، سوف يذهب «جوما» إلى الأراضى المجهولة. كان العجوز «فرانشيسكو» هو الذى يشده إلى مينائه.. إنه مرساته، وعليه أن يطعم عمه الذى علمه كل شىء. وعندما يسأم العجوز من الأرصفة ويذهب لملاقة «يمانجا» عندئذ سيرحل هو. لن تكون هناك حدود لطريقه. وسوف تكون سفينته ضخمة وسوداء. وفى الميناء سوف يروون الحكايات عنه.

كان وحيداً على متن «الباسل» يفكر فى مراهقته التى انتهت. طفولته أيضاً مضت سريعة، لأنه كان رجلاً بالفعل منذ زمن بعيد، حتى قبل أن يحب هذه الخلاسية التى اصطحبها العجوز «فرانشيسكو» فى قاربه والتى كانت ممددة عندما رآها. ذات يوم، قبل الخلاسية بوقت طويل، كانت أمه قد جاءت. فى ذلك اليوم - حين أبحر بمركبه حتى «ايتاباريكا» - كان يشعر فى جسده برغبات رجل. فى ذلك

(١) نوع من الحلوى تصنع من جوز الهند.

اليوم، عانى بقسوة كرجل. يوم دخلت الخطيئة إلى قلبه، وبدأت الرغبة فى الرحيل تحيا بداخله منذ ذلك الوقت أصبح رجلاً.

قلما كان يتذكر طفولته كابن بحر ارتبط مصيره بمصير أبيه وعمه وأصدقائه وكل من يحيطون به فى هذا الميناء كان مصيره البحر، وكان مصيراً بطولياً. وربما لم يكن حتى يعلم شيئاً عن ذلك، ولم يكن يفكر فى أنه سيصبح - مثل هؤلاء الرجال الذين يتلفظون بكلمات بذينة فى مراكبهم خلال النهار، ويفنون فى الليل أغانى الحب بصوت عذب - بطلاً يخاطر بحياته فى الماء، عندما تمطر الدنيا، أو تسطع الشمس فى سماء باهيا كل القديسين (١). لم يفكر قط فى أن مصيره سيكون بطولياً وأن حياته ستكون جميلة. لم تكن طفولته هادئة، فقد كان عليه أن يقوم بمهام عديدة. فمنذ طفولته المبكرة كان يصعد إلى مقدمة المركب معوداً عينيه على الصخور التى يصعب رؤيتها فى وسط الماء، وقد اخشوشنت يداه من الحبال ومن خشب الدفة.

ذهب إلى المدرسة التى كانت بيتاً موحشاً خلف الميناء. وقفت المعلمة تتلو أبياتاً من الغزل «ربما يأتى الحب فى المركب، فى ليل الميناء الغامض يوماً، وربما لا يأتى أبداً...» كانت المعلمة فاترة ينم صوتها عن خيبة الأمل. وكان الأطفال يروون حكايات عن الصيد، ويتكلمون بلغة البحارة الغريبة، ويراهنون على سرعة المراكب.

لم يمكث وقتاً طويلاً بالمدرسة. لم يتركوه هناك - هو وأبناء أصحاب المراكب والقوارب - إلا ما يكفى من وقت لتعلم قراءة خطاب أو تسطير بطاقة يجتهد ليخط ذبلاً أسفل توقعه. هناك عمل كثير ينتظرهم فى البيت أو فى البحر. كانوا يتركون المدرسة فى سن مبكرة للغاية. وعندما كانت المعلمة تراهم -

(١) اشتهرت «باهيا» بهذا الاسم نظراً لكثرة ممارسة الطقوس الدينية الوثنية من مثل الماكومبا والكانومبليه مع الممارسات الكاثوليكية جنباً إلى جنب .

كانت تدعى «بولشي» (١) - لم تتعرف عليهم كانوا رجالا أقوياء مكشوفى الصدر، لوحتهم الشمس ، يمرن أمامها خجلين منكسى الرأس ، إنهم لايزالون يحبونها لأنها طيبة تضيق بكل ماتشاهده فى الميناء كانت ترى أشياء محزنة ، هذه الفتاة التى جاءت من كلية الهندسة لتقوم بالتعليم بغية مساعدة أمها الفقيرة التى كانت فيما قبل غنية ، وأخيها المدمن الذى كان أملها وأمل أمها ، وأمل أبيها كذلك وأبيها الذى كان رجلا ذا شارب وصوت جهير ، مات قبل أن تتدهور الأحوال فى بيته

لقد جاءت لتحل محل عانس عجوز شرسة ذات صيحات هستيرية ، وأرادت أن تجعل من فصلها بيتا بهيجا لأطفال الميناء لكنها رأت أشياء محزنة للغاية بالقرب من البواخر ، وفى أكواخ الصيادين ، وفى مقدمة المراكب ، رأت اليأس عن قرب لدرجة أنها فقدت شجاعتها ومرحها لم تعد تشاهد البحر ببهجة الأيام الأولى ، لم تعد تنتظر خطيبا ، ولم تبق لديها تفاعلات لأشعارها ، ولأنها ورعة ، كانت تصلى دائما لأن الله طيب ، وعليه أن يضع حدا لكل هذا اليأس وإلا فستكون نهاية العالم

من نافذة المدرسة، كانت المعلمة الشابة ترى الأطفال فى أسمال لطخها الوحل، خارجين بلا كتب أو أحذية هؤلاء الصغار الذين سيتجهون من الآن نحو العمل والتسكع فى الحانات و«الكاشاسا» لم تفهم شيئا يقول الجميع إنها طيبة ، ولقد كانت بالفعل ومع ذلك ، لم تشعر بأنها جديرة بهذه الصفة إلا فى البداية ، عندما كانت تقول كلاما مؤاسيا ، عن الأمل فى الله ولكن منذ سنوات طويلة ، كان الأمل قد ضاع حقيقة ، ولم تعد إلا صيغة متكلفة تماما لم يعد شئ ينبع من هذه القلوب المكومة هى أيضا ملت من الأمل ، لم يعد لديها كلام مؤاس ، ولا حتى كلمة أمل رقيقة لم تستطع أن تفعل شيئا من أجل هؤلاء الناس الذين

يبعثون لها بأطفالهم لسته أشهر إنها لا تستحق أن يصفوها بالطيبة مادامت
لاتساعدهم فى شىء ، لم تبق لديها كلمة رقيقة تقولها لهم واذا لم تحدث معجزة
فى يوم من الأيام فسوف تموت حزنا لأنها لم تستطع أن تفعل شيئا لرجال
البحر

فى المدرسة تعلم «جوما» أن يقرأ ويكتب اسمه أرادت أن تعلمه أشياء
أخرى وأراد هو أيضا أن يتعلم أشياء أخرى لكن العجوز «فرانشيسكو»
استدعاه إلى المركب، لأن مصيره هناك لن يصبح طفل من الميناء طبيبا قط
ومع ذلك ، فمن هذا الميناء خرج بالفعل صناع مهرة وعمال وقود ، وحقق أحدهم
معجزة بأن بلغ وظيفة عامل تلغراف فى سفينة

ترك المدرسة ، ليس حزينا أو فرحا ، كان يحب المعلمة ، ولم يكن من الصعب
تعلم القراءة أحب «روفينو» الزنجى الصغير الذى كان يرسم الوشم بسن إبرة
ولا يحفظ دروسه قط لكنه أحب الذهاب الى البحر فى مركب وراء مصيره
أعطته «دولشى» ميدالية يوم رحيله

ومن النافذة رأته «جوما» يبتعد لم يكن قد بلغ سوى الحادية عشرة، كان قد
تم إعداده لمواجهة الحياة مثلما يفعل الأطباء الشبان والمحامون فى سن الثالثة
والعشرين أو الخامسة والعشرين سوف يواجه الحياة ويبدأ فى ممارسة مهنته
ومع ذلك لم يكن هناك احتفال أو فرح عزاؤه الوحيد أنه لن يكون مضطرا
لغسل ملابسه باستمرار لأنه بالنسبة للمدرسة لابد أن يكون أكثر نظافة لم
ينطو قلبه على أى أمل أما هى فلم تخامرها أية فكرة عن مغامرات أو اكتشافات
كبيرة أو اختراعات عجيبة أو قصائد عذبة أو بليغة كانت تعرف أن «جوما» ذكى،
فلم تقابل فى كلية الهندسة ، أو بين أصدقائها فى المدرسة الثانوية إلا القليل ممن
هم فى مثل ذكائه ومع ذلك ، كان أولئك يفكرون فى تحقيق أشياء كبيرة ، وأن
يقرروا مصيرهم بأنفسهم ، وهؤلاء الأطفال الذين يغادرون المدرسة لم تكن لديهم

أية فكرة من هذه الأفكار لقد تقرر مصيرهم بالفعل إنه مقدمة إحدى البواخر ،
مجداف القارب أو على أكثر تقدير ماكينات إحدى السفن ، وهى مكانة عظيمة
قلما راودتهم

إن البحر الذى ابتلع عددا كبيرا من تلاميذها ، وأحلامها هى أيضا كفتاة
ماثل أمامها فالبحر رائع ومخيف البحر حر ، كما يقولون ، وأحرار أولئك الذين
يعيشون فيه ولكن «دولشى» تعرف تماما أن هؤلاء رجالا ونساء وأطفالا ، ليسوا
أحرارا ، وأنهم مكبلون بالبحر ، موثوقون به كالعبيد ، ولم تكن «دولشى» تعرف
موضع الأغلال التى تكبلهم أو حديد هذا الأسر

ذهب «جوما» بعد أن تعلم القراءة بسرعة كان من الممكن أن يدخل كلية
الهندسة ويصبح مهندسا كبيرا لعله اخترع ماكينة تساعد على تحسين المصير
المنقلب للملاحين فى بحر متقلب ولكن أطفال الميناء لا يذهبون الى الجامعات بل
يذهبون الى المراكب الشراعية والقوارب يغنون بالليل وبعضهم صوته جميل
للغاية . ومع ذلك فأغنياتهم حزينة كالحياة التى يحيونها . «دولشى» لاتفهم

ولكن «دولشى» تنتظر معجزة تأتى هكذا فجأة ، مثل عاصفة ، ويتغير كل شىء
ويصبح جميلا مثل البحر ماذا لو عرفت يوما الكلمة التى تصنع المعجزة ، وكانت
هى التى تستطيع أن تقول هذه الكلمة لكل أناس الميناء ؟ عندئذ تستحق حقيقة أن
يسمونها «طيبة» ويقدمون لها أحسن ما لديهم عندما تقوم بزيارتهم

عندما كان يرى «دولشى» والريح تؤرجح الميدالية التى تتدلى على صدره ، كان
«جوما» يتذكر المدرسة وطفولته الشجاعة مر كل شىء بسرعة بالغة
وذات يوم - يوم بعيد - وبينما السماء تمطر على المدينة ، والمراكب الشراعية
راسية بجانب الرصيف راح العجوز «فرانشيسكو» يقص على امرأة وعلى
«جوما» حكاية عن غرق سفينة عندما انفتح الباب ودخل رجل غارق حتى رقبته فى

ملابس سوداء من التيل المشمع ، والمطر يقطر منه ، لم ير إلا شارب الرجل ، ومع ذلك ، لم ينس قط الصوت الذي قال للعجوز «فرانشيسكو»

- ها أنذا يا أخى !

خاف «جوما» لكن الرجل تقدم نحوه وقبله ووخزه بشاربه وأخذ يضحك من كل قلبه وهو ينظر الى وجه «جوما» بعد ذلك ، تحدث مع العجوز «فرانشيسكو» وروى حكاية المشاجرة مع «رجل أرسله الى العالم الآخر» هكذا ظهر له أبوه عند عودته من الرحلة ، بعد أن جاب أراضى وبحارا مجهولة ، عاد بعد أن أنهى حياة رجل بنصل خنجره ، بون مقدرة على الخروج فى المستقبل من هذه الأنحاء ولأن ما يحبه أبوه كان السفر، وانه لن يستطيع أن يسافر ، فلم يبق طويلا على متن المراكب الشراعية ، رحل مع مركب «نجمة الصباح» الى قاع البحر بعد أن أنقذ أخاه ، هكذا فقط استطاع مواصلة رحلته التى انقطعت ورحل مع «يمانجا» التى تحب الرجال الشجعان

كان «جوما» لا يتذكر الا صورة مشوشة لأبيه ، ولكنه يتذكر بوما عودته الى البيت ، فى ليلة عاصفة ، بملابسه السوداء المشمعة والمطر يقطر منه ، كان لا يزال يحمل السكين التى قضت على حياة الرجل لا بد أنها حكاية امرأة ، كما يقول العجوز «فرانشيسكو» عندما يحدثونه فى الموضوع لقد كان «فريديركو» دائما زير نساء

وفى الليلة التى مات فيها ، ماتت أيضا العمة «ريتا» زوجة «فرانشيسكو» عندما هبت العاصفة ، أخذت «جوما» تحت وشاحها وجرت الى الرصيف حيث انتظروا بون جدوى عادا الى البيت عندما اقترب موعد العشاء طهت السمك للرجلين ربما فى تلك اللحظة كانا طعاما لأسماك أخرى كانت تنتظر قلقلة، تنتقل من جانب الى آخر ، تصلى لعذراء «مونت سيرات» وتضرع الى «يمانجا».

سوف تحمل قطع الصابون (١) الى دونا «جانينا» فى عيدها ، وشمعتين الى مذبج «مونت سيرات»

فى منتصف الليل ، عاد «فرانشيسكو» جرت اليه وارتمت بين ذراعيه ، وبين ذراعيه خرجت روحها لم يكن لديها من الشجاعة ما يكفى لتحمل هذه الفرحة الكبيرة وجاء الطبيب لكن بعد فوات الأوان ، لقد انفجر قلبها ، وبقي «جوما» وحيدا مع العجوز «فرانشيسكو»

وفى احتفالات دونا «جانينا» عرف «أنسيلمو» ساحر السد الصديق القديم للملكة البحر ، وهناك أيضا عرف «شيكو تريستيزا» الذى رحل ذات مساء على متن سفينة كان «جوما» لايزال صغيرا عندما غادر الزنجى بيته ولكنه كان قد شاهده مرات عديدة عند أرصفة الميناء ، يسرح ببصره الى المنتهى ، نحو الخط الأزرق حيث ينتهى كل شىء كانت أرض «شيكو» بعيدة جدا ، كانت فى المجهول الذى رحل اليه لابد أنه جاب العالم ولكنه سيعود يوما لأنه بحار من هذا الميناء، ولا بد له أن يموت فيه

وعليه أيضا أن يعاود رؤية «دولشى» التى علمته القراءة والتى تتكلم عنه دائما. عندما يعود سيكون لديه الكثير ليحكىه للرجال الذين سيتعلقون حوله ، حتى المسنون فى الميناء سيأتون لسماع حكاياته سوف يعود مافى ذلك شك إن السفن تحمل أسماء موانئها محفورة فوق المروحة وكذلك البحارة يحملون اسم مينائهم فى قلوبهم وحتى البعض منهم يرسم بالوشم هذا الاسم على صدره الى جانب اسم الحبيبة ويحدث أن تغرق السفينة بعيدا عن مينائها ويحدث أيضا أن يموت البحار بعيدا عن أرصفة مينائه ، ولكنه يعود بعد ذلك مع

(١) يقوم مريبدو «يمانجا» بإلقاء قطع الصابون فى البحر ليغسلوا شعرها

«يمانجا» - من يدري من أين يأتون جميعا - ليرى أهله وقمر بلاده قبل أن يذهب إلى المجهول لابد أن يعود «شيكوترستيزا» فجأة على متن سفينة سوف يفعل «جوما» يوما نفس الشيء

في ليالي طفولته ، كان ينام في الغالب على القش في مركبه المربوط الى الرصيف الصغير في جانب ، كانت المدينة هائلة مضاعة بألف مصباح كهربى تجثم فوق الجبل كانت أجراسها تدق ومنها كانت تأتى الموسيقى المرحه وضحكات الرجال وققعقة عربات الكارو ، وكان ضوء المصعد الكهربى صاعدا هابطا مثل لعبة عملاقة

وفى الجانب الاخر ، كان البحر والقمر والنجوم ، كل شىء مضاع بنفس القدر. بدت الموسيقى التى تأتى منه حزينة وأكثر وخزا كانت المراكب الشراعية والقوارب تصل دون ضجة والأسماك تسبح تحت الماء كانت المدينة، الأكثر سخبا لاتزال هادئة هناك النساء الجميلات وكل أنواع الأشياء السينما والمسرح ، المقاهى وأناس كثيرون ، وفى البحر ، لم يكن هناك شىء من كل ذلك كانت أغانى البحر حزينة تتحدث عن الموت والحب الضائع فى المدينة يبدو كل شىء واضحا وبلا غموض مثل ضوء مصابيحها. وفى البحر كان كل شىء غامضا كضوء النجوم بينما تبدو شوارع المدينة ممهدة. وفى البحر لم يكن هناك سوى طريق هائج خطر كانت شوارع المدينة قد تم اقتحامها منذ زمن بعيد ولكن ينبغي إعادة اقتحام طريق البحر كل يوم ، عند كل رحيل ، فذلك هو الذهاب الى المغامرة

على البر لا «يمانجا» ولا احتفالات لدونا «جانينا» ولا موسيقى حزينة لم يحدث أبدا أن استهوت موسيقى البر أو حياة البر قلب «جوما» . وفوق ذلك، فعلى طول الأرصفة لم يسمع أحد قط حكاية تقول إن ابن بحار قد استهوته الحياة الهادئة للمدينة وإذا تكلم أحد بذلك مع المسنين الذين يرتقون الأشرعة فإنهم لن

يفهموا وسيشروعون فى الضحك أن يستهوى المرء الإبحار الى أراض أخرى
نعم ، لكن أن يغادر مركبه ليحيا على البر ، فلا يمكن سماع ذلك دون الانفجار فى
الضحك مع شرب كأس «كاشاسا»

لم ينجذب «جوما» قط نحو البر ، فهناك لاتوجد مغامرات. كل مايستهويه هو
طريق البحر الشاسع المتقلب فهو الذى سيقوده الى حيث يجد ضالته الحب
والموت ، فالبحر قدره

فى ليلة من تلك الليالى جاءت أمه لم يكن أحد قد كلمه عنها ، وجاءت هى من
البر كانت من البر ، لم يكن فيها شىء من نساء البحر لاشىء مشتركاً يجمع
بينها وبينهن. بدت له امرأة ساقطة كتلك التى كان ينتظرها جاءت كى تجعله
يعانى ولم تعد بعد ذلك قط نساء أخريات جنن من البر الى مركبه الفتيات
اللاتى يبعن أنفسهن من أجل المال ، أولا ، ثم الخلاسيات الصغيرات والزنجيات
الشابات من سكان المنازل المجاورة للميناء ، كن يأتين لأنهن وجدنه قويا ، وأن
ممارسته للحب لابد أن تكون رائعة الأوليات كن يذكرنه بأمه يفوح منهن العطر
الذى كانت تستعمله ، ويتكلمن مثلها ، ولكنهن لايستطعن الابتسام مثلما ابتسمت
أمه فى تلك الليلة ابتسمت أمه مثلما تبتسم نساء الميناء الى اطفالهن ، لقدكانت
نصف أم ، ونصف مومس مما جعله يعانى أكثر لم تعد بعد ذلك قط لابد أنها
تتسكع فى موانئ أخرى ، مع رجال آخرين من يدرى إن كانت فى الليل
عندما يغادرها آخر رجل ويتركها وحيدة ، لاتتذكر ابنها الذى يعيش فى المراكب
والذى لم يستطع أن يقول لها كلمة ؟ من يدرى إن كانت تنتشى بحب هذا الابن
الذى ضاع بسببها ؟ لكن اذا كانت الموسيقى تأتى من البحر وتعبير القلعة القديمة
والمراكب الشراعية والقوارب ، وتتحدث عن الحب فإن «جوما» ينسى كل ذلك تاركا
نفسه لهدهدة نغم غاية فى الروعة

كانت طفولته قصيرة ، بلا لعب تقريبا لكنه كان قد بدأ يتعرف على قواه. فهذه الندبة التي فى يده نتجت من أثر مشاجرة وهو فى الرابعة عشرة كان الخصوم «جاك» و «رودلفو» و «فيسجو» و «مانىكا ماوزينيا» وكان هو وحده مع «روفينو» وتشاجرا بسبب حماقة ، لأن «مانىكا ماوزينيا» حاول أن ينظر الى فخذى أخت «روفينو» الزنجية الصغيرة التي تبلغ بالكاد عشر سنوات كان «جوما» يتحدث فى ترهات مع الزنجى عندما جاءت «ماريكوتا» تبكى

– كان على وشك أن ينظر تحت تنورتى

راح «روفينو» يبحث عن «ماوزينيا» ولم يكن «جوما» بالرجل الذى يتخلى عن صديقه فى لحظة كنتك ، إذ إن قانون الميناء يقتضى العكس. ذهب معا وتقابلا مع الأربعة الذين كانوا لايزالون يضحكون رفع «روفينو» يده على «ماوزينيا» لأنه لم يكن من مؤيدى المناقشات والشتائم وكانت مشاجرة عنيفة وعلى رمال الشاطئ الذى تحرقه الشمس، كانوا يضربون بعضهم بعضا بالقبضات أما «مانىكا ماوزينيا» الذى كانت له يد معوجة فقد طرحه «روفينو» بضربة من قبضته، ولكنهم كانوا لايزالون ثلاثة ضد اثنين وفى وسط المشاجرة أخرج «رودلفو» الغدار سكينه فكان الجرح وكان من نصيب «روفينو» جرح تحت ذقنه ، وجرى «جوما» لنجدته ، ونجح فى أن يحول بيده سكين «رودلفو» عن وجهه وعلى الرغم من السكين وأنهم كانوا ثلاثة فقد فروا مسح الزنجى «روفينو» دمه وتوعد

– سوف يدفع «رودلفو» الثمن سوف أعلمه يوما

لم يقل «جوما» شيئا كان يحب قانون الميناء الذى لايقر أن يضرب المرء بالسكين الا اذا كان الخصم أكثر عددا ومن لا يراعى قانون الميناء لايساوى فى نظره شيئا

بعد أسبوع من ذلك وجد «رودلفو» مطروحا على رمال الشاطئ ممزق الوجه، بلا سكين، وبدون بنطلون. لقد وفى «روفينو» بوعد .

كان يحب «روفينو» منذ أيام المدرسة كان «روفينو» بلا أب ، ربه أمه لم يبق بالمدرسة وقتا طويلا فما كان يتعلمه يتبخر بسرعة كان يرسم بالوشم الهلب والقلب لزملائه بقلم وحبر أزرق وكانت دونا «دولشى» تعنفه ، ولكن الزوجى راح ينتسم بعينيه الجميلتين وأسنانه الكبيرة فابتسمت «دولشى» مثله ترك المدرسة ليساعد أمه وأخته أجر ذراعيه «وكانتا ذراعى عملاق» الى كل أصحاب القوارب ، كان يجدف فى شجاعة لأنه لم يكن هناك فى الميناء كله من هو أكثر ثقة فى «يمانجا» لاشك أنه فى يوم من الأيام سيكون له قاربه الخاص ، فقد طلبه فى عيد السد ، وقدم قنينة عطر لكى يكون شعر أميرة الماء «فهكذا يسمى الزوجى يمانجا» دائما معطرا وسوف تعطيه قاربا لأنه أكثر المتحمسين فى عيدها وسوف يصبح يوما المشرف على الكاندومبليه الخاص بها كان الزوجى «روفينو» يضحك كثيرا ويشرب كثيرا ، يغنى بصوت جهير يسكت كل الأصوات الأخرى

لم يعد «رودلفو» يبدو رجلا من الميناء. كان أبوه قد جاء يوما وافتتح حانة ثم أفلس ، وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد بقى فى الميناء واستأجر منضدة فى السوق يبيع الحلوى للأطفال جاء «رودلفو» للحياة ، جميلا أبيض اللون ، ذا شعر ناعم يعتنى به ويدهنه بزيت «البريانتين» وما أن كبر حتى ترك دفعة المركب الذى اشتراه له أبوه ، وهجر البحر لا يعود الى الميناء إلا من وقت لآخر كان يأتى أحيانا ومعه مال كثير ، ويدعو الجميع الى «الكاشاسا» ويثير الضجيج فى حانة «منارة النجوم» وفى أيام أخرى ، يعود وليس معه مليم ، يطلب الى أحدهم أن يقرضه «ميلرايس» ويشرب على حساب الآخرين كانوا فى الميناء ينظرون اليه بريية ويقولون إن «رودلفو» ليس بالشخص الطيب

نشأ «جك» بين المراكب مثل «جوما» تزوج ومات بعد قليل فى ليلة عاصفة مات مع أبيه وترك زوجته وفى بطنها طفل «مانيكما ماوزينيا» كان أيضا يعيش فى الميناء ، كانت له يد عاجزة ولكنه يعرف قيادة المركب أفضل من أى شخص

آخر حتى المعلم «مانيويل» - الذى يبدو شابا على الدوام على الرغم من اقامته الطويلة فى الميناء - كان يحترمه

كانوا كلهم أصدقاء طفولة «جوما» وكم كثر عدد أطفال الميناء الذى يعملون مثله فى المراكب الشراعية لاينتظرون من الحياة شيئا ذا بال الابحار فوق الأمواج امتلاك مركب شراعى ، الشرب فى حانة «منارة النجوم» انجاب ابن يسير على نهجهم ويذهب يوما مع «يمانجا» ولهذا ففى الليالى الجميلة كان صوت يغنى فى الميناء

ماأحلى الموت فى البحر

صارت دونا «دولشى» عجوزا ، تضع على عينها نظارة طبية ، تسمع الأغنية فتعرف أنهم يموتون بلا خوف ، ومع ذلك تشعر بحزن يملك قلبها ، تخاف عليهم وتشعر بالشفقة نحو هؤلاء الرجال ، أما العجوز «فرانشيسكو» الذى لم يعد يبحر ويبقى فى الميناء ينتظر موتا هادئا ، بعد أن تخلص من العواصف وغدر الأمواج ، فيعرف أيضا أنهم يموتون بلا خوف ، ولكن بعكس «دولشى» فقد كان العجوز «فرانشيسكو» يحبهم لأن الرحلة - كما يقال - التى يقوم بها الغرقى مع «يمانجا» نحو أراض مجهولة تحت البحر ، فى سرعة تفوق سرعة أفضل السفن ، جذيرة بالحياة القذرة التى يحيونها فى الميناء

روزا بالميراو

«روزا بالميراو» اسم له وقع جميل على أذان كل أناس الميناء، يروون عن هذه الخلاسية حكايات كثيرة ، يعرف منها العجوز فرانشيسكو الكثير ، شعرا ونثرا لأن «روزا بالميراو» قد أصبحت لها اسطورة حتى العميان فى «السيرتاو» (١) يتغنون بفجورها رجال الميناء الذين يعرفونها جيدا كانوا يحبونها ولا يتأخرون (١) منطقة كبيرة قاحلة فى شمال شرقى البرازيل

قط عن تقديم نار لإشعال غليونها أو يمدون أيديهم لمصافحتها ، وأمّام «روزا بالميراو» لا يمكن لأحد أن يتشوق بأية ادعاءات

الليالى التى لاتخرج فيها المراكب الشراعية كانت كثيرة، عندئذ يروى العجوز «فرانشيسكو» الحكايات صحيح أن العجوز «فرانشيسكو» يضخم هذه الحكايات ويخترع فقرات بأكملها ولكنه كان يحسن المبالغة لم يقل قط كل الحقيقة عن «روزا بالميراو» فليس هناك راوية فى هذا العالم – وأفضلهم كانوا فى أرصفة ميناء باهيا – يستطيع أن يذكر كل ما فعلته «روزا بالميراو» لقد فعلت الكثير لدرجة أن العجوز «فرانشيسكو» كان يعزف على القيثارة ويغنى لجماعة من الناس:

«روزا بالميراو» تحمل تحت تنورتها مدية ، وتضع فى أذنيها قرطا

وتحت قميصها خنجرا ، لاتخاف من ركلة ذيل السمكة « (١)

أه ما كان لذلك أهمية لو لم يكن جسدها فاتتا ، ذاعت شهرتها فى الطرقات ولفت العالم فكل بحار يعرفها الكل يخاف من المدية التى تحملها تحت تنورتها والخنجر الذى تحت قميصها ، ويدها المضمومة ، ولكن أكثر ما يخيفهم هو جسد «روزا بالميراو» الفاتن فهى تغدر فى أغلب الأحوال عندما تمر تتمايل بجسدها المستفز لا يمكن القول بأنها هى ، يتبعها البحار من الخلف الرمال ناعمة والقمر جميل فوق البحر والغناء يتصاعد فى الميناء بأن الليل خلق لممارسة الحب وتمضى تتمايل بجسدها ، تمشى متبخرة كما لو كانت هى أيضا مخلوقا بحريا البحار لا يعرف، لكنه يمشى خلفها ، الرمال تنتظره ، لا تبدو أنها «روزا بالميراو» لأنها جميلة جدا مسكين البحار اذا لم ترغب فيه أو اذا كانت تريد

(١) فى أثناء المشاجرة يقوم أحد الخصمين بحركة سريعة بأن يهبط بجسده الى الأرض مستندا على يديه بينما يرفع ساقيه فى الهواء ويضرب بقدميه المضمومتين رأس الخصم وتشبه هذه الضربة حركة ذيل السمكة.

ممارسة الحب هذه الليلة ! تحمل «روزا بالميراو» مدية تحت تنورتها وخنجرا تحت قميصها ، لقد انتصرت فى معركة ضد ستة جنود ، ودخلت السجن عشرين مرة، وتعاركت مع رجال كثيرين ، يغنى العجوز «فرانشيسكو»

«ضربت» «روزا» ستة جنود

ليلة عيد «سان خوان»

استدعوا رئيس الشرطة

الذى قال «لن أذهب»

وجاءت كل الشرطة

وسحبت خنجرها

وساد الجميع الهلع

فى تلك الليلة المشئومة

ضربت الرجال وجعلت الجنود يفرون كانت شجاعة وجميلة العجوز
«فرانشيسكو» يتغنى بمآثر «روزا بالميراو» والجميع يصفقون ويهللون

«وجاء الأمر باقتيادها

حية أو ميتة

أمسكت بمديتها

فهرب الرجال

ينصتون ويصفقون وكان «جوما» أكثر المصفيقين إنه لايتذكر «روزا بالميراو»
فمنذ سنين وهى بعيدة عن الميناء فى البداية جابت الخليج كله ، ثم رحلت بعد ذلك الى جنوب «الولاية» (١) وارتبطت لبعض الوقت بأحد الكولونيات (٢) ثم

(١) تنقسم البرازيل الى عشرين ولاية و«باهايا» هى عاصمة الولاية التى تحمل نفس الاسم
(٢) الكولونيل لقب شرفى يطلق على ملاك الأراضى الزراعية .

هسربته علقه ساخنة واختفت فى هذا العالم الذى بلا نهاية وذات يوم مرت من هديد فى «باهيا» ولم يرها أحد تقريبا جاءت فى سفينة، ورحلت فى السفينة التالية يقال إنها لم تهزم على الاطلاق ، وإنها كما كانت دائما لم تتغير وأن الزهرة زهرة البالميراو (١) التى تضعها فى قميصها كانت مكانها ولكن «روزا» رحلت من جديد ولم تبق إلا أسطورتها والحكايات التى يرويها الرجال فى ظلال السوق كانت ذات جسد جميل وعندما تحب رجالا فانها تتحول الى امرأة لا مثيل لها عندئذ تصبح زهرتها أكثر جمالا وتعطر شعرها ، وذلك الذى يذهب مع «روزا» عندما تكون مستعدة لايمكن له أن يفصل عنها بعد ذلك كانت «روزا بالميراو» امرأة لواحد فقط

ويغنى العجوز «فرانشيسكو»

اذا كانت شجاعة فى النهار

شجاعة خاصة بها وحدها

فإنها فى الليل مختلفة

فالرجال يجعلونها تتألم

فى ذاكرة رجال الميناء ، تمر صورة «روزا بالميراو» بعض الذين كانوا هناك «بريجيدو روندا» مثلا ، أحبوها ، وكلهم تقريبا حضروا معارك «روزا بالميراو» لذلك فإنهم يحبون سماع اسطورتها وحكايات مشاجراتها أين هى «روزا بالميراو» ياترى ؟

لقد ولدت فى هذا الميناء ، ورحلت لتجوب العالم لأنها لاتحب أن تبقى فى مكان واحد لا أحد يعرف أين ذهبت أينما توجد ستكون لها حكاياتها لأنها تحمل مدية تحت تنورتها وخنجرا تحت قميصها ، لأن لها جسدا رائعا

(١) أى زهرة النخيل وهى نوع من الزهور يوجد بكثرة وتنوع فى البرازيل

ذات ليلة هبطت من الدرجة الثالثة من باخرة قادمة من «ريو» (١) قام أحد الحمالين بحمل حقائبها وتوصيلها مجانا الى غرفة بحانة «منارة النجوم» بعد خمس دقائق عرف كل الناس بعودة «روزا بالميراو» وأنها لم بتغيير ولم تهرم وكان يمكن للأغنية أن تقول «إن لروزا بالميراو جسدا فاتنا» ، لم يبحر أى مركب فى تلك الليلة وتأجلت شحنات القرميد والبرتقال والأباكاشى والفاصوليا الى صباح اليوم التالى فقد عادت «روزا بالميراو» بعد غياب دام سنوات جرى ملاحو احدى بواخر الشركة «الباهيانية» الى حانة «منارة النجوم» وذهب المراكبية أيضا الى هناك اصطحب العجوز «فرانشيسكو» «جوما»

كان رنين الكؤوس يتصاعد فى الحانة وعلى الواجهة كان قنديل أحمر ييبث ضوءا شاحبا كفنارة عندما دخل «فرانشيسكو» و«جوما» كانت «روزا بالميراو» تجلس الى «البار» تضحك كثيرا وهى فاتحة ذراعيها والكأس فى يدها ، ما أن رأت العجوز «فرانشيسكو» حتى نهضت واثبة وطوقت عنقه بذراعيها

- هاهو العجوز «فرانشيسكو» هاهو العجوز «فرانشيسكو» يقال إن «الكوز» القديم لاينكسر قط

- لذلك فنحن الاثنان لانزال أحياء

كانت تضحك وتهز العجوز فرانشيسكو

- ألم تقبع فى قاع البحر، هه أيها البائس العجوز ؟ من كان يقول ذلك ؟ ولحت «جوما»

- من هذا البحار الصغير ؟ ان هيئته تدل على أنه من عائلتك ؟

- إنه ابن أختى «جومير سيندو» وندعوه «جوما» لقد رأيته صغيرا جدا

حاولت أن تتذكر وعلى الفور ابتسمت

(١) «ريودى جانيرو» كانت عاصمة البرازيل قبل أن تصبح العاصمة «برازيليا».

- أهو ابن «فريديريكو» ؟ صافحنى أيها الصغير لقد كان أبوك رجلا
وكيف ؟

قال «فرانشيسكو» وهو يضحك

- إنه أخی الذى

- كان هناك أخان لايشبهان بعضهما هو ، لم يكن له شكل سمكة مئبة
ضحك الجميع لأن «روزا بالميراو» كانت مرحة جدا ، تحرك يديها ، وتتكلم
كرجل ، وتشرب كما لم يشرب أحد صفق العجوز بكفيه وقال
- سنشرب يا أصدقائى نخبأ لأن هذه الشمطاء الشرسة قد عادت ، وسوف
أسدد أنا ثمن هذا النخب للجميع

وصاح المعلم «مانويل» الذى لم يكن فى ذلك الوقت يعيش مع «ماريا كلارا»

- وسوف أسدد أنا ثمن نخب آخر

جلسوا وأفرغوا كنوس «الكاشاسا» كان المعلم «بابو» صاحب «منارة النجوم»
يتحرك من جانب الى آخر ، وزجاجة الخمر فى يده يحصى الكنوس التى شربوها ،
انتقلت «روزا بالميراو» لتجلس مع «جوما» الى مائدة منعزلة فى أحد الأركان ، أخذ
ينظر اليها ، إن جسدها رائع وأردافها تهتز كمقدمة مركب شراعى ، جرعت كأس
«الكاشاسا» وقطبت

- لقد عرفت أباك ، ولكننى لست عجوزا لهذه الدرجة

ضحك «جوما» وهو ينظر فى عينيها لماذا لاتتحدث الاسطورة عن عينيها
العميقتين الخضراوين ، اللتين تشبهان حجرا فى قاع البحر ؟ إن هذين العينين
تخيفان أكثر من الخنجر والدية ، عميقتان وخضراوان مثل البحر من يدرى إن
كانتا لانتغيران مع لون البحر الأزرق ، الأخضر البحر الرصاصى فى
الليالى الهادئة ذات الأمواج الساكنة ؟

- لقد عرفت أيضا العجوز «فرانشيسكو» ولم يكن لى من العمر الا عشرون سنة !

- إننى لست صغيرا جدا ولكننى كثيرا ماتبولت على حجر فريديريكو فأن أراك معناه أنتنى أراه !.

جاء دور المعلم «مانويل» وصاح على «روزا بالميراو»

- أنا الذى سوف أسدد الثمن ، يا امرأة الشيطان !
عادت الى كُرسيتها

- إذن ألا أستحق أن تسدد من أجلى ؟

قال العجوز «فرانشيسكو» وهو يضحك

- إنك قربة

- أغلق فمك ، أيها المركب الغارق ، أنت لاتفهم شيئا فى هذه الأمور

أضاف «سيفريانو» مؤكدا

- أحسنت الرد «ياروزا» ! لاتزالين جديرة بأن يفقد الرجال رشدهم من أهلك.

سألت «روزا بالميراو» «جوما»

- هل أنا قربة كما قال عمك توا ؟

وضحكت وهى تنظر فى عينيه كان فى عينها أيضا خنجران

- كلا ! ليس هناك من يقاوم

ابتسمت عينا «روزا بالميراو» لماذا هذه الحانة إذن فى حين أن رمال

الشاطيء ناعمة والرياح دافئة؟ إن عيني «روزا بالميراو» فى لون البحر ولكن

«روزا بالميراو» فى هذه اللحظة لاتخص رجلا بعينه إنها ملك كل أولئك الذين

أتوا من الميناء يريدون أن يعرفوا مافعلته ، طوال هذه المدة بعيدة عن وطنها

أين ذهبت ، وأية مغامرات واجهتها ، وأية سجون دخلتها ، من كل جانب ، كانوا

يطلبون منها أن تحكى

- سأقول لكم شيئاً واحداً لقد ذهب في هذا العالم الشاسع ، وتسكنت في
أماكن كثيرة لدرجة أنى لم أعد أتذكرها ، رأيت المدينة الكبيرة ، المدينة التي تكبر
«باهيا» عشر مرات

- هل ذهب الى ريودي جانيرو ؟

- ثلاث مرات ، إننى عائدة من هناك

- أهي مدينة رائعة ؟

- إنها الروعة بعينها هناك أضواء كثيرة وأناس كثيرون ، لدرجة أننى تعبت
منها

- وكثير من السفن الضخمة ؟

- كل واحدة منها كبيرة جدا لدرجة أنها لاتستطيع الدخول هنا (١) ومنها
مايلغ طوله مثل المسافة من الرصيف الى حاجز الأمواج

- ألا تبالغين قليلا ؟

- أنت الذى رأيت ؟ أنا الذى رأيتها . وليس هناك إلا أن نسأل بحارا حقيقيا

أعتقد أن مراكبيا فى قارب يعتبر بحارا حقيقيا ؟

تدخل المعلم «مانويل»

- أنا أيضا سمعت بها يقال إنها سفن عملاقة

سألها «فرانشيسكو»

- ألم يطأ أى رجل «روزا» ؟

- الرجال هناك ليسوا رجالا سكنت هناك فى الحى الفقير وكانوا

يحترموننى وذات مرة ، أراد قزم أن يعترض طريقى فى قاعة الرقص رشقت

الهلل فى رقبة هذا القبيح فوق على الأرض انطلق الجميع يضحكون

(١) أى الدخول الى ميناء «باهيا»

كان الرجال مستمتعين بحديثها ، فقد ذهب الى «ريو» الى أرض أخرى وأظهرت من هي «روزا بالميراو» نظرت الى «جوما» وتابعت
- لقد ذهبوا الى حد أنهم قالوا اذا كانت امرأة من «باهيا» هكذا فكيف سيكون حال الرجال ؟

- لقد تركت شهرة يا «روزا» هه ؟

- كان لى جار لا أعرف ماذا اعتراه حتى يحاول ذات يوم أن ينقض على لم أشجعه لأننى كنت متعلقة بخلاسى يرقص السامبا ، وذات ليلة ، جاء الى غرفتى يحدثنى حديثا طويلا لا ذيل له ولا رأس ، كان يتكلم وينظر الى السرير وانقض على ، قلت له «جر قدميك واخرج من هنا» كان واثقا فى نفسه ، وكان يدير عينيه نحوى أنذرتة «ان رجلى على وشك الوصول فأجابنى بأنه لا يخاف من رجل: سألته «ومن امرأة هل تخاف ؟ فأجاب من فتننتها فقط كان يجول بعينيه فى جسدى قلت له إنه من الأفضل أن يذهب ولكنه لم يرد أن يسمع شيئا
لقد خلع بنطلونه بالفعل أتعرف أن ذلك يثير اشمئزازى ؟

ضحك الرجال معبرين عن استمتاعهم بالنهاية مقدما
وماذا حدث له ؟

- أمسكته من عنقه وسحبته الى الباب كان لا يزال ينظر لى بوجهه الحيوانى وهو ممد على الأرض
- حسنا فعلت ، أيتها الزنجية !

- إنكم لم تسمعوا البقية ، كنت أحسب أن الحكاية ستنتهى هكذا لكن ذلك لم يكن شيئا فيما بعد ، وصل رجلى الخلاسى ولم أقل له شيئا ولكن غضب المخبول كان شديدا لدرجة أنه مع دقة منتصف الليل أحاط البيت بما يزيد على نصف دسته من الرجال كان رجلى قوى البنيان ولا يشك أحد فى ذلك وكانت معركة عنيفة .. كان المساكين يظنون أن الحكاية بسيطة، ينقضون على

«يوكا» ويأخذوننى ويذهبون بى ولكنهم رأوا أن المسألة صعبة فأحدهم تمزق وجهه وكنت أمسك المدية فى يدى كانت معركة دامية تشبه صيد السمك بالخناجر ، وقرب نهاية المعركة ، كانت الشرطة على الباب وذهب الجميع الى قسم الشرطة

- هل دخلت سجن «زيو» ؟

- كلا ، لم أدخل عندما وصلت رويت كل شىء للمأمور وأخبرته أن «روزا بالميراو» لانتضرب هكذا كان المأمور من «باهايا» ضحك ويقول إنه يعرفنى وتركنى أمضى فتكلمت من أجل «يوكا» فتركه يذهب أيضا أما الآخرون فقد تحفظ عليهم ماعدا واحدا منهم أرسلوه إلى المستشفى وبه بعض الجروح
- كنت محظوظة مع المأمور

- ولكن ، عندما بحثت عن «يوكا» ؟ أين ذهب ؟ لم أره بعد ذلك لقد خاف منى

كان البحارة يضحكون ، وكئوس «الكاشاسا» تفرغ فى لمح البصر ودفع المعلم «مافويل» الحساب من كان يجرؤ على القول بأن «روزا بالميراو» قرية ؟ كان «جوما» يفترسها بعينيه إن لها أسطورة وتعرف القتال ولكن لها جسدا رائعا وعينين عميقتين قالت له «روزا بالميراو»

- لم أتعارك قط مع الرجال الذين يروقون لى اسأل فى ذلك أيا كان لكنها لم تر أى خوف فى عينيه

خرج الرجال من الحانة فى وقت متأخر . ذهب العجوز «فرانشيسكو» والمعلم «مانويل» أيضا تعب من الانتظار سأل المعلم «بابو» روزا بالميراو

- ألن تذهبنى لتنامى ؟

- سألقى نظرة فى الخارج

منذ وقت طويل لم تمارس الحب مع رجل على الشاطئ، كثيرون من يعتقدون أنها تجيد العراك فقط وأن الحياة بالنسبة لها ماهى إلا شجار ، وحد السكين وبريق المدينة وبما أن الرجال الشجعان يصبحون نجوما فى السماء فإنها ستكون يوما بينها ولكن الحياة بالنسبة لروزا بالميراو لم تكن شجارا فحسب كان أكثر ماتحبه ، هو المزيد من الشجار ، و«الكاشاسا» والمناقشات، أن تكون هكذا بين ذراعى «جوما» ممددة على الشاطئ وديعة امرأة بالغة الأنوثة تداعب شعره وتتغنج عيناها عميقتان كالبحر ، ومثل البحر تتلونان إنهما خضراوان خضراوان من الحب فى الليل على الشاطئ إنهما زرقاوان فى الأيام الهادئة ، ويلون الرصاص عندما تنذر الأمواج الساكنة بالعاصفة عيناها تبرقان ويدها اللتان تجيدان استخدام السكين والمدينة ناعمتان فى هذه اللحظة وهما تمسكان برأس «جوما» التى ترتاح عليهما وفمها المعتاد على الشتائم رقيق وبيتسم بحب لم يحبها أحد قط كما تريد كانوا جميعا يخافون منها ، من الخنجر ، ومن المدينة ، ومن جسدها الفاتن ، كانوا يعتقدون أنها إذا أصابها الملل يوما فسيظهر الخنجر والمدينة ، ويتزلق جسدها من بين أصابعهم لم يحبوها قط بلا خوف لم تر قط عينين صافيتين فى مثل صفاء عيني «جوما» كان يحبها لم يكن يخاف منها حتى أولئك الذين كانت لهم الشجاعة لينظروا الى جسدها الرائع على الرغم من الخنجر والمدينة لم يثبتوا نظرهم قط فى عيناها لم يلحظوا قط رقة عينيها اللتين بلون البحر ، النهمتين للحب ، عينين رقيقتين لامرأة رأى «جوما» هاتين العينين وفهم لذلك فإن يدعى «روزا بالميراو» تداعبان شعص «جوما» وشفتيها تبتسمان ، وجسدها يرتعش

بعد مضى ثلاث ليال ، كان «الباسل» ينزلق فوق مياه نهر «الباراجواى» وعطر فاكهة ينبعث من قاع المركب كانت الريح تدفع المركب ولم تكن هناك حاجة

للامساك بالدفة ، فالبحر كان هادئا ، كانت النجوم تتلألأ فى السماء وفى البحر
وجاءت «يمانجا» لترى القمر ، وتبسط شعرها فوق المياه الهادئة
«روزا بالميراو» - مدية تحت تنورتها وخنجر فى قميصها - همست فى أذن
«جوما»

- سوف تسخر منى وتعتبرنى بلهاء أتعرف ماذا أود امتلاكه ؟
- ماذا ؟

كانت تنظر الى مياه النهر كانت تريد أن تبسم ، ولكنها كانت مضطربة
- اقسام لك أننى أريد ابنا ، ولدا صغيرا أعتنى به وأربيه لا ، لاتضحك
لم تخجل من الدموع التى كانت تتساقط فوق الخنجر فى قميصها ، والمدية
تحت تنورتها

القانون

عادت مراكب الصيادين الى الميناء وبعضهم لم يغط تكاليف الرحلة عاد
«روفينو» بقاربه من وسط الخليج أما المراكب التى فردت أشرعتها ورفعت الهلب
فقد عادت وألقته وطوت الأشرعة ومع ذلك ، كان البحر هادئا والسماء صافية
كانت الشمس ساطعة تسطع أكثر من العادة من أجل ذلك أيضا عادت
مراكب الصيد وأرسى «روفينو» قاربه فى ميناء «لينيا» الصغير طوت المراكب
أشرعتها وغيّرت المياه لونها فتحول الأزرق الى رصاصى «سيفريانو»
المراكبى الحازم كان يمشى بطول الرصيف غادر الكثيرون السوق عندما رأوا
المراكب الشرعية لم تبحر وصعدوا بالمصعد ومع ذلك ، ظل أغلبهم هناك لأن
الطقس كان لطيفا والسماء صافية والبحر هادئا والشمس ساطعة بالنسبة لهم
لم يتوقعوا حدوث شىء

اقترب «سيفريانو» وتحدث الى كل من المعلم «مانويل» و «جوما»

- سيكون اليوم فظيحا

- لكى يبحر المرء ، لابد أن يكون مجنوننا

كانوا ينفثون دخان الغليون ، وكان البعض يدخلون الى السوق ويخرجون منه.

كانت الشمس تسطع على أحجار الرصيف الصغيرة وفى نافذة أحد المنازل

كانت امرأة تنشر فوطة ومن فوق سلم متحرك كان بعض البحارة يغسلون

مقدمة سفينة بدأت الريح تعوى وتثير الرمال وسأل «سيفريانو»

- أ يوجد كثير من الناس فى البحر ؟

تلقت المعلم «مانويل» حوله كانت المراكب تتأرجح فوق الأمواج الصغيرة

- حسبما أعلم لا أولئك الذين أبحروا هم من نواحي «ايتاباريكا» أو البحر

الكبير

- لا أحب أن أبحر فى ساعة كهذه

انضم العجوز «فرانثيسكو» الى الجماعة التى كانت تتزايد ، وقال

- لقد غرق «جواو بيكينو» فى يوم كهذا

كان «جواو بيكينو» فى ذلك الحين صاحب مركب شراعى ، وكان أفضل من

يعرف مهنته فى كل الميناء امتدت شهرته الى بعيد وكان رجال «بينيدو»

و«كارافيللا» و «اراكاجو» يتكلمون عنه كان مركبه يذهب أبعد من المراكب

الأخرى، لا يخشى العواصف كان يعرف هذه الممرات جيدا لدرجة أنه عمل يوما

كمرشد كان يقود البواخر الى الميناء فى ليالى العاصفة ، يذهب بعيدا ، تتقاذفه

الأمواج ، ليأتى بها متفاديا مخاطر الحاجز ، الوعرة فى ليالى العاصفة

فى ليلة هادئة كتلك - فيما عدا أن البحر كان بلون النحاس - خاطر بالخروج

الى البحر وكانت إحدى السفن قادمة الى «باهيا» لأول مرة ، وكانت لا تعرف

طريقها ، ولم يعد «جواو بيكينو» من هذه المغامرة خصصت الحكومة معاشا لزوجته لكنها أُلغته بعد ذلك فى إجراءات تقشف واليوم لم يبق من «جواو بيكينو» الا شهرته فى الميناء

كان العجوز «فرانشيسكو» الذى يعرفه ، قد روى خكاية «جواو بيكينو» مئات المرات وكان الجميع ينصتون لها دائما باكبار ، ويقال إن «جواو بيكينو» كان يظهر فى لياالى العاصفة رآه الكثيرون مبحرا فى المراكب الشراعية يبحث عن السفينة المفقودة فى الضباب اليوم أيضا يبحث «جواو بيكينو» عن السفينة ولن يرتاح الا اذا قادها الى الميناء ، عندئذ فقط سيبدأ رحلته الجديدة به مع «يمانجا» الى الأراضى المجهولة

هذه الليلة كانت احدى الليالى التى يظهر فيها عندما تهب الريح وتعوى لترتجف البيوت، وعندما يهبط الليل على الميناء ، سيأتى مبينا الطريق الى السفينة التى غرقت سوف يمر من فوق المراكب ، ويخيف أولئك الذين سيكونون فى البحر

اقترب أحد المراكب من الرصيف تدفعه الرياح التى تعوى بشدة كان جامحا وكانت الأشرعة ممتدة الى آخرها وتطلع الرجال

– إنه «شافيه» الذى أتى

– إنه فعلا «الكابوريه»

اقترب المركب وأمكنهم قراءة الاسم مكتوبا بالأسود «كابوريه»

قال مانويل

– لم أر اسم مركب أكثر قبحا من هذا الاسم

وقاطعه «فرانشيسكو»

– إن له مايبرره ، من يعرف حياة الآخرين ؟

- لم أقصد شيئا كنت أريد أن أقول

كانت الرياح تزداد عنفا فى كل لحظة ، ولم تعد المياه هادئة .. ومن بعيد ، كان صرير الريح يأتى قويا قاسيا وأخذت الأرصفة تفرغ شيئا فشيئا ربط «شافيه» مركبه وانضم الى الجماعة وقال

- الطقس سيء

- وهناك كثيرون فى البحر ؟

- قابلت فقط «أوتونييل» لكنه كان بالقرب من «ماراجوجيب».

هاج البحر وارتفعت الأمواج ، وكانت المراكب تعلق وتهبط استدار «مانويل» الى شافيه»

- أيمكننى أن أسالك لماذا أسميت مركبك بهذا الاسم ؟

قطب «شافيه» حاجبيه كان خلاصيا قصيرا وسمينا ذا شعر ناعم

- إنها حكاية وقعت لى ، لا أهمية لذلك

هبب العاصفة على المدينة وعلى البحر لم يبق غيرهم فى محيط السوق كانوا يشكلون جماعة يرتدون الملابس المشمعة التى ينزلق عليها المطر بدت الرياح صاخبة ، وعليهم أن يتكلموا بصوت عال صاح «مانويل»

- ماذا تقول

- أتريد أن تعرف ؟ إنها حكاية مع امرأة، حكاية قديمة حدثت فى الجانب الآخر ، هناك فى الجنوب ، كانت حماقة ، لاداعى لها ، كما تعرف لا يستطيع أحد أن يخمن مايدور برأس المرأة من أفكار لماذا أسمتني هى «كابوريه» ؟ هى وحدها التى تستطيع أن تقول ، ولم تقله أبدا لكنها كانت تضحك تضحك كثيرا

راحت الريح تذهب بكلامهم ، وكان الرجال ينحنون ليسمعوا بشكل أفضل

خفض «شافيه» من صوته :

- لماذا أسمتني «كابوريه» ؟ مامعنى هذا ؟ لا أعرف شيئاً ، كانت تضحك فى كل مرة أطلب منها ذلك وظل الاسم على المركب لاداعى لأن يندهش الآخرون.
مط «شافيه» شفقيه غضباً وصاح

- ألم تحب امرأة قط ؟ اذن فلم تعرف الشقاء إننى أفضل ألف مرة وليغفر لى الله ! - ووضع يده على فمه - عاصفة مثل هذه على امرأة خائنة ، على امرأة كتلك تمضى حياتها فى الضحك لقد أسمتني «كابوريه» يعلم الشيطان لماذا ولماذا رحلت ؟ لم أفعل لها شيئاً ذات يوم ، عندما رجعت ، كانت قد رحلت واختفت فى هذا العالم - وتركت كل شىء هكذا لقد بحثت عنها حتى فى البحر قد تكون غرقت أنذهب لنشرب نخبا ؟

ذهبوا الى «منارة النجوم» حيث كانت «روزا بالميراو» تغنى كانت الرياح تثير الرمال قال «شافيه»

- لا أهمية لذلك ومع ذلك أفكر فيه لقد أسميت المركب «كابوريه» وأسمتني هى «كابوريه» وقبل ذلك بقليل قالت لى إنها حامل منى ثم رحلت والطفل فى بطنها

قال له «جوما» يواسيه

- سوف تعود يوماً

- اذا عادت فسوف أحنقها

- بسبب اسم المركب ، فيما أظن

- إذا لم أفعل ذلك ، فسأموت من العار

وقال كلمات أخرى حملتها الرياح ، لم يعوبوا يسمعون صوت «روزا بالميراو» حلت الظلمة ولم يعوبوا يسمعون الأصوات التى تأتى من حانة «منارة النجوم» صاح الرجل نو المعطف على المعلم «بابو»

- كنت أظن أن لديك رجالا هنا ولم أجد إلا جناء !
كانت الحانة فارغة . وكانت «روزا بالميراو» وحدها تنصت باهتمام، رفع المعلم
«بابو» يديه فى حركة يائسة لم يجد مايعتذر به
- ولكن العاصفة ليست لعب عيال ، ياسيد «جودو فريديو»
- جناء ! لم يعد هناك رجال شجعان فى هذا الميناء ، أين الرجال من عينه
جواو بيكينو ؟
اقترب الذين دخلوا الى الحانة كان المعلم «جودو فريديو» من شركة الملاحة
«الباهيانية» غاضبا
سأل «مانويل»
- ماذا حدث يا معلم «جودو فريديو» ؟
- ماذا حدث ألا تعرف إن «الكانا فييراس» فى الخارج لاتستطيع
الدخول.
- وهل القائد لايعرف الخليج ؟
لا يعرف الا شكله إنه انجليزى قدم حديثا لا يعرف شيئا بعد كما
ينبغى، أتيت أبحث عن رجل استخدمه كمرشد
بصق بغضب
- ولكن لم يعد هناك رجال شجعان فى المراكب !
تقدم «شافيه» ولكن «فرانشيسكو» الذى كان يفكر فى تقديم نفسه منعه
وجذبه من وشاحه
- هل تحدث السيد عن «جواو بيكينو» ؟ ماذا جنى ؟ ولا حتى راحة الجحيم
إنه يطوف هنا ويفزع الناس ماذا جنى ؟ لقد دفعوا لزوجته راتبا شهريا
شكليا ولكنهم منعه بعد ذلك اللعبة لا تساوى هذا العناء ..

- ولكن هناك أسرا فوق السفينة

- نحن أيضا لدينا أسر ماذا ستجنى هذه الأسر ؟

رد المعلم «جودو فريدو»

- إن الشركة تعطى مائتى ميلرايس لمن يرغب فى الذهاب الى هناك

قال «شافيه» الذى جلس وطلب كأس «كاشاسا»

- الحياة رخيصة جدا ، هه؟

ضحكت «روزا بالميراو» بصوت عال وقالت

- أمى زوجتك التى ستأتى ، فى هذه السفينة يا جودو ؟ أم هى صديقتك ؟

- اغلقى فمك يا امرأة ، ألا تفهمين أن السفينة مملوءة ؟

كان الناس فى الميناء لا يحبون المعلم «جودو فريدو» كان قد بدأ كعامل فنى فى إحدى سفن الشركة الباهيانية ولا أحد يدرى كيف أصبح قائدا ، لم يستطع أحد قط أن يعرف أما هو فكان يجيد اضطهاد البحارة فمنذ اليوم الذى عجز فيه عن ادخال السفينة «ماراو» الى ميناء «ايلياوس» أعطته الشركة وظيفة مكتبية وأخذ يتعقب بقدر ما يستطيع رجال المراكب الشراعية ومراكبية القوارب والحمالين.

- السفينة مليئة بالركاب ، ولكن أين هم اذن رجال الميناء ، فى السابق لم تكن

سفينة تضيع هكذا

- هل للسيد أحد أفراد العائلة فى السفينة «كانا فييراس» ؟

نظر الى «فرانشيسكو» وأجابه

- أعرف أنك تكرهنى ابتسم - لا أطلب الا انقاذ أحد أفراد عائلتى أليس

كذلك ؟ ولكننى لا أطلب إننى أدفع ، مائتى ألف رايس لمن يذهب

وصل رجال آخرون ، وكرر «جودو فريدو» عرضه . نظروا اليه مندهشين .

شافيه الذى كان يشرب على احدى الموائد صاح

- لا أحد هنا يريد أن يقتل نفسه ، ياسيد «جودو فريديو» دع الانجليزى يتدبر

أمره

سأل «جوما»

- لماذا لايرسلون قاطرة ؟

انتفض المعلم «جودو فريديو» قائلاً

- كان عليهم أن يرسلوا قاطرة نعم ولكن الشركة تقول إن ذلك مكلف جدا

إننى فى حاجة الى رجل شجاع الشركة تدفع مائتى ألف رايس

كانت الريح تهز باب «منارة النجوم» ولأول مرة سمعوا صفارة باخرة تطلب

النجدة رفع المعلم «جودو فريديو» ذراعيه كان ضئيلا فى معطفه السميك قال

للرجال بصوت شبه مداعب

- سأزيد من جيبى مائة ألف رايس وأقسم أننى سأقوم بحماية الرجل الذى

سيذهب كانوا فى غاية الدهشة ولكن لم يتحرك أحد التفت المعلم «جودو

فريديو» الى «روزا بالميراو»

- «روزا» أنت امرأة لكنك أكثر شجاعة من الرجال اسمعى «ياروزا» إن ولى

الاثنين على متن السفينة ، لقد ذهب يقضيان الأعياد فى الياوس. ألم ترزقى بأبناء

قط ، ياروزا ؟

همس «فرانشيسكو» فى أذن «جوما»

- لقد أصبت أنا عندما قلت إن أحدا من عائلته على متن السفينة

مد «جودو فريديو» يديه الى «روزا» كان مثيرا للشفقة ، ضئيلا فى معطفه

التمين كان وجهه قلقا وصوته مبوحا

- ارجيهم أن يذهبوا لاتقاذ السفينة ، ياروزا سأعطى مائتى ألف رايس لمن

يذهب ، وسأحميه مدى الحياة أعرف أن أحدا لا يحبني ولكنهما ولداني
- والدك

كانت «روزا بالميراو» تراقب الجو وقد أخذ في الاظلام
اتجه «جودو فريديو» الى المائدة أمسك رأسه بيديه الناعمتين ، وكان كتفاه
يهتزتان ويشبهان المراكب فى البحر
قال «مانويل»

- إنه يبكي

نهضت «روزا بالميراو» ولكن «جوما» كان قد اقترب من «جودو فريديو»
- لا تبك ، سأذهب الى هناك

ابتسم العجوز «فرانشيسكو» كان ينظر الى الذراع التى كتب عليها اسم أخيه
وأسماء مراكبه لا يزال هناك مكان لاسم «جوما» أزاح «شافيه» كأسه وقال
- مجنون ! لا فائدة من ذلك

خرج «جوما» فى العتمة ، كانت عينا «روزا بالميراو» تسطع بالحب ، مد «جودو
فريديو» يده

- ارجع ولى

اختفى فى الليل الذى هبط سريعا رفع الأشرعة ودفع مركبه ضد الريح
كان لا يزال يرى أشباح الذين رافقوه حتى الرصيف كانت «روزا بالميراو» والعجوز
فرانشيسكو» يحييانه صاح «شافيه»

- تحياتى الى «جانينا» !

استدار المعلم «مانويل» غاضبا

- لا يليق أبدا القول بأن رجلا يذهب للموت

ورفع عينيه رأى شبح المركب الذى يبتعد فى البحر الرصاصى وقال :

- إنه لا يزال طفلا ...

اختفت النجوم ولم يبرز القمر فى تلك الليلة ، ولهذا السبب لم تكن هناك أغان فى البحر ، أو أحد يتكلم عن الحب كانت الأمواج تتدافع يتبع بعضها بعضا فى الخليج نفسه وفيما وراء حاجز الأمواج كيف يكون ذلك فى حين أن البحر «فيما وراء الحاجز كان حرا» ؟

ابتعد «الباسل» عن الميناء بصعوبة وكان «جوما» يحاول أن يرى مايقع أمامه، ولكن كل ماحوله كان مظلمًا ، كانت الصعوبة فى أن يخترق هذه المسافة ضد الريح بعد ذلك ستكون رحلة شاقّة بسبب الرياح الغاضبة فى بحر لم يعد بحرا للقوارب والمراكب الشراعية إنه بحر السفن الكبيرة

كان «جوما» لايزال يميز ظلال الرصيف و«روزا بالميراو» التى تلوح بيدها هى المرأة الأكثر شجاعة والأكثر رقة بين من عرفهم لم يبلغ «جوما» من العمر إلا عشرين عاما ولكنه أحب نساء كثيرات ولا واحدة منهن باستطاعتها أن تكون مثل «روزا بالميراو» رقيقة للغاية بين ذراعيه إن البحر مثل «روزا بالميراو» فى أيام المشاجرات البحر بلون الرصاص قفزت سمكة فوق سطح الماء بالنسبة له لا أهمية للعاصفة على الاطلاق إنها تمنع الصيادين من العمل وشيئا فشيئا أخذ المركب يعبر مياه الميناء حاجز الأمواج قريب الرياح تدور حول القلعة القديمة ، وتدخل من النوافذ المهجورة وتلعب بالقوارب المهملة لم يعد «جوما» يرى إلا أشباحا على الرصيف من المحتمل أن «روزا بالميراو» تبكى الآن إنها ليست بالمرأة التى تبكى بسهولة ، لكنها تريد أن تنجب طفلا ونسيت أن الأوان قد فات إنها لم تتخذ من «جوما» حبيبا وأبنا ، لماذا ، فى ساعة الموت هذه ، يفكر فى أمه التى رحلت ؟ إن «جوما» يحاول ألا يفكر فيها إن «روزا بالميراو» بها شىء من الأم فى حنانها لم تعد شابة وتدله كابن وغالبا ماتتسى القبلات المفعمة بالرغبة ، فتقبله برفق قبلات أمومية

قفز المركب فوق الأمواج ، يتقدم بصعوبة ، وبدا حاجز الأمواج وكأنه دائما فى

نفس الموضوع ، قريب بقدر ماهو بعيد خلع «جوما» قميصه المبلول لقد عبر الأمواج بمركبه من طرف الى آخر ، ماذا يحدث عندما يغادر الخليج ؟ إن «روزا بالميراو» تريد انجاب طفل لقد تعبت من اعطاء نفسها للجنود ، ومن الحياة فى السجن ، تعبت من المدية تحت تنورتها ومن الخنجر تحت قميصها ، تريد أن يكون لها ابن تدلله وتغنى له وتهدهه لينعس ذات مرة ، نعس «جوما» بين ذراعيها وكانت «روزا» تغنى

«نم،نم ياوليدى الصغير

لأن الغولة سوف تأتى

نسيت أنه حبيبها ، فجعلت منه ابنا كانت تهدهه فوق ثديها أ يكون ذلك ما اثار غضب «يمانجا» فهمى وحدها دونا «جانينا» التى بمقدروها أن تكون أما وزوجة وهى كذلك بالنسبة لكل رجال الميناء ، وهى أيضا حامية كل النساء كانت «روزا بالميراو» تتمنى على «يمانجا» أن يعود «جوما» حيا وربما نذرت لها - ألا تمارس الحب - المدية التى تحت تنورتها والخنجر الذى تحت قميصها غسلت موجة أخرى المركب ، فى الحقيقة كان «جوما» يفكر بأنه من الصعب أن يعود حيا. اليوم ، سيكون دوره كان يفكر فى ذلك نون هلع ، لقد جاء دوره أسرع مما كان يتصور، وكان لابد أن يأتى ، ولن يفلت كان يأسف فقط لأنه لم يحب بعد امرأة كتلك التى تمناها ذات ليلة على دونا «جانينا» امرأة تنجب له ابنا ليرث مركبه ويسمع الحكايات من العجوز «فرانشيسكو» لم يقم كذلك بالتجوال فى الموانئ الأخرى كما كان يتمنى ولم يذهب مثل «شيكو تريستييزا» الى بحار أخرى وبلاد مجهولة فهل سيذهب الآن مع «يمانجا» التى يدعوها المراكبية دونا «جانينا» ويدعوها الزوج أميرة «أيوكا» ليطوف تحت الماء ؟ ربما ترافقه الى أرض «أيوكا» التى هى أرضها إنها أرض كل رجال البحر وأميرتها دونا «جانينا» أرض «أيوكا» بعيدة تتلاشى عند الأفق حيث تأتى «يمانجا» فى الليالى المقمرة !

أين إذن حاجز الأمواج الذى لا يبلغه المركب أبداً يقبض «جوما» بحزم على الدفة وحتى مع ذلك تصعب عليه المحافظة على توازن المركب فى مواجهة الريح.. مر تحت ظلال القلعة القديمة ، بعد الحاجز الرملى كانت سفينة تصفر كانت الريح تحمل صرخة السفينة المكتظة بالركاب لم يكن من أجل المكافأة أن ذهب «جوما» بالباسل ليحاول اقتيادها الى الميناء ، حتى هو نفسه لا يدري ، لماذا يواجه العاصفة هكذا لم يكن ذلك بالتأكيد من أجل المال ماذا سيفعل بالمائتى ألف رايس ، أو حتى بأكثر منها ، اذا وفى «جودو فريديو» بوعده ؟ سيشتري هدايا لـ «روزا بالميراو» وحلة جديدة للعجوز «فرانثيسكو» وربما شرعاً للباسل. سوف ينفقها لأنه ليس من أجل مائتى ألف رايس يذهب الإنسان الى الموت ، وليس كذلك لأن «جودو فريديو» له ولدان فى السفينة «كانا فييراس». وأنه بكى كطفل تائه كلا ليس من أجل ذلك بل وبالضبط لأن نداء حزينا كان يأتى من السفينة طلباً للنجدة ، وأن قانون الميناء يوجب مساعدة أولئك الذين يطلبون النجدة فى البحر هكذا ، ستكون «يمانجا» راضية عنه ، واذا ما عاد حيا فإنها ستطويه المرأة التى طلبها، لم يعد باستطاعة «جوما» أن يرد على نداء السفينة التى لا بد أنها بالقرب من منارة الخليج تنتظر النجدة بينما يحاول أفراد طاقمها تهدئة الأطفال والنساء. سفينة بلا هدف ، مفقودة بالقرب من الميناء ، بسببها أبحر «جوما» فى العاصفة لأن السفينة أو القارب أو المركب الشراعى ، أو أى شىء آخر فى البحر ، هو وطن رجال الميناء ، شعب «يمانجا» حتى هم أنفسهم لا يعرفون أن أسطح السفن وأشربة المراكب الممزقة هى أرض «أيوكا» التى أميرتها «جانينا» اقترب من حاجز الأمواج ، وفى القلعة القديمة كان ضوء يتأرجح ويتقدم مثل شبح زعق «جوما»

– «جيريمياس» أوه ! «جيريمياس»

ظهر «جيريمياس» ممسكا بالمصباح – سقط الضوء على البحر وقفز مع الأمواج ، سأل «جيريمياس»

- من هناك ؟

- جوما !

- أى شيطان حل بك ، يا ولد ؟

- أبحث عن السفينة «كانا فييراس» التى فى الجانب الآخر من الحاجز

- وهى.. ألا تستطيع الانتظار الى الغد لدخول الميناء ؟

- إنها تطلب النجدة

تخطى حاجز الأمواج كان «جيريمياس» لا يزال يصيح وهو يجيل ضوء

مصباحه

- رحلة موفقة ! رحلة موفقة !

أدار «جوما» الدفة كان «جيريمياس» أيضا فاقد الأمل فى أن يراه ثانية ، لم

يعد يأمل فى رؤية «الباسل» يمر ثانية أمام حاجز الأمواج ، لن يغنى «جيريمياس»

بعد ذلك أبدا من أجل «جوما» فهو «جيريمياس» الذى يغنى فى الليل

مأطلى الموت فى البحر!

عندئذ بدأت رحلة مجنونة كانت الريح تدفعه. كاد المركب ينقلت عند القيام

بمناورة لتغيير اتجاهه الآن ، الريح تسحبه ، غطت المركب بالماء ، وبللت شعره ،

كانت تصفر فى أنفيه كانت الريح تهب من كل جانب على المركب فاطفأت

المصباح ، وكانت أضواء المدينة البعيدة تمر بسرعة إنها رحلة بلا نهاية

والمركب يميل على جانبه ، ويتشبث هو بالدفة ، الى أين تسحبه هذه الريح ؟ بلل

المطر جسده وكان يصفع وجهه ، لم يكن يميز شيئا فى الظلمة نداء السفينة

«كانافييراس» كان وحده دليله قد يذهب بعيدا عنه ، وقد يغرق المركب فى

«ايتاباريكا» أو يصطدم جانبه بصخرة فى وسط الخليج لم توات أحدا الشجاعة

ليأتى حتى «جيريمياس» استغرب عندما رآه يمر . و«جيريمياس» جندى قديم ،

يقيم هناك فى القلعة ، وحيدا كفأر ، منذ أن تقاضى معاشه لأنه عجوز بما يكفى
ذهب ليعيش هناك وسط الماء ، حتى لايفارق القوارب والأشياء التى تذكره بالتكنة
والسلاح لقد تبع مصيره حتى النهاية حتى «جوما» يتبع مصيره الذى هو
مركبه، لقد ألقى بنفسه فى خضم رحلة مجنونة أمن الممكن ألا يعود أبدا
ويكتشف الرجال جثته فى الغد ، ويكتب العجوز «فرانشيسكو» اسمه على ذراعه
ويحكى حماقته للرجال فى الميناء ، لايد أن تنساه «روزا بالميراو» وتحب رجلا آخر،
وتفكر فى أن تنجب ابنا ، ولكن ، رغم ذلك فان قانون الميناء لايد أن يحترم وسوف
تبقى حكايته مثلا يحتذى فى زمن آخر

لم يكن يسمع صفارة السفينة وكانت أضواء المدينة تكاد لاترى وعلى
الرغم من كل جهوده فقد ابتعد المركب كثيرا عن الطريق الواجب اتباعه واقترب
من عرض البحر كانت سواحل «ايتاباريكا» قريبة جدا اجتهد فى الامسك
بالدفة ليسلك طريقه ويوجه المركب كم سيستغرق ذلك من الوقت ؟ وكم ساعة
سيظل يجرى هكذا ؟ كان ينتظر النهاية بفارغ الصبر واذا لم ينجح فى العثور
على «الكانافييراس» لماذا لاتحين ساعة «يمانجا» فى التو ؟

إنه لايزال صغيرا على الموت ، لايزال يرغب فى امرأة شابة – مثلما كانت دونا
«دولشى» عندما كان يذهب الى المدرسة – امرأة شابة تكون له وحده لن يترك
أبناء ، ومركبه سوف يتحطم الى أشلاء إنه لا يخشى الموت ، ولكنه يعتقد بأن
الوقت لايزال مبكرا لكى يموت ، يريد أن يموت بعد أن يخلف وراءه حكاية تروى
على طول الأرصفة لايزال الوقت مبكرا من أجل الذهاب مع دونا «جانينا» لم
يكن قد أصبح بعد المشرف على «الكاندومبليه» الخاص بها ولم يغن بعد
أناشيدها ولم يضع بعد خرزتها الخضراء حول رقبتة

يضع حول عنقه الميدالية التى أعطته إياها دونا «دولشى» سوف تحزن دونا
«دولشى» عندما تعلم بموته إنها تفهم أن حياتهم حياة قاسية دوما ، بالقرب

من الموت ، وتنتظر معجزة ، من يدري إن كانت هذه المعجزة سوف تتحقق ؟ لذلك لا يريد «جوما» أن يموت لأنه فى اليوم الذى تحدث فيه المعجزة سيكون كل شىء جميلا ولن يكون هناك مثل هذا البؤس فى الميناء ولن يخاطر رجل بحياته من أجل مائتى ألف رايس

ومن جديد عاد الى الطريق الصحيح سمع نداء السفينة وصفيرها ، ولكن موجة عاتية انتزعت «جوما» من الدفة

أخذ يسبح نحو المركب الذى كان يتخبط ويدور حول نفسه بفعل الرياح ، ربما ينتهى كل شىء فى هذه اللحظة ، لم تأت ساعة موته بعد لأن امرأته لم تأت بعد، كان يسبح يائسا حتى بلغ أحد جانبي المركب وأمسك بالدفة ولكنه أدار ظهره للسفينة التى ظهرت أخيرا من بعيد كان يصارع الرياح والمياه وجسده الذى كان يرتجف من البرد

واصل طريقه من جديد ، وهو يصر على أسنانه ، لم يبد أى خوف، كان يريد أن ينتهى من كل ذلك مرة واحدة والى الابد ، ومن قريب بشكل كاف كانت السفينة تسطح بالأضواء ، وسقط المطر ثقيلًا ، ومزقت الريح الشراع ، ولكنه كان يصيح بالقرب من جسم السفينة «كانا فييراس»

– سلم

أسرع بعض البحارة وألقوا بحبل علق بالباسل، بعد ذلك كانت النقلة الصعبة من المركب الى السلم المهتز على جانب السفينة ، وكاد يسقط مرتين ، لو سقط فلن تكون هناك نجاة لأنه سيهرس بين المركب والسفينة

ابتسم كان مبتلا تماما ، ومع ذلك كان سعيدا لابد أنهم فى الميناء وفى هذه اللحظة يعتقدون أنه مات ، وأن جثته تبحر مع «يمانجا»

صعد الى غرفة القيادة أسلم له الانجليزى قيادة السفينة، أدار الفتيون الماكينات ، وأضرم عمال الوقود النار فى المراجل وأخذ الملاحون يجرون

مناوراتهم إنه «جوما» الذى يقود ويعطى الأوامر ليس إلا فى ظرف كهذا يصبح رجل من الميناء قائد سفينة ويفضل «يمانجا» وحدها لن يكون ذلك الا لليلة واحدة ففى الغد ، لا الانجليزى ولا المعلم «جودوفريدو» سيعرفانه عندما يمر بالباسل ، ولن يعطيه أحد لقب بطل «جوما» يعرف ذلك ، ويعرف أن الأمر كان دائما هكذا ، وأن معجزة فقط كتلك التى تنتظرها دونا «دولشى» يمكن أن تغير هذا القانون

بعد مضى ساعة - ولاتزال العاصفة تهب على المدينة وعلى البحر - وصلت السفينة «كانافييراس» الى الميناء ، وكان شراع «الباسل» قد تمزق وتحطم هيكله من أثر اصطدامه بالسفينة ، وكانت الدفة قد انكسرت الى قطع يقال فى الميناء ، إن «جواو بيكينو» لن يعاود الظهور أبدا لأن السفينة عرفت طريقها الى الميناء ، منذ ذلك اليوم ، بدأوا يتكلمون عن «جوما» فى ميناء «باهيا»

يمانجا ذات الأسماء الخمسة

لا أحد فى الميناء له اسم كلهم لهم لقب عائلتى وهم يختصرون أسماءهم أو يطيلونها أو بالأصح يضيفون إليها شيئا يذكر بحكاية أو مشاجرة أو قصة حب أما «يمانجا» فلأنها ملكة الميناء والمراكب الشراعية وملكة حياتهم كلهم ، فلها خمسة أسماء خمسة حلوة يعرفها الجميع اسمها «يمانجا» وهكذا تدعى دائما ، إنه اسمها الحقيقى كملكة المياه وسيدة المحيط أما الزوج أبناؤها المفضلون الذين يرقصون من أجلها ويخافونها أكثر من غيرهم فيدعونها «اينائى» فى قدسية ، أو يتوجهون بابتها لاتهم الى أميرة «أيوكا» ملكة الأراضى العجيبة التى تختفى وراء الأفق الأزرق الذى يفصلها عن الأراضى الأخرى ولكن النسوة البسطاء الباسلات «روزا بالميراو» والمومسات والنسوة المتزوجات والفتيات اللاتى ينتظرن خطيبا يسمونها دونا «ماريا» ، لأن «ماريا» اسم جميل ، أجمل الأسماء كلها ، وأكثرها قداسة . وهن أيضا يسمونها به كهدية ، كما لو كن

يقدمن لها صندوق صابون عند صخرة السد إنها جنية البحر ، أم المياه ، وملكة البحر «يمانجا» دونا «جانينا» ، نونا «ماريا» ، «ايناي» ، أميرة «أيوكا» إنها تسيطر على هذه البحار وتعشق القمر الذى تأتى لرؤيته فى الليالى التى بلا غيوم، وتحب موسيقى الزنوج فى كل عام يحتفلون بعيد «يمانجا» عند السد، وفى هضبة «مونت سيرات» وعندئذ ينادونها بأسمائها الخمسة ، ويحملون لها الهدايا ويغنون من أجلها

المحيط شاسع ، والبحر طريق بلا نهاية ، والمياه أكثر من نصف الدنيا ، إنها ثلاثة أرباع الدنيا ، وكل ذلك ملك «يمانجا» ومع ذلك تمكث هناك فوق صخرة السد فى ميناء «باهيا» أو فى مغارتها بهضبة «مونت سيرات» إن بإمكانها أن تسكن فى مدن البحر المتوسط فى بحر الصين فى كاليفورنيا ، فى بحر ايجيه فى خليج المكسيك ، فيما مضى كانت تقيم على سواحل أفريقيا التى يقال إنها قريبة من أرض «أيوكا» ولكنها أتت الى «باهيا» لترى مياه نهر «الباراجواى» ظلت فى الميناء بالقرب من السد فوق صخرة مقدسة تمشط شعرها «رنجيات جميلات يأتين بأمشاط من الفضة والعاج» وتنصت الى دعوات زوجات البحارة تطلق العواصف وتتلقى الرجال الذين سترافقهم فى رحلة بلا نهاية فى قاع البحر وهناك يتم الاحتفال بعيدها الذى هو أجمل من كل أعياد «باهيا» وأجمل من كل احتفالات «الماكومبا» لأن «يمانجا» معبودة من أوائل المعبودات نوات المكانة التى ولدت منها المعبودات الأخرى

ليس فى ذلك مبالغة بل يمكن القول إن عيدها أجمل من عيد «أوشولوفا»، العجوز «أوشالا» الأكبر والأقوى بين طائفة «الأوريشا» لأن ليلة الاحتفال بعيد «يمانجا» هى الروعة ذاتها ففى تلك الليلة يكون لون البحر بين الأزرق والأخضر، ويظل القمر دائما فى السماء ، وتصطبب النجوم قناديل المراكب الشراعية وتفرش «يمانجا» شعرها بتكاسل على البحر ليس هناك شىء فى العالم أروع -

وذلك مايقوله نوما بحارة السفن الكبيرة الذين يجوبون العالم – من شعر
«يمانجا» المختلط بلون البحر

كان العم «أنسيلمو» هو المتحدث باسم البحارة لدى «يمانجا» فهو المنظم
لطقوس «الماكومبا» فى حى الميناء كان بحارا فسافر الى أراضى أفريقيا حيث
استطاع أن يتعلم اللغة الحقيقية ، ودلالة هذه الاحتفالات وهؤلاء القديسين ، ومنذ
عودته غادر السفينة وبقي فى الميناء ليخلف «أجوستينو» الذى مات، فمنذ ذلك
الحين كان هو المسئول عن احتفالات «يمانجا» يشرف على طقوس «الماكومبا» فى
هضبة «مونت سيرات» وكان بأمر من دونا «جانينا» يعالج المرضى ويسوق
الرياح المواتية للمراكب الشراعية ، ويطرد العواصف المستمرة الى بعيد لم يكن
هناك شخص فى هذا الميناء أو فى هذه المساحة الممتدة من الماء لايحترم
«أنسيلمو» الذى ذهب الى أفريقيا وعرف تلاوة الصلوات بلغة «الناجو» كان
شعرها الأبيض يغطى كل رعس الرجال فى الميناء وفى القوارب.

لم يكن هناك أسهل من المشاركة فى طقوس «الماكومبا» التى ينظمها العم
«أنسيلمو» ، وكان ذلك ضروريا لأى زنجى ليكون بحارا جيدا اذا أراد أن يجلس
بين مريدى «يمانجا» محاطا بالوصيفات اللاتي يرقصن كان «جومبا» خلاسيا
فاتح اللون ، ذا شعر طويل بنى اللون لم يتأخر فى الجلوس على أحد المقاعد
بالقرب من العم «أنسيلمو» فى قاعة «الكاندومبليه» فمنذ أن أعاد السفينة «كانا
فييراس» فى ليلة العاصفة ، ذاعت شهرته من فم لفم ، وأيقن أن «يمانجا» تفضله،
لم يتأخر فى الجلوس بين المريدين محاطا بالوصيفات. فى العيد القادم
«ليمانجا» سوف يعلق تميمتها أخيرا – التى هى حجر أخضر يأتون به من قاع
البحر – وسوف يشارك بين المريدين فى مسارة (١) الوصيفات والكوديات وهن

الكاهنات الزنجيات

(١) الاحتفال بضم عضو جديد إلى الجماعة فى بعض الطقوس والديانات الوثنية مثل
«الماكومبا» و «الكاندومبليه» .

وسوف يعلق معه الزنجى «روفينو» تعويذة «يمانجا» أيضا - سوف يهبان نفسيهما الى الابد للملكة ، البحر للمرأة ذات الاسماء الخمسة ، أم الجميع التى فى يوم، يوم واحد فقط ، تكون أيضا زوجتهم ، من أجل ذلك بالتحديد فإن الزنجى «روفينو» كان يغنى بينما يقود بذراعيه القويتين القارب الفاص بالبضائع وهو يصعد النهر

«اسمى» اوجوم دوليه»

ولا أنكر نسبى

فأنا ابن المياه الصافية

وحفيد «يمانجا»

أما «روفينو» فكان أسود غامق اللون ولكنه خرج من المياه الصافية «يمانجا» كانت جدته أم أبيه الذى كان بحارا مثل جده وأسلافه الأقدمين الذين ضاعت ذكراهم

إن عيد «يمانجا» يقترب موعده ، سيذهب «جوما» فى ذلك اليوم يطلب امرأته، تلك التى تشبه «يمانجا» والتى ستكون عذراء وجميلة تفتن مينا باهيا كل القديسين هذا لأن «روزا بالميراو» أفصحت عن عزمها الرحيل الى بلاد أخرى ، إنها تتطلع الى إنجاب ابن من هذا الشاب الشجاع ابن تهدهده بين ذراعيها المتمرستين على العراك وتغنى له وتناغيه بشفتيها المعتادتين على الشتائم ، ولكن «روزا بالميراو» نسيت أن أوان ذلك قد فات وأنها استهلكت شبابها فى الفضائح ، ولم يبق فيها سوى الرقة التى لم تستخدمها قط ، ولم يبق منها الا إرادة الحب وبما أن الابن لن يأتى فسوف تذهب لتبحث عن مشاجرات فى بلاد أخرى ، وتشرّب «الكاشاسا» فى حانات أخرى ، وتبحر فى مياه بحار أخرى ولكنها لن ترحل قبل عيد «يمانجا» والا فلن تجد ريحا مواتية وستقابل العواصف فى طريقها

لذلك ، ولأن «روزا بالميراو» سوف ترحل ، فإن «جوما» سوف يذكر «يمانجا»

بأن ساعة الوفاء بوعدها قد حانت سوف يقدم لها ، زيادة على المشط من أجل شعرها ، قطعة من شراع «الباسل» من هذا الشراع الذى أصبح ممزقا عند انقاذ السفينة «كانا فييراس»

عيد «يمانجا» يقترب فى ذلك اليوم ، سيفرغ الميناء ، ولن يكون هناك قارب واحد فى البحر أو مركب شراعى واحد يحمل حمولة أو بحار واحد لايجد وسيلة لمغادرة سفينته لبعض الوقت سوف يتجهون جميعا نحو مقام «جانينا» ذات الأسماء الخمسة

«يمانجا» آتية

آتية من البحر

هذه هى أغنيتهم فى تلك الليلة احتفالاً بـ «يمانجا» فى السرداق المقادم هناك والذى يعتبر أكبر سرداق فى «باهيا» وعلى مبعده فى ايتاباريكا يوجد ميناء «لينيا» ميناء المراكبية ، وبينهما يقع مقام يمانجا ، فوق الصخرة البحرية تحتفظ الرمال ببقايا من هياكل المراكب ، وتلمع الأصداف بألوانها المختلفة تحت ضوء القمر. وفى الخلفية الشارع خافت الاضاءة ، وتغنى الأصوات التى تأتى من بعيد:

إيه ! الجنية ،

ستأتى الجنية لتلعب فوق الرمال

إنه يوم عيد «يمانجا» لذلك فإن الشعب يدعوها لتأتى وتلعب فوق الرمال تتراعى مغارثتها تحت ضوء القمر محاطة بشعر «يمانجا» الذى ينتشر فوق البحر، وإذا لم تأت فإنهم سيذهبون الى هناك يبحثون عنها ، انها ليلة عيدها ، إنها الليلة التى تلعب فيها «جانينا»

إن «يمانجا» تلعب فى البحر فى زمن مضى - كما يتذكر الأكبر سنا - كان غضب «يمانجا» عنيفا فى ذلك الزمن لم تكن تلعب لم تجد القوارب والمراكب الشراعية أية راحة ، فقد كانت حياتهم قاسية ، كانت العواصف تضاعف الحاجز وتخرج النهر عن مجراه فى ذلك الوقت حتى الأطفال والفتيات تم تقديمهم كقربان الى «يمانجا» كانت تسحبهم الى قاع الماء ولم تكن جثثهم تظهر بعد ذلك أبدا . كانت «يمانجا» فى سنواتها العصبية لاتريد أغانى أو ألحانا أو موسيقى ، ولا تريد قطع الصابون أو الأمشاط كانت تريد ضحايا أو أجسادا حية

كانوا يخشون غضب «يمانجا» فكانوا يحملون اليها الأطفال والفتيات الصغيرات ، كانت احداهن عمياء وتقدمت من تلقاء نفسها ، فذهبت وهى تبتسم «لقد ذهبت بلاشك لترى أشياء جميلة» « أحد الأطفال بكى فى الليلة التى أخذوه فيها وصاح على أبيه وأمه بأنه لايريد أن يموت لقد كانت أيضا ليلة عيد «يمانجا» ومنذ ذلك الوقت ، مرت سنوات عديدة الى أن كانت سنة عصبية ، كان الشتاء قد مزق نصف المراكب الشراعية وقليل من القوارب استطاع الصمود لريح الجنوب ولم يهدأ غضب «يمانجا» قال «أجوستينيوس» منظم شعائر «الماكومبا» فى ذلك الوقت إن «يمانجا» لا تريد إلا لحما بشريا، وقدموا ذلك الطفل لأنه كان أجمل طفل فى الميناء حتى أنه كان يشبه «جانينا» بماله من عينين زرقاوين هبت العاصفة على الرصيف ، وغسلت الأمواج صخرة «يمانجا» وترنحت المراكب، وكان الجميع يسمعون صرخات الطفل الذى ساقوه معصوب العينين كانت ليلة جريمة، وكان العجوز «فرانثيسكو» كلما روى هذه الحكاية يقشعر بدنه . علمت الشرطة بالأمر ودخل عدة أشخاص السجن وهرب

«أجوستينيو» وأصبحت أم الطفل مجنونة عندئذ فقط هدأ غضب «يمانجا»، وتم إلغاء عيدها، ولبعض الوقت جرى استبداله باحتفال «يسوع الملاحين الطيب». ولكن هذه المياه كانت ملك «يمانجا». بعد ذلك بقليل، عاد احتفالها وزال غضبها ولم تعد تريد أطفالا أو عذارى، وبالمصادفة فإن امرأة شابة تذهب أحيانا لتكون عبدة لها، مثل زوجة الأعمى التي يعرف العجوز «فرانشيسكو» حكايتها، كانت «يمانجا» أيضا رهيبة لأنها أم وزوجة. فهذه المياه تولد منها يوم يضاجعها ابنها، ومن يعرفون حكاية «يمانجا» وابنها «أورونجا» ليسوا كثيرين في الميناء، ولكن «أنسيلمو» يعرفها مثل العجوز «فرانشيسكو». ومع ذلك، لا يقضون حياتهم في رواية هذه الحكاية، لأنها تثير غضب «يمانجا». ذات مرة، اتخذت «يمانجا» من «آجانجو» إله اليابسة ابنا، وكان «أورونجا» إله الجو وكل مايقع بين الأرض والسما. طاف «أورونجا» بالأرض، وسكن في الجو، ولكن فكره لم يفارق صورة أمه الجميلة، ملكة الماء، كانت أجمل الجميلات، وكانت كل شهوات «أورونجا» تتجه إليها. وذات يوم، لم يستطع أن يقاوم فاعتصبها فرت «يمانجا»، وفي أثناء فرارها، انقطع ثدياها وهكذا انبثقت المياه وكذلك باهيا جميع القديسين هذه. ومن بطنها الذي لقحه ابنها، ولد «الأوريشا» الأكثر ضراوة، أولئك الذين يأمرون البرق والرعد والعواصف.

«يمانجا» إذن أم وزوجة. وهي تحب رجال البحر كأم طالما يحيون ويعانون ولكن في اليوم الذي يموتون فيه، يصبحون مثل ابنها «أورونجا» مغممين بالشهوة ويسعون إلى جسدها.

ذات يوم، سمع «جوما» هذه الحكاية من فم العجوز «فرانشيسكو». فتذكر أن أمه أيضا جاءت ذات ليلة وأنه اشتهاها. ربما بسبب ذلك تحبه «يمانجا» وتحمل رحلاته في المركب الشراعى، ولكى لا يصبح مثل «أورونجا» عليها أن تمنحه امرأة جميلة، تكاد تكون في جمال دون «جانينا» نفسها.

إنه اليوم، عيد «يمانجا»، عند السد حيث تقضى بعض الوقت خلال السنة يكون عيدها فى الثانى من فبراير. وحتى فى «كاباسيراس دا بونتى» و«مارجراندى» و«جامليرا». و«بوم ديسباشو» و«أموريرا» فإن عيدها يكون فى الثانى من فبراير، ففى ذلك اليوم يحتفلون بعيدها ومع ذلك يصير عيدها فى «مونت سيرات» أكثر احتفالية، بما أنه يجرى فى العشرين من أكتوبر، فى موقعها الخاص، داخل مغارة أم الماء. كان منظمو «الماكومبا» من السد، ومن «أموريرا» ومن «بوم ديسباشو» ومن «جامليرا» ومن كل جزيرة «إيتاباريكا» يذهب إلى هناك. وفى هذه السنة، حتى العم «دويسديرى» جاء من «كاباسيراس دابونتى» لحضور مراسم تنصيب وصيفات «يمانجا».

أصبحت الرمال النقية سوداء بسبب الأقدام التى تدوسها. إنه شعب البحر جاء ينادى ملكته.. إنهم جميعا رعية أميرة «أيوكا». منفيون فى أرض أخرى، ولذلك فإنهم يحيون فى البحر يحاولون أن يبلغوا أرض ملكتهم. كان الغناء يخترق الشواطئ والبحر والقوارب والمراكب الشراعية ويصل بالتأكيد إلى الأراضى المجهولة حيث تختبئ.

«يمانجا آتية.....»

آتية من البحر.....»

كانت كتلة بشرية هائلة تتحرك فوق الرمال. وكانت كنيسة «مونت سيرات» تظهر فى الأعلى.. ولكن هذه الأذرع المغطاة بالوشم لم ترتفع نحوها. بل نحو البحر، هذا البحر الذى ستأتى منه «يمانجا»، سيدة هذه الأنفس. فالיום هو يوم لعبها فوق الشاطئ، حيث تحتفل بزفافها إلى رجال البحر. وتتلقى الهدايا التى يقدمها لها الخطاب الخشنون، وتحيات أولئك اللاتى سيصبحن، بعد قليل، كاهناتها. اليوم، هو اليوم الذى تنهض فيه حيث تفرش شعرها فوق الرمال، وتلعب مع أناس البحر، وتعددهم بريح مواتية، وحمولات زيادة، ونساء جميلات. كانوا ينادونها:

«يمانجا آتية.....»

آتية من البحر.....»

سوف تأتى من البحر بشعرها الطويل ذى اللون العجيب. سوف تأتى ويدها مملوحتان بالمحار ووجهها مبتسم، سوف تلعب معهم، فتدخل فى جسد زنجية وتكون شبيهة بالزنوج والمراكبية وأصحاب المراكب الشراعية امرأة من الميناء مثل الأخريات، يضاجعونها فتكون زوجة لهؤلاء الرجال، عندئذ، يختفى ميناء «باهيا» الأسود الذى تضيئه المصابيح الكهربائية إضاءة خافتة، والذى يطفح بأغان شجية، ويجدون أنفسهم فى أرض «أيوكا» التى هى أرضهم حيث يتكلمون لغة «الناجو»، وحيث يوجد كل أولئك الذين ماتوا فى البحر.

ولكن «يمانجا» لاتأتى من ابتهاج واحد، لابد أن يذهبوا لياتوا بها، ويقدموا لها الهدايا، ويصعد كل هذا الشعب فى المراكب. كانت القوارب مكتظة ولم يتسع مركب «جوما» للمزيد، كان المعلم «مانويل» يحتضن «ماريا كلارا» التى ارتبط بها منذ أيام، وكانت النساء يغنين والقمر يضىء كل شىء، ألف ضوء يملأ البحر بالنجوم. كان «جوما» فى مركبه «الباسل» مع الزنجى «روفينو». وكان العجوز «فرانشيسكو» يغنى أيضا، وكانت «روزا بالميراو» تضع قرطا ثمينا فى أذنها حتى تستطيع «يمانجا» أن تسند رأسها عليه.

كان الموكب يشق البحر، والأصوات ترتفع فى نبرة عجيبة، لأنها تأتى من المراكب والقوارب وتضيع فى البحر الشاسع حيث تقيم «يمانجا»، وبينما تتأوه بعض النسوة، فإن البعض الآخر يحملن رسائل وهدايا: كانت لهن جميعا طلبات عند أم الماء. يرقصن فى المراكب الشراعية. ومع هذه الموسيقى البربرية التى تخترق البحر، كانت أجساد النساء تهتز بينما يجدف الرجال فى إيقاع وكأنهم أطيايف.

إنهم يحيطون بمغارة «أم الماء». وشعر «يمانجا» منشور فوق زرقة البحر

وتحت ضوء القمر. تلوح النسوة بالقرابين معبرات عن أمنياتهن: «لئلا يغرق زوجي في العاصفة.. لدينا ولدان نربيهما، ياسيديتي، يا «جانينا المقدسة...» وكُن يحدقن كثيرا ليرين ما إذا كانت هداياهن تقوص في الماء، لأنها إذا طفت فمعناه أن «يمانجا» لاتريدها، وعندئذ يحل الشؤم بمنزل الزوجية.

سوف تأتي معهم «أم الماء». لقد تلقت القرابين، وسمعت ابتهالات الزوج وغناهم. تتأهب المراكب الشراعية للعودة في اللحظة التي يأتي فيها من ظلمة النشاط صوت كصهيل الخيل. وفي ضوء القمر. يلمحون شبح جواد أسود على الرمال. إنه أكبر وعد يعدون به «يمانجا». الجواد عيناه مفقوعتان ولا يرى البحر من أمامه. يدفعه الرجال. إنه أسود فاحم، لامع، ذيله، وعرقه طويل. يدخل في الماء. إنه هدية إلى «يمانجا». سوف تصعد فوقه وتذهب إلى أرضها، تحت الماء، سوف تمتطى الحصان الأسود وتطوف ببحارها وتأتي لرؤية القمر. الحيوان يسحب في الماء، ويصعد بعض الرجال في قاربين ويقودانه لأنه أعمى. لقد فقأوا عينيه بالحديد الحمى، ووسسوه من أجل «جانينا». وبالقرب من المغارة يطلقونه، وعندئذ تتلو النسوة. عواتهن: «ليفارق زوجي» «ريكاردينا» التي كالتاعون ويعود لي.... ويكون الموكب في طريق العودة، والحصان يتخبط دائما على غير هدى، عيناه بلا نور، وأخيرا يكون قد ذهب نحو «يمانجا». من الآن فصاعدا سوف تمتطى جوادها الأسود في ليالي العاصفة وتعبير الموانئ الصغيرة في الخليج، تأمر الرياح والبرق والرعد.

يفادرون المراكب الشراعية، «يمانجا» تأتي معهم، إنها ليلة الاحتفال بعيدها، جاءت ترقص معهم في احتفالات «الكاندومبلية» في «إيتاباجيب» حتى «بويسيدي» كاهن «كاباسيراس دا بونتى» جاء إلى عيد «إيناي» هذا، جاءت معهم راحة فوق الجواد الذي أعطوه لها. جاءت في الجو، بالقرب من القمر، وامتطت جوادها الأسود، إنها لاتخاف حتى من مقابلة ابنها «أورونجا» الذي اغتصبها.

ويستمر الموكب فى إيقاع بطىء، يتأرجح مثل قارب على صفحة الماء، وتحمل الرياح إلى المدينة النائمة رائحة المد والجزر وضجيج الغناء الوحشى.

سرى صوت الآلات الموسيقية فى كل أنحاء شبه الجزيرة وانتشى الموسيقيون ككل أولئك الذين يشاركون فى «ماكومبا» العم «أنسيلمو» على شرف «يمانجا». لقد مرت شهور على تنصيب هؤلاء الزنجيات اللاتى أصبحن اليوم وصيفاتها، يعطونهن حماما بورق شجر مقدس، ويقصون لهن شعر الرأس والإبطين والعانة، لكى تستطيع المقدسة أن تدخل بسهولة، ستكون رعوسهن أيضا ووجوههن ملونة بألوان جذابة، وسوف يستقبلن «يمانجا» التى تدخل فيهن سواء من الرأس أو الإبطين أو العانة.

وهى لاتدخل من العانة إلا عندما تكون الزنجية عذراء أوشابة، لأنها تتخذها عبدة لها من أجل تمشيط شعرها، ودغدغة جسدها.

بعد ذلك، يبقين فى عزلة لعدة شهور، لا يقربن الرجال، ولايرين حركة الشارع أو البحر، ولايعشن إلا من أجل «يمانجا». واليوم، هو يوم الاحتفال الكبير حيث سيصبحن وصيفات أو حتى كاهنات «ليمانجا». يرقصن بجنون ويهززن أردافهن تماما، يرقصن حتى أفضل من «روزابالميراو» الوصيقة منذ عشرين عاما
تنشد المشرفة على المكان التراتيل لـ «يمانجا»:

A ode resse (١)

a ki e Iemanja

A kota gue legue a oio

E ro fi rila

ترقص الوصيقات كما لو كن قد فزعن فجأة. الوصيغان، وهما من الآن فصاعدا، «جوما» و«روفينو» يرقصان معهن، يهزان اكتافهما كما لو كانا يجدفان

(١) أثرتنا أن ننقل هذه الابتهالات كما هى بلغتها الأصلية ذات الأصل الأفريقي
(المرجم)

فى القوارب، وفى وسط الحفل الذى استحوذ على الجميع «تكون «يمانجا» حاضرة منذ وقت طويل، مختبئة فى جسد «ريكاردينا» يلکز «روفينو» «جوما» لينبها:

- أترى من يراقبك؟

يتلفت «جوما» ولكنه لا يرى التى يحدثه عنها «روفينو».

- هذه السمراء...

- تلك الجميلة جدا؟

- إنها لاترفع عينها عنك.

- إنها لاتنظر إلى شىء...

كانت الأكتاف تهتز دائما بنفس الإيقاع. «يمانجا» تحبى «جوما» الذى هو فى حمايتها، بينما تغنى المشرقة على الحفل.

راحوا يرقصون جميعا كالمجانين. ولكن «جوما» لايرفع عينه عن المتفرجة، هذه المرأة هى بلا شك التى أرسلتها له «يمانجا»، لها شعر ناعم وكأته مبلول، وعيناها صافيتان كالماء، وشفتاها قانيتان، تكاد تكون فى جمال «يمانجا» هى لثاة صغيرة يبرز ثدياها من تحت فستانها الأحمر، يستحوذ الرقص على جميع من بالقاعة، و«يمانجا» ترقص أكثر من الجميع وحدها، الفتاة الشابة التى لاترقص، وتتنظر إلى «جوما»، من وقت لآخر، بعينها الصافيتين وشعرها المبلول وشدبيها الوليدين، أرسلت «يمانجا» له هذه المرأة التى طلبها منها عندما كان طفلا، هى اليوم الذى ظهرت فيه أمه، إنه لايشك للحظة فى أنه سوف يمتلكها، وأنها ستنام فى مركبه وسوف تكون رفيقة رحلاته، كان يغنى لـ «يمانجا» ذات الأسماء الخمسة، أم رجال الميناء، وزوجتهم أيضا، التى تاتى إليهم فى جسد نساء أخريات يظهرن هكذا فجأة فى احتفالات «الماكومبا» الخاصة بها

من أين جاءت؟ بحث عنها عندما انتهى الحفل، ولكنها لم تعد موجودة. ذهب إلى «روفينو» الذى ذهب بقيثارته إلى حانة «منارة النجوم».

- من هذه الفتاة؟

- أية فتاة؟

- تلك التى فى رأيك، كانت تنظر نحوى.

- فى رأىى؟ إن كل نظرة كانت أوضح من منار!

- من أين عرفتھا؟

- اليوم، أول مرة تقع عليها عينى، إنها جميلة. ألم تر مؤخرتها؟

شعر جوما بالغضب:

- لا تتكلم هكذا عن فتاة لاتعرفھا.

ضحك روفينو:

- لا أقصد سوءا.. إن لها أردافا!

- ستعرف من هى وسوف تخبرنى.

- أنت عاشق، أليس كذلك؟

- أليس من المحتمل ألا تعجبنى؟

- إذا عرفت «بالميراو» بالأمر، ستنال عقابا...

ضحك «جوما»... دخلا إلى «منارة النجوم». كانت «روزا بالميراو» تشرب

الكأس وراء كأس.

- نعم، يمكتنى الرحيل، يا أولادى، بما أن هذا العالم بلا بواب...

صاح المعلم «مانويل» الذى كان يشرب مع «ماريا كلارا» فخورا بصحبتها

موجهها كلامه إلى «روزا بالميراو» عندما رأى «جوما» داخلا:

- سوف تخلفين الأحزان أيتها الزنجية.

- من يحبنى قليأت معى....

وابتسمت لجوما ولكن «جوما» ذهب ليجلس بعيدا عنها.. لقد أصبح ملكا

للأخرى... كما لو كانت «روزا بالميراو» قد رحلت منذ وقت طويل. اقتربت منه

«روزا»:

- أأنت حزين اليوم؟

- ألن تذهبي؟

- سابقى، إن أردت أنت ذلك...

لم يرد عليها... كان ينظر إلى الليل يهبط على الميناء. وكانت «روزا بالميراو» تعرف مايعنيه ذلك.. فهي تفعل الشيء نفسه مع رجال آخرين، بل إنها ضربت بعضهم.. ولكنها فى هذه اللحظة صارت عجوزا... لم تعد تليق بشاب مثل «جوما».. جسدها لايزال ممشوقا، ولكنه لم يعد شابا، إنه جسد أم لم تتحقق أمومتها... وكان الرجال قد لاحظوا ذلك.

لاخر مرة كانت صورة الأم المومس تكرر «جوما» - ثديا «روزا بالميراو» الكبيران والخنجر بينهما - يذكرانه بثديى أمه اللذين استهلكتهما المداعبات.. ولكن من الآن فصاعدا سوف تمثل أمام عينيه صورة أخرى: إنها الثديان الوليدان للفتاة التى كانت حاضرة فى «الكاندوميليه»، وعيناها الصافيتان كالماء، المختلفتان تماما عن عيني «روزا بالميراو» إنها صورة هذه الفتاة التى بلا أسطورة أو حكاية، التى كانت تنظر إليه دون أن تخفى ماتحس به...
قالت له «روزا بالميراو»:

- لقد أصبحت مشهورا فى الميناء منذ انقاذك «كاناقييراس»....

لابد أن الفتاة عرفت أنه «جوما» الذى فى ليلة العاصفة، أنقذ بمفرده بواسطة مركبه، سفينة مكتظة بالركاب، ابتسم «جوما»

وابتسمت «روزا بالميراو» أيضا. سوف تذهب بعيدا عن هنا ولن تحب بعد ذلك أبدا، سوف لا تبحث إلا عن المشاجرات فيما تبقى من حياتها، الخنجر تحت قميصها والمديّة تلمع تحت تنورتها، وسوف يتلاشى جمال جسدها، وإذا عادت إلى مينائها متعبة من الشجار والصراع فربما تأخذ طفلا تخلت عنه أية امرأة، وتحكى له عن حياة هؤلاء الرجال، وتعلمه أن يكون شجاعا كما يجب أن يكون البحار... سوف تربيّه كابن كأنها تربي ابنها الذى ولد ميتا، إنها من رجلها الأول، الخلاسى «روسالفو» لقد رحلت معه، لأن الحب لايعرف عمرا، رحلت على غير

هدى مع لعنة أمها العجوز. كان كسولا، يعزف القيثارة ويسافر مجانا فى المراكب الشراعية ليعزف فى أعياد كل مدن الخليج، أحبته «روزا بالميراو» كثيرا، ولم تكن قد بلغت الخامسة عشرة عندما عرفته، عانت من الجوع لأنه لم تكن لديه نقود، وكانت تتألم من الضرب عندما يكون مضمورا بالكاشاسا، تعانى أكثر عندما تراه يذهب مع نساء أخريات. ولكن عندما عرفت أن الطفل مات لأنه أعطاها شرابا مرا قبل الولادة، لأنه لم يكن يريد الطفل، صارت امرأة أخرى، أصبحت «روزا بالميراو» ذات الخنجر والمديّة، وتركته يموت بجانب قيثارته. كان كل شىء فيه مزيفا، أغانيه ونظراته وكلامه المعسول فاجأته وقتلته بالخنجر، فى سريره، انتقاما للطفل الذى قتله، ثم كانت شهور السجن، والقضاة، والمحامى الذى قال إنها كانت مضمورة. ثم أطلق سراحها وأصبحت مشاغبة لأنه لم يكن أمامها سبيل آخر. والتصقت بها سمعتها السيئة.

مرت سنوات كثيرة، ورجال كثيرون أيضا. مع «جوما» فقط عاودتها الرغبة فى طفل آخر، طفل تهز ذراعيه الصغيرتين ويناديها: ماما من أجل ذلك فقد أحببت «جوما» كثيرا، وهو لم يعد يحبها لأنها أصبحت عجوزا. هو كذلك لن يعطيها طفلا، ولكن خطأها هى أن أصبحت عجوزا، لا جدوى منها. سوف ترحل لأنه لم يعد يحبها.

خرجا من «منارة النجوم». وكان رذاذ رفيع يتساقط. أحاط خصرها بذراعيه وفكر بأنها تستحق ليلة حب نظير كل ما أعطته. ليلة وداع، ليلة أخيرة تحت السماء الغائمة، فى البحر الهائج بسبب المطر. ذهبوا نحو «الباسل». ساعدها على الصعود، وتمدد بقربها واقترب منها ليضاجعها. لكن «روزا بالميراو» دفعت، هل سترفع المديّة من تحت تنورتها والخنجر من تحت قميصها؟ قالت له:

– سأرحل من هنا يا «جوما»....

كان المطر يتساقط رذاذا ولم تكن أية موسيقى تأتي من البحر....

- سوف تتزوج بين يوم أو آخر، سوف تجد خطيبة... جميلة، تليق بك....
ولكننى أريدك أن تمنحنى شيئاً...
- أى شىء؟
- أريد إبناً، ولكننى عجوز للغاية....
- لاتقولى ذلك، لاتقولى ذلك...
أخذ المطر ينهمر بغزارة.

- إننى عجوز، وابنك لم يود أن يلتصق بأحشائى.. سوف تتزوج، وعندما يكون لك ولد سأعود إلى هنا، ساكون عجوزاً قد أبيض شعرها بل أنا عجوز بالفعل يا «جوما». أقسم لك أننى لن أتشاجر مع أحد بعد الآن، وأن ألقى بأسلحتى وألا أسعى إلى الشجار.
كان «جوما» ينظر إليها وقد بدا عليها تحول، تتوسل إليه بعينين عميقتين كالبحر، عينين وديعتين كعيني أم.

- لن أتشاجر بعد الآن.. أريدك أن تدخر ركننا لهذه العجوز فى بيت زوجتك.
- إنها لن تعرف شيئاً عن حكايتنا نحن الاثنان. لم أعد أريد شيئاً، ولن أتشاجر معها، أريد أن أشارك فى تربية ابنك وكأئنى رببتك فأتنا فى عمر أمك.... أتوافق؟

أخذت النجوم تلمع فى السماء، وبدا القمر واضحاً أيضاً، وهبت موسيقى هادئة من البحر.. وراحت «روزا بالميراو» تداعب وجه ابنها.
حدث ذلك ليلة عيد «يمانجا» ذات الأسماء الخمسة.

سفينة ترمو فى الميناء

رست فى الميناء إحدى السفن التى رحلت فيها «روزا بالميراو». كان «جوما» ينظر إلى المرأة التى تلوح من الدرجة الثالثة بمنديل، إنها ذاهبة إلى مغامرة لا بد أنها الأخيرة بالنسبة لها عندما تعود، ستجد طفلاً تعتنى به، طفلاً تكون له جدة، كانت السفينة قد أصبحت بعيدة وهى لاتزال تلوح بمنديلها. رجال الميناء يردون

على وداعها، قال أحدهم من خلف «جوما»:

– هذه العجوز المجنونة... لم تحيا إلا لتجوب العالم...

عاد «جوما» بطول الرصيف.. كان الليل يهبط شيئاً فشيئاً وكانت تنتظره حمولة أقمشة عليه أن ينقلها إلى «كاشويرا». لكن لم تكن به رغبة فى الخروج لعبور الخليج. فمنذ عدة أيام، منذ عيد «يمانجا» لم يفكر إلا فى العثور على الفتاة التى رآها. لم يستطع أن يعرف شيئاً عنها، ففى تلك الليلة، كان هناك أناس كثيرون فى احتفال العم «آنسيلمو»، أناس جاؤا من بعيد، حتى أن بعضهم جاء من مزارع «كونشيساو دافيرا». كان يمشى فى شوارع حى الميناء، باحثاً من بيت لآخر، لكنه لم يجدها، لا أحد يعرف من أين جاءت أو من هى، وما حكايتها. من المؤكد أنها لاتعيش فى الميناء، لأن جميع من فى الميناء يعرف بعضهم البعض. حتى الزنجى «روفينو» لم ينجح فى معرفة شىء عنها.

لكن «جوما» لم يئأس، فهو متأكد من أنه سوف يعثر عليها. تنتظره حمولة أقمشة، وبمجرد أن ينجزها فسوف يذهب إلى «كاشويرا» ويصعد النهر مرة أخرى. خطرة هى حياة أصحاب المراكب الشراعية، لدرجة أن صعودهم النهر أو هبوطهم منه لم يعد يببؤ لهم مخاطرة، إنه شىء يتكرر كل يوم ولم يعد يخيف أحداً، لم يكن «جوما» يفكر فى الرحلة، كان يفكر فى العثور بأى ثمن على المرأة التى رآها فى عيد «يمانجا»، الآن وقد رحلت «روزا» سيكون حرا فى أن يحب. سار بطول الرصيف، يصفر بصوت خافت، وفى السوق، كان جماعة من البحارة والحمالين يغنون، وفى وسطهم كان خلاسى يرقص ويفنى:

«إننى خلاسى ولست زنجيا

أه! يا إلهى فلترحمنى!

حتى لو أردت إنكار ذلك

فإن شعرى يفضحنى»

كان الآخرون يصفقون، الأفواه تفتقر عن ابتسامات والأجساد تهتز على إيقاع الأغنية. كان الخلاسى يغنى:

«حتى لو أردت أن أكون أبيض

فإن شعرى يفضحنى....

اقترب «جوما» من الجماعة.

أول شخص رآه كان فى غاية الأناقة، فى حلة كاملة من الصوف الكحلى، إنه «رودولفو» الذى لم يظهر منذ ثلاثة شهور. كان جالسا فوق صندوق، يبتسم ويراقب الخلاسى الذى يغنى، وكان بين الجماعة «شافيه» و«مانيكاموزينيا» و«جاك» و«سافيريانو». أما العجوز «فرانشيسكو» فجلس فى الخلف يدخن غليونه.

بمجرد أن رأى «رودولفو» «جوما» لوح بيده:

– أريد أن أقول لك كلمتين..

– حسنا...

أكمل الخلاسى غناؤه وابتسم للجماعة. كان الرقص قد قطع أنفاسه لكنه كان يبدو كمنتصر. إنه «جيسوينو» الذى يعمل بحارا فى قارب لنقل الركاب بين «باهيا» و«سانتو أمارو». ابتسم لجوما:

– إيه، أيها الأخ الكبير!...

تدخل «مانيكاموزينيا» بخبث:

– لانتحدث إلى «جوما» يا جيسوينو... فقد كسرت دفته.

– ماذا به؟

– لقد ضل الشمال... لقد تبدت له رؤية.

ضحك الآخرون، وواصل «مانيكاموزينيا» حديثه:

– يقال إن الرجل الذى يفقد البوصلة بسبب امرأة فهو غريق. ألم تعرف أنه

صدم «الباسل» بالصخور الكبيرة؟

استولى الغضب على «جوما» - فقليلاً ما يهيمه المزاح - لكن هذه المرة لم يكن يعرف لماذا استولى عليه الغضب. لو لم يكن «مانيكاماوزينيا» معاقاً... ولكن «سافيريانو» و«چاك» انضموا إليه، وسأله «چاك»:

- وماذا وجدت أيضاً؟

أجاب «سافيريانو» وهو يقهقه كعادته:

- دجاجة، بلا مستقبل، فقدت ريشها توا.

رأى «روفينو» أن «جوما» سوف يتعارك، فقال:

- يكفى هذا يا أصدقاء. كل حر فيما يفعل.

أجاب «سافيريانو» وهو لا يزال يضحك أكثر من قبل.

- أنت شريك المرأة؟

ضحكوا جميعاً، ولكن لم يطل ضحكهم لأن «جوما» ألقى بنفسه على

«سافيريانو». أراد «چاك» أن يفصل بينهما ولكن «روفينو» منعه:

- رجل ضد رجل، هذا طبيعي...

- لا تتغابى أيها الزنجى! حتى أنت لست رجلاً... بل إننى بحار!...

وانقض على الزنجى ولكن «روفينو» قفز للخلف وأخذ يفنى:

«يا جبان، إذا كانت عندك شجاعة

فكف إذن عن الثرثرة....»

تفادى ضربة «چاك»، وشنكله بقدمه فطرحه أرضاً. كان «جوما» يلاكم

«سافيريانو». راح الآخرون يتفرجون نون أن يفهموا شيئاً. ابتعد «سافيريانو»

وأخرج مديته. صاح العجوز «فرانشيسكو»:

- سوف يقتل «جوما»!

استند «سافيريانو» إلى حائط السوق، والمديّة في يده، يصيح على «جوما»:

- ابعث بـ «روزا» تتعارك معى، لأنك لست رجلاً.

اندفع «جوما» نحوه ولكن «ساقيريانو» رفسه فى بطنه فسقط وتكوم على الأرض، وانقض عليه بمديته، عندئذ تدخل «رودولفو» الذى كان يصفر لحن الأغنية التى كان «روفينو» قد غناها منذ قليل. اعتصر قبضة «ساقيريانو» حتى سقطت منه المدية، ثم نهض «جوما» من جديد وأخذ يلاكم «ساقيريانو» حتى تركه طريحا - إنه ليس رجلا إلا حينما تكون المدية فى يده.

غنى «روفينو» منتصرا:

«أيها الممتع المتورم

وجهك كالعصيدة

فليجلك العار طريحا

تصبح باسمى»

تشتت الجمع فى بطاء، وحمل بعضهم «ساقيريانو» إلى قاريه. وعاد «چاك» إلى منزله وهو يقسم على الانتقام. وذهب «جوما» و«روفينو» نحو المركب. بينما كان «جوما» يقفز إلى المركب سمع صيحة «رودولفو»:

- إلى أين أنت ذاهب؟

التفت إليه وقال:

- لو لم تكن هناك، للقيت مصرعى...

- دعك من ذلك.

وتذكر «رودولفو»:

- إن ذلك يشبه اليوم الذى تعاركتنا فيه ونحن صغار... لكن فى هذه المرة فقط

كنت معكم!

ترك حذاءه الذى اعتنى بتلميعه، ودخل فى وحل رصيف المراكب.

- أريد أن أقول لك كلمتين..

- ما الأمر؟

- ألسنت مشغولا الآن؟

- كلا...

كان «جوما» على يقين من أنه سيطلب منه نقودا:

- إذن، إجلس لأكلمك.

قال «روفينو» وهو يغادرهما:

- إلى اللقاء فيما بعد!

مرر «رودولفو» يده على شعره المصفف بعناية، يتحسس زيت البريانتين الرخيص. كان «جوما» يتساءل أين أمضى الشهور الأخيرة. فى مدينة أخرى؟ فى السجن بسبب سرقة؟ فهو ليس بالشخص المستقيم، وكل الناس يقولون ذلك، كان يسرق المحافظ ويتناول المستندات المزورة. ذات مرة، فى «بيتانجويراس» غرس خنجره فى صدر رجل وهو يطلب منه نقودا فكانت أول مرة يدخل فيها السجن. ولكن، فى هذه المرة، فإن «رودولفو» لم يكن بدون نقود، فهو لم يأت يستجدى.

- هل ستخرج اليوم؟

- سأذهب إلى «كاشويرا»

- هل الأمر عاجل؟

- أجل بضاعة السيد «رانجيل» التى كانت فى الهناجر. إنه يريد لها فوراً من

أجل الاستعداد للكرنقال.

- سيكون رائعا هذا الكرنقال...

كان «جوما» يصف البالات فى قاع المركب...

- تكلم، إنى أسمعك.

وفكر «رودولفو» أن الوضع هكذا أحسن وأكثر سهولة، فهو لا يرى «جوما»

ويستطيع أن يتكلم بصراحة.

- إنها قصة طويلة، ومن الأفضل أن أبدأ من البداية.

- يمكنك أن تبدأ.

- هل تذكر أبى؟

- العجوز «كونكورديا»؟ نعم، أذكره، كانت له حانة فى السوق.

- بالضبط، ولكنك لا تتذكر أمي، لقد ماتت عندما ولدت.
كان ينظر إلى الماء تارة، وإلى شبح «جوما» الذي يتحرك في قاع المركب، تارة
أخرى.
- إنى أسمعك....

- أقول لك إذن إن العجوز «كونكورديا» لم يكن متزوجا منها
نظر «جوما» إلى أعلى مندهشا فرأى «رودولفو» محدقا في الماء يفكر. لماذا
يقص عليه كل ذلك؟

- زوجته الحقيقية كانت تسكن في المدينة العليا، في أحد الشوارع هناك.
عندما كان على وشك الموت، حكى لى.... أنت تفهم أننى لم أفعل شيئا، ولم أذهب
لرؤية زوجته لأنه لم تكن لى علاقة بها. بقيت هنا مع المركب الشراعى الذى تركه
العجوز لى. بعد ذلك رحلت إلى حياة أخرى، لأن معيشة الميناء لم تكن تروق لى.
صعد «جوما» بعد أن صف بالات الأقمشة، وجلس فى مواجهة «رودولفو». إنها
حياة بأسفة، ولكن ماذا تريد أن تفعل؟

- لقد هجرت تلك الحياة وهأنذا أدور من جانب لآخر.
نكس رأسه!

- تعلم جيدا أننى كنت فى السجن... إيه! ذات يوم كنت مطمئن البال. وقد
ادخرت مبلغا من المال، فقد أجريت صفقة رابحة مع كولونيل من «بونفيم»...
وحدث أن قابلت أختى.
- ألك أخت؟

- لا أعلم. لم يفكر العجوز فى أن يخبرنى بذلك. طلب منى فقط أن أبحث عن
زوجته التى تعلم بكل شيء، والتى سوف ترعانى كما لو كانت قد ولدتنى.
- وهل كان لها ابنة؟

- نعم. قابلتها فى ذلك اليوم. أمضت حياتها تبحث عنى لأنها كانت تعرف
أننى على قيد الحياة. ظلت تبحث عنى منذ أن ماتت أمها. كان ذلك منذ سنة
تقريبا.

- وأين كانت تعيش طوال هذه المدة؟

- مع أهلها.

- أهل العجوز «كونكورديا»؟

- كلا... أهل الأم. إنها فوضى ولا أدري شيئاً على وجه التحديد.

ولكن «جوما» لم يفهم علاقته بكل ذلك، والسبب الذي من أجله يحكى له «رودولفو» كل هذه الحكاية.

- لا داعى لأن أقول لك... أخوها! فقد اهتمت الصغيرة بى. كانت تريد أن تضعنى على الطريق القويم، بالموعظة!... يعلم الله أنها كانت فتاة طيبة لم أر مثلاً قط... كانت تصغرنى. لم يتجاوز عمرها الثانية عشرة. لكن تقويمى كان شيئاً آخر! لم تستطع أن تقومنى، كنت ضائعاً لدرجة كبيرة... عندما ننزلق إلى هذه الحياة، لانخرج منها قط...

توقف برهة وأشعل سيجارة.

- ولا نعتاد العمل.

أخذ «جوما» يصفر بصوت منخفض، كان يشفق على «رودولفو». يتكلمون عنه بالسوء فى الميناء. يقولون إنه شخص غير مستقيم، لا يساوى شيئاً، وإنه لص، لكنه انزلق ولم يعد يستطيع أن يخرج حتى بمساعدة أخته الطيبة.

- كانت تعتنقنى، وكنت أعدها، لقد قاسيت من أجلها، قالت: إن نهايتى ستكون

سيئة، وكان ذلك صحيحاً.

أتى بحركة من يده كأنه يبعد كل هذه الحادثة، وشرح يشرح:

- إذن، كانت أختى تريد أن أصطحبك إليها..

- أن أذهب إليها؟

بدا «جوما» مندهشاً:

- هو كذلك.. لقد أتى أهلها فى السفينة «كانافيراس» يوم ذهبت لتقودها، لقد

تصرفت كرجل. لقد ذهبوا إلى «إيلياوس» ليروا ما إذا كان بمقنورهم أن يرتبوا

شيئاً ولم يرتبوا شيئاً. وعادوا فى السفينة. كان لهم دكان فى شارع «روى

باربوزا». كانوا كلهم فى الدرجة الثالثة، واعتقدنا أنهم ماتوا. إنها تريد أن تشكرك.

- هذا شيء تافه، يستطيع الجميع فعله، لقد حالفنى الحظ لأن البحر لم يكن سيئاً جداً.

- لقد رأتك بالفعل فى ذلك اليوم، فى عيد «يمانجا». لم تذهب إلا لرؤيتك كانت فى حفل «الكاندومبليه» الذى ينظمه العم «أنسيلمو».

- سمراء، ذات شعر أملس؟

- بالضبط!

لم يعرف «جوما» ماذا يقول. راح ينظر مذهولاً إلى «روبولفو» وإلى المركب وإلى البحر. يود أن يفنى ويصيح ويقفز من الفرح: سأل «روبولفو»:

- ماذا أصابك؟

- لا شيء، كنت أعرف أن....

- حسناً، كن مستعداً للذهاب إلى هناك عندما تعود، سأقول لها إنك وعدت بالمجىء.

كان «جوما» ينظر بحتق إلى المركب وإلى جمولة الأقمشة. لقد أراد أن يذهب إليها فى الليلة نفسها.

- حسناً، سأذهب.

- إذن، وداعاً! هذا رائع...

قفز «روبولفو» حاملاً حذاءه بيده.. وصاح «جوما»:

- ما اسمها؟

- «ليثيا»!

فرد «جوما» شراع المركب، ورفع الهلب، منتهزاً هبوب الريح. كان المعلم «مانويل» يمر بمركبه «مبحر بلا مرفأ» أمام حاجز الأمواج، لم يكن أحد فى هذه الآونة يبحر أسرع من المعلم «مانويل». نظر «جوما» إلى «مبحر بلا مرفأ» يمر بسرعة وأشعرته مفتوحة للهواء، كان الليل قد هبط تماماً. أشعل «جوما» غليونته،

وأشعل قنديل «الباسل»، وانطلق المركب فوق الماء.

وبالقرب من «إيتاباريكا» لحق بمركب المعلم «مانويل».

– أنتراهن يا «مانويل»؟

– إلى أين ستذهب؟

– إلى «ماراجوجيب» أولاً ومنها إلى «كاشويرا».

– إذن، نتراهن على المسافة إلى «ماراجوجيب».

يوافقك رهان بخمسة آلاف رايس؟

صاح الزنجي «أنطونيو بالدوينو» الذى كان مع مانويل:

– وعشرة أخرى إذا أردت.

– موافق

وانطلق المركبان معاً، يشقان المياه الهادئة، وعلى متن «مبجر بلا مرفأ» راحت «ماريا كلارا» تغنى وأدرك «جوما» أنه خسر الرهان، إذ لا توجد ريح بإمكانها الصمود أمام أغنية جميلة، وتلك الأغنية التى تغنيها «ماريا كلارا» من أجمل الأغاني. وأحرز مركب المعلم «مانويل» تقدماً وكان «الباسل» يجرى بلا إرادة لأن «جوما» أسير جمال الأغنية.

كانت أضواء «ماراجوجيب» تتراعى على شاطئ النهر. تجاوزها «مبجر بلا

مرفأ» وخسر «جوما» الخمسة عشر ألف رايس. صاح عليه المعلم «مانويل»

– رحلة سعيدة !

أحس «مانويل» بالسعادة لأنه أحرز فوزاً آخر، وأن شهرته ستزداد تأكيداً، «جوما» أيضاً كانت له شهرة فى الميناء، إنه بحار جيد، يده قوية على الدفة وعنده شجاعة ليست لأحد. فى ليلة «كانا فييراس» لم يرد أحد الخروج، هو وحده كانت له الشجاعة. حتى المعلم «مانويل» لم يرد أن يخاطر بنفسه، ولا «شافيه» الذى كان حائقاً على الحياة هو وحده الذى ذهب ومنذ ذلك الحين زاعت شهرته فى الميناء. إنه من أولئك الذين يتكون خلفهم أسطورة وعبرة يتفكر فيها الآخرون.

كان المركب ينزلق فوق مياه النهر الهادئة، ودف إلى المنحنى الكبير عند «ماراجوجيب» كان «جوما» سعيداً اسمها «ليفيا» لا يعرف أية امرأة بهذا الاسم عندما تكون معه سوف يخسر المعلم «مانويل» كل السباقات، لأنها سوف تغنى مثل «ماريا كلارا» أغنيات الميناء القديمة. لقد استجابت له «يمانجا» وبعثت له بامرأته.

إنها أغنية من أغاني الميناء التي تقول إن مصير نساء البحارة مصير تعس، ويقال أيضاً إن قلب البحارة متقلب مثل الريح ومثل المراكب التي لا تستقر فى أى ميناء ولكن كل مركب يحمل اسم مينائه على مقدمته. باستطاعته الذهاب إلى الموانئ الأخرى والابحار لسنوات طويلة، ولكنه لا ينسى ميناءه قط، فهو يعود إليه دائماً، وهكذا قلب رجل البحر لا ينسى أبداً المرأة التي له وحده و«شافييه» الذى كانت له نساء كثيرات فى ضواحي الميناء، لم ينس أبداً تلك التي تدعى «كابوريه» والتي رحلت ذات ليلة، وهى حامل و«جوما» كذلك لن ينسى «ليفيا»، هذه التي لم يرها إلا مرة واحدة وصل إلى «ماراجوجيب»

كان الزبون ينتظره فى الميناء، وتكلما فى حمولة السيجار التي سينقلها المركب فى طريق عودته. شرب «جوما» كأساً فى أقرب حانة ثم رحل من جديد «بالباسل».

هنا، ينبغى الإسراع، لأن الحصان الأبيض يظهر هنا، فمنذ سنين طويلة وقد نسى الجميع ذلك، يرمح الحصان الأبيض بلا توقف! لا أحد يعرف لماذا يرمح هكذا على شاطئ النهر. إن أطلال القصور الإقطاعية وخرائب المزارع هى الآن من ممتلكات الحصان الأبيض الحصان الشبح الذى يرمح إن من يراه لا يستطيع الخروج من هذا المكان. صحيح أنه يظهر فى شهر مايو خاصة، شهر مغامراته.

كان «جوما» يتقدم بمركبه، حتى بلا رغبة، ينظر نحو الأجمات التي يسيطر عليها هذا الشبح.

يقال إن روحاً شريرة لسيد إقطاعى كان يقتل الرجال، وكانت حيواناته تعمل حتى تسقط ميتة . والآن ها هو الحصان الأبيض يجرى بطول النهر، يدفع ثمن ما اقترف يحمل حمولة ثقيلة كما تحمل الخيول وسرجه يصير تحت هذه الحمولة عندما يجرى فى هذه الأجمات، وحين يمر ، فإن الأرض نفسها تهتز. من يراه لا يستطيع الخروج من هذا المكان أن يتوقف عن الجرى إلا عندما يشفق عليه إنسان ويرفع عن جانبيه السلتين الكبيرتين المملوعتين بالأحجار التى تستعمل فى بناء قصره. منذ سنوات طويلة وهو يجرى هكذا

هذا الضجيج الذى يسمعه «جوما» هو ضجيج الحصان الأبيض و«جوما» يود اليوم أن يذهب ليخلص هذا الإقطاعى من عبوديته. إن «جوما» سعيد، المركب يجرى فوق النهر يتقدم بسرعة ، يتبعه الضجيج الذى تحدثه سنايك الحصان الشبح يتقدم بسرعة لأن «جوما» يريد أن يعود فى الغد إلى مينائه ليرى «ليفيا». لم تبد له الرحلة بهذا الطول قط. ومع ذلك لا يزال لديه الكثير ليفعله.. أن يترك الحمولة فى «كاشويرا» ويعود ليأخذ حمولة من «ماراجوجيب» ويذهب حتى «باهايا» رحلة طويلة لن يتعجل العودة ! لن يمر وقت طويل قبل أن تكون معه فى المركب تفتى له وتجعل «الباسل» يربح كل المراهنات ولذلك لا بد من الذهاب بسرعة لأن الرحلة طويلة للغاية، تستغرق يومين.

* * *

راحوا يحيون «جوما» من كل جانب، الحانة مزدحمة بالناس إن ميناء «كاشويرا» يموج بالحركة دائماً ، حيث تاتى السفن من كل مكان للرسو هناك. اليوم ترسو سفينة من الشركة الباهيانية فى الميناء. سوف ترحل فى حوالى الثالثة صباحاً ولذلك لم ينم البحارة كلهم فى الحانة يشربون «الكاشاسا» ويقبلون النساء. جلس «جوما» وسط جماعة وطلب هو أيضا «كاشاسا» ، وكان رجل أعمى على باب الحانة يعزف على فيثارته ، أما النساء فيضحكن كثيراً بلا سبب، ليضيفن جواً من البهجة ومع ذلك كانت إحداهن وهى تتحدث إلى أحد البحارة تشكو الدهر :

الجميع فقراء للغاية يا للبؤس ! لا نقدر على شيء ، حتى عا يكفى للطعام ..
قصوا على «جوما» المشاجرة التي حدثت في الليلة التي سبقت بين المراكبية
وشباب من المدينة كان ذلك في ماخور كان الشباب سكارى وأراد أحدهم أن
يدخل غرفة المرأة التي كانت مع «تريرا» الذي يعمل مراكبياً في «ماريا داجراسا»،
أخذ يضرب الباب بقدمه. نهض «تريرا» وفتح الباب فجأة فسقط الآخر في
الداخل، ولكنه نهض لتوه وأخذ يوجه الشتائم ويصيح بأذن امرأة كاس له، وأن هذا
الزنجي القذر عليه أن يرحل وإلا حطم وجهه. كان هؤلاء الشباب ستة يضحكون
ويصيحون في «تريرا» أن يخرج فوراً وإلا سيجرى له ما يجرى غلى الدم في
هروق «تريرا» ووثب والسكين في يده. وراح «جوسويه» الرنجي الضخم يقص
القصة

- كان بمفرده ضد ستة. لم يكن بإمكانه الفوز إلا بمعجزة من السماء لقد
تبارك لأنه رجل، وهزم ولكن بشرف. عندئذ حملناه وسددنا له الجرح بدا المنظر
سهباً.. اعتقد الأولاد أن ذلك شيء خطير، لدرجة أن أحدهم اختبأ تحت سرير
امرأة

- ضحك الجميع من أعماق قلوبهم وضحك «جوما» أيضاً
- هذا جزاء حسن !.. يعلمهم أن يكونوا أقل غباء
- إنك لم تعرف ما في القصة إنهم جميعاً موظفون في محلات تجارية لقد
شاع الخبر في المدينة على نطاق واسع! وكان الجميع يتحدثون عنه في كل ركن
لدرجة لا تتخيلها ، شغل نسوان. لم ينته اللفظ وقد أعاظهم ذلك ولما كانوا جميعاً
ضمن مدرسة لاختيار الموظفين عند ناصية الشارع فقد أعلنوا أنهم بعد الامتحان
سوف ينتظروننا عند المرأة

إنهم يسعون للتأديب

قال خلاسى طويل نو شعر ناعم

- يعتقدون أنه يكفى أن يرتدى الإنسان «يونيفورم» حتى يصبح رجلاً

- سوف نذهب بعد قليل عند المرأة، أتأتى بنا ؟
رفض «جوما» بإشارة من يده. فى أية ظروف أخرى، مهما كانت كان
سيذهب على الفور ويكون سعيداً لأنه لم يرفض أبدا الذهاب لمشاجرة، لكنه
يرفض هذه الدعوة لأنه يريد العودة بمركبه ليسمع أغنية تأتى من البحر، ويفكر
فى ليقيا».

- ماذا ؟ لن تأتى ؟

استغرب «جوسويه» قائلاً

- لم أتوقع ذلك من زميل شجاع مثلك

حاول «جوما» أن يفسر موقفه

- لا علاقة لى بذلك

- ماذا قلت.. أأست بحارا؟

أدرك «جوما» أن عذره لن يقبل، وأنه إذا لم يذهب معهم إلى المشاجرة فلن يمد
أحد فى الميناء إليه يده للمصافحة

- سأذهب

- كنت واثقاً

بعد قليل ، وصل «تريرا» مخموراً بعض الشيء أخذ يصيح محيياً إياهم

- ها هو «تريرا» فحل حقيقى !

وأخذ يحيى الجميع

- مساء الخير جميعاً ! عاش البحارة !..

لم يكن «جوما» يعرفه جيداً ، فهو لا يذهب قط إلى «باهيا» بل إلى موانئ
الخليج ، ينقل التبغ من مكان إلى آخر. خلاسى أحمر الوجه، نو شارب صغير،
مصفف بعناية ، قصير الشعر ، قدمه «جوسويه» إلى «جوما»

- هذا هو «جوما» ، الزنجى الشجاع

قال تريرا :

- إننى أعرفه فعلا

ابتسم ملء فمه ، فبدت سن اصطناعية فى ركن فمه، كان يرتدى قميصا ذا خطوط مائلة بشكل مضحك

- سمعتهم يتحدثون عنك أألسنت أنت الذى ؟

- نعم هو بعينه صعد فى مركب صغير واقتحم العاصفة الهوجاء،
عاصفة القيامة وأعاد «كانا فييراس»

- اليوم ، هناك تسليية صغيرة لرجل شجاع

- حدثنى «جوسويه» عن ذلك

- أولاً كنت وحدى ، لقد قتلونى تقريبا ، ثم كانت البقية

- لقد تركناهم هكذا أتى «جوسويه» بحركة غريبة من يده التى بسطها ثم
ضمها ثم هبط بقبضته على المنضدة كان يريد أن يقول إنهم سحقوا الشبان.

- الآن يريدون أن يثيروا ضجة ، يقال إنهم جميعاً ذاهبون إلى هناك. جاءت
أصوات وقع الأقدام من الشارع كانت فصيلة من جنود المشاة تمر وسمعت
هصحة

- لليمين در

إنها ضجة الأقدام التى تضرب الأرض طلب «جوسويه» كأس «كاشاسا»

واقترح «تريرا»

- أأنذهب يا أصدقاء ؟ وإلا سيكون الوقت متأخراً يقولون إننا هربنا ألقوا
بقطع النقود المعدنية على المنضدة وخرجوا، كانوا حوالى إثنى عشر رجلاً أما
بهارة سفينة الشركة الباهيانية فلم يذهبوا، لأن عليهم أن يكونوا فى السفينة التى
ستبحر عند مطلع النهار. كان أحدهم يشكو

- التخلف عن مثل هذه المناسبة ! وأنا الذى أتشاجر من أجل قشة إنه

الحظ

اتجهوا نحو شارع العاهزات ، وهم يتحدثون عن أشياء كثيرة، كأنهم نسوا

المشاجرة راحوا يحكون حكايات عن الصيد، ذلأ أحدهم، وهو نحيف، يحكى عن قطعة جاتوه أكلها عند أحد العرباين فى «سان فيليكس» ، وبقى «تريرا» يستمع وهو منحن ، ورأسه الطليق يلمع كلما مر تحت عمود إنارة ، ولكن عندما وصلوا إلى شارع العاهرات ، بدأوا يصيحون
- لقد وصلنا !

أخذ المارة ينظرون فى دهشة إنهم مجموعة مثيرة للدهشة ومن بعيد ، يمكن التكهن بأنهم من رجال البحر، إنهم يمشون بخطوات واسعة، أجسامهم تتأرجح كأى ريحا قوية تهزها، قال صبى صغير ربما لا يتجاوز السادسة عشرة، لصديقه الذى يكبره

- البحارة قادمون من هناك ، هيا بنا
- اتخذ الآخر وضعا ، وسحب نفسا من سيجارته
- ماذا بك ؟ البحارة أليسوا أناسا مثل غيرهم ؟ إننى لست خائفا هنا
- كانا ينظران مر عجوز يسب ويلعن
- ألا توجد شرطة عصابة مجرمين لم يعد الرجل الشريف فى مأمن
- وأخذ ينظر فى غيظ إلى العاهرات المطلات من النوافذ
- مرت المجموعة بالقرب من الصبيين
- نفث أحدهما دخان سيجارته الذى ذهب مباشرة إلى وجه «جوسويه»
- أنتعمد هذا ياشبيه الرجل ؟
- تدخل الصبى الآخر بصوت مرتعش ليساعد زميله
- لم يتعمد ذلك
- نظر «جوسويه» إليه شزرا بينما توقفت المجموعة على مقربة
- أأنت جاسوسا لأذخرين ؟
- سوف نذهب.. ليست لنا علاقة بذلك، يامخلم

- لست معلماً لأحد هذه شتيمة !
صاح «تريرا» على «جوسويه»
- دعك من ذلك تعال يارجل ، سوف نتأخر
عندئذ رجاء الصبى
- بالله لا تضربنى، فأنا لم أفعل شيئاً
خفض «جوسويه» يده
- إذن ابتعد من أمامى
ذهب الصبيان وسأل «جوما» «جوسويه»
- ماذا هناك ؟
- لا شىء فالصبيان كادا يموتان من الخوف
هنا خرجت صببية خلاسية تهز أردافها
- ماذا تريدون ؟
أمسكها «جوسويه» من ذقنها
- كيف الحال أيتها الأم الصغيرة ؟
- أم الشيطان، لكن لست بأمك. ماذا جئت تفعل هنا؟ فرقة مثل الأمس؟، أنا
التي سأطلب الشرطة. هيا اخرجوا من هنا !
- لا تتكلمى هكذا يا «تبييريا» جئنا لنتسلى مع الفتيات. ألن يمكننا إذن
المجىء عند امرأة ؟
- كانت المعلمة الكبيرة تنظر بارتياب:
- أعرف ما تريدون، لقد أنيتم لإثارة فضيحة أنتم تعتقون أن حياتنا جميلة.
- هاتيتم بالجرب لكى نهرش جلدنا
- نريد أن نشرب قليلاً من البيرة يا «تبييريا»
- دخلوا، وفى الصلاة، كانت النساء حول المائدة، ينظرن خائفات ، قال أحدهم
- لهوما

- أيعتقدون أننا حيوانات مفترسة أو أرواح من عالم آخر؟

قالت عجوز شقراء لتريرا

- أجنّت ثانية لتثير ضجيجا أيها البائس؟ ليأخذك الشيطان. اليوم لابد أن

أذهب إلى قسم الشرطة

- جئت لأنهي حب الأمس يا «لولو»

أخذوا أماكنهم حول المنضدة وجرى لهم بالبيرة، لم يكن هناك إلا خمس

نساء. وأخطرتهم «تيبيريا»

- ليس لدينا نساء لكم جميعاً لاتوجد سوى خمس

اقترح «تريرا»

- سوف يذهب الباقون إلى بيوت أخرى

- لكن أولاً سنشرب البيرة معا وطلب «جوسويه» وهو يخبط على المنضدة،

البيرة بسرعة

وذهب بعضهم إلى بيوت أخرى. سوف يخرجون بمجرد أن يسمعوا الشبان

عائدين من الامتحان، وسوف يبقون حول البيت انتظاراً للحظة الشجار. من

الاثني عشر لم يبق حول المائدة سوى «تريرا» و«جوسويه» و«الخلاسى النحيف»

وشخص به ندبة فى شفته و«جوما» الذى تشبث به «جوسويه» المخور.

- لا يمكنك أن تعرف مدى صداقتك عندى فى الميناء، لايمكن لأحد أن

يتحدث عنك بالسوء أمامى

علق صاحب الندبة

- لقد عرفت أباك. يقولون إنه قتل شخصاً

كان «جوما» صامتاً أحضرت امرأة فوتوغرافا، وسحب «جوسويه» خلاسية

شابة إلى الغرفة وذهب «تريرا» مع العجوز الشقراء وأخذت «تيبيريا» تحصى

زجاجات البيرة الفارغة. ترك الرجل نو الندبة رأسه يسقط فوق المائدة. اقتربت

منه امرأة :

- وأنا ؟ هل أبقى دون رجل ؟

وراحت تجره قال الخلاسى النحيف:

- لقد أتيت من أجل الشجار، ولكن بما أنني هنا

وذهب مع المرأة الأخرى

أما تلك التى كانت من نصيب «جوما» فكانت خلاسية شابة يبدو أنها لم

تمارس المهنة منذ زمن طويل. وفى الغرفة بدأت على الفور فى خلع ملابسها

- أئدعونى إلى كأس كونياك، أيتها الشاب اللطيف ؟

- نعم

- «تيبيريا» إحضرى كونياك

تناولت وهى لاتزال بالقميص الكأس من الباب الذى كان موارباً. شربته فى

جرعة واحدة. طرقت بلسانها وقالت له شكراً ، واستلقت على ظهرها .

- ماذا تنتظر هناك؟ (كان «جوما» جاساً على حافة السرير) ألا ترغب؟

خلع «جوما» الحذاء والسترة. قالت له

- بدأت اعتقد أنك جئت هنا لشيء آخر

- كلا بل من أجل ذلك

كانت شمعة تضىء الغرفة، وشرحت له أن اللمبة احترقت وأن إدارة الكهرباء

فى «كاشويرا» إدارة بائسة جداً تمدد «جوما» فوق السرير ، ينظر إلى المرأة

وهى تتكلم انها لاتزال صغيرة، ولكنها لن تتأخر فى بلوغ الشيخوخة. كانت أمها

قد مرت بحياة مشابهة ، إنه مصير تعس للغاية سأل المرأة

- ما اسمك ؟

- ريتا - واستدارت نحوه - ريتا ماريا دا انكارنا سانو

- جميل هذا الاسم الطويل، ولكن أأست من هنا ؟

لوت ريتا فمها امتعاضاً

- كما ترى إننى هنا لأن وشرحت بقية الجملة بإشارة غامضة ونظرة

حزينة .

ولكننى من العاصمة

- من «باهيا» ، أليس كذلك ؟

- من أين تريدنى أن أكون ؟ أم تظن أنى فلاحه ؟

- أرى أنك لا تزالين صغيرة على الانزلاق إلى هذه الحياة.

- ليس للشقاء عمر .

- ما عمرك ؟

كانت ظلال الشمعة ترسم أشباحاً فى الغرفة المبنية بالطوب اللبن .

سحبت المرأة ساقها ونظرت إلى «جوما»

- ستة عشر عاما ، لماذا ، إن كان من حقى أن أسألك؟

- لا تزالين صغيرة للغاية، وما أنت قد انزلت. اسمعى، إننى أعرف امرأة

(تذكر أمه) بلغت الشيخوخة بسرعة كبيرة.

- هل جئت لتعطينى نصائح؟ بحار أنت أم قس ؟

ابتسم «جوما»

- إننى أتكلم لمجرد الكلام ذلك يحزننى، هذا ما فى الأمر.

جلست المرأة فوق السرير كانت يداها ترتعشان

- إننى أعفك من إحسانك ، ماذا جئت لتفعل هنا ؟

- ومن يعرف لماذا ؟

غطت نفسها بالملاءة وقد شعرت بخجل مفاجئ كان «جوما» حزناً فلم يعبأ

كثيراً لشتيمتها لقد وجدها جميلة، لاتبلغ من العمر إلا ستة عشر عاما ، وفكر

بأن أمه كانت فى وقت من الأوقات مثلها. أخذته الشفقة بها فما قالت أمر محزن

للغاية وضع يده على كتفها برقة بالغة جعلتها تنظر له من جديد

- سامحنى

- أتدريين من هى المرأة التى أعرفها؟ إنها أمى. عندما رأيتها، كانت لاتزال

صغيرة، لكنها كانت مستهلكة أكثر من هيكل سفينة غارقة.. أنت طفلة صغيرة جميلة لماذا أنت هنا ؟ - وصاح دون أن يدري لماذا يصيح - ليس لديك ما تفعلينه هنا ؟ من الواضح كما يتراعى لأول وهلة، أنك لست من هنا غطت نفسها بالملاءة أكثر من قبل وهي ترتعش كأنها تشعر بالبرد، وكأن أحدهم يجلد جسدها وندم «جوما» لأنه صاح - ليس لديك ما تفعلينه هنا لماذا لا ترحلين ؟ كان صوته وديعاً كصوت ابن يتحدث إلى أمه. كان يقول لها كل يريد قوله لأمه.

- أين؟ إن المرء يسقط هنا وكأنه يسقط فى مستنقع لا أشجار يمكنه أن يتعلق بها لا وجود إلا لأعواد البوص كانت تبدو على وشك البكاء

- لماذا جئت تتحدث عن كل ذلك؟ كنت راضية تماماً عن حياتى هل جئت لتعذبني، ولن تفيد شيئاً من ذلك ؟

كان ضوء الشمعة يموت وينبعث فى كل لحظة

- لا ، لست من باهيا، ولم أضع فيها قدمي قط إننى من «الآجوانياس» وأنا هنا لأننى أشعر بالعار. كان مندوب مبيعات جائلا لقد رحلت بعارى من بلدتى ومات طفلى الرضيع

وضع يديه على رأس «ريتا» كانت تنتحب فى صوت خفيض ورأسها منكس فوق صدرها

- ولكن قل لى ما يجب على أن أفعله؟

طرق أحدهم الباب، وسمع «جوما» صوت «جوسويه»

- «جوما» !

- ماذا ؟

- لقد وصلوا .. تعال بسرعة !

هلت جلبة الأصوات والخطوات من الشارع أمسكت المرأة «جوما» من ذراعها:

- ماذا هناك ؟

- إنهم الطلبة .. ستحدث مشاجرة

وأتى بحركة ليقفز من السرير، لكنها منعتة بذراعيها، بدا عليها الخوف وعيناها لا تزالان دامعتين احتضنته كما يحتضن المرء أمله الأخير ، كما يحتضن شجرة على حافة الهاوية.

- لا تذهب ، لا

داعبها

- دعك ، لن يكون الأمر خطيراً

كانت تنظر إليه دون أن تفهم

- وأنا ، ما معنى ذلك بالنسبة لي؟ وأنا ؟ لن تذهب. لن أتركك إنك لي الآن،

لا تستطيع أن تذهب إلى الموت إذا مت ، سأقتل نفسي.

غادر الغرفة، وفي الردهة ، كان لا يزال يسمع نحيبها - رغم ضجيج الشبان

الذين دخلوا يصيحون - وصوتها وهى تتسائل

- وأنا ؟ .. سأقتل نفسي أنا أيضاً

* * *

كانوا حوالي سبعين شاباً ما عدا اثنين كانا متزوجين ولذلك لم يأتيا. ومن أجل هذا السبب وحده تمت المشاجرة. دخلوا إلى الغرف يضربون النساء والرجال فرد عليهم البحارة ، لم يعرف أحد إن كان «تريرا» هو الذى ضرب بالسكين أولاً أم أن الشاب هو الذى اطلق الرصاص ، فعندما وصلت الشرطة كان البحارة قد هربوا من خلف المزل بأن قفزوا من فوق الحائط وعادوا إلى الميناء ، وهو مكان

خطر يصعب البحث فيه عن بحار كان الشاب المطعون بالخنجر قد مات وكان جرح الآخر صغيرا ، جرحه السكين فى زراعه ، وكانت آثار الدماء تشير إلى أن الرصاصه جرحت «تريرا» ، قال جاويش الفصيله إن الرصاصه كانت فى الصدر وأنه راها عندما اطلق الشاب الرصاص

- ومع ذلك أخرج الخلاسى الخنجر ، ومضى محنى الظهر كعجوز ، لقد دخلت الرصاصه فى الصدر ، إنى واثق من ذلك لن يستطيع العوده إلى الميناء كانت المرأة قد ماتت أيضا فقد وقفت بين «جوما» وبين الرصاصه التى أطلقها الجاويش لكن لا أحد يفكر فى «ريتا» لأن المومس شىء لا أهميه له أما الشاب فكان من عائلة عريقه ، معروف فى البلد ، ابن محام خبط المأمور على جبهته - لقد كان نائما عندما استدعوه - ونظر إلى جثه «ريتا» ولكنها بقدمه - وتلك ؟ لماذا ؟

كانت الشقراء مندهشه أيضا

- لقد انتابتها حالة خرجت من الغرفه ، تبدو كالمجنونه، تشبثت ببحار كان معها وأرادت أن تعيده إلى الغرفه عندئذ كان الضرب قد بدأ. وقفت أمامه وتلقت بقية

- هل كانت صديقته ؟

- أعتقد أنها عرفته هذه الليله - هزت رأسها - لقد انتابتها حالة كان الآخرون أيضا لايفهمون لا أحد يفهم ، لم يكن أحد يعرف أنها قد تطهرت ، وأنها غادرت هذه الحياه التى لم تخلق لها غادرتها من أجل حبها، ومع ذلك كانت «تبيريا» المعلمه تردد والدهشه فى عينها - لقد انتابها شىء -

ألقى «جوما» بنفسه فى الماء ، على مسافة بعيدة من «الباسل» وسبح نحو مركبه وصعد إليه ، ظهر أمامه شبح يناديه بصوت خافت
- «جوما» ؟

- إنه «جوسويه» عارى الصدر ارتفع الماء فى الخليج وكان المركب على مسافة كبيرة من الميناء
- كانت مغامرة شياطين إن «تريرا» هنا حملته سابحا لقد كادت روحى تخرج من فمى
- لماذا هو هنا ؟

- إنه فى حالة سيئة للغاية ، يا «جوما» أينبغى أن نحمله الى «باهيا» اذا أمسكوا به فسوف يقتلونه ، لقد أصيب برصاصة فى بطنه
بدأت الأرصفة خالية ، وكانت سفينة الشركة الباهيانية مضاءة لاتستقبل سوى القليل من المسافرين ، وكانت القوارب كلها قد خرجت واصل «جوسويه»
- عندما وصلت معه كانت المراكب قد رحلت لم يبق إلا «الباسل» لو كان لدى مركب لا اصطحبت به ، ولكنه فى قاربى لن يصل الى النهاية
- أين أرقدته؟

- فى قاع المركب، لقد ضمدت له الجرح أعتقد أنه نائم الآن
- ماذا أفعل به ؟
- احمله إلى الدكتور «رودريجور» إنه رجل طيب سوف يعالجه بعد ذلك يمكنه أن يخفى
- حسنا

أمسك «جوما» بالقنديل فى يده ونظر إلى «تريرا» الذى يرقد فى قاع المركب لم يعد الدم ينزف من جرحه بدأ «تريرا» ميتا تنفسه فقط يدل على أنه لايزال حيا كان ممتعقا والقنديل يضىء رأسه الحليق ، قال «جوسويه»

- هيا بسرعة، فقد تأتي الشرطة بين لحظة وأخرى !
ساعد «جوما» فى تحريك المركب ، وعندما تحرك المركب ألقى بنفسه إلى
الماء وأشار بيده إشارة وداع

- إلى المرة القادمة !... يمكنك أن تعتمد على هذا الزنجى
عند خروجه من الميناء رأى «جوما» حركة غير عادية فى السفينة
الباهاينية

كان رجال كثيرون يصعدون ويتكلمون بصوت عال لاشك أنهم من
الشرطة. كان «جوما» يمسك بالدفة أما المركب فيجرى بقدر مايستطيع كان
«جوما» قد أطفأ القنديل وكان يبصر بحذر لأن النهر ملىء بالصخور والليل مظلم
سمع أول نداء من السفينة كان يفكر بينه وبين نفسه «لاتزال أمامى ساعة».
ساعة لكى يسبقهم، ساعة لكى يهرب من التفتيش المحتمل لمركبه لم يعد أمامه
إلا أن يختبئ فى أى جون فى النهر وينتظر حتى تمر السفينة. إذا لحقوا به
ووجدوا «تريرا» يحتضر فى مركبه سينتهى مستقبله ، وربما يدخل السجن
لا سجن فى هذه الأثناء وربما يظل طافيا فوق الماء وسكين مزروع فى جانبه
مثلا. إنهم لا ينتقمون «لتريرا» الذى يموت بالفعل ولكنهم ينتقمون لشخص آخر
لقد كان الشاب من عائلة عريقة ابن أناس محترمين تلفت «جوما حوله. كان
البحر هادئا والرياح تصفر كانت رياح لطيفة تدفع المركب ان البحر يساعد
الرجال البحر صديق صديق رائع

كان المركب ينزلق فوق المياه الزرقاء دار «جوما» حول صخرة ودخل فى
ممر ضيق. كانت عيناه متيقظتين ويده تمسك بالدفة فى حزم كان «تريرا» يئن
فى قاع المركب. ناداه «جوما»

- «تريرا» أسمعنى يا «تريرا»

كانت اجابة السؤال أن زاد الأئين لم يستطع «جوما» أن يترك الدفة.
سيكون من الخطر بمكان أن يترك المركب يمشى وحده فى الممر .

- ساتى إليك .. انتظر لحظة

تتابع الأنين فى ألم . وفكر «جوما» بأن «تريرا» سوف يموت سوف يموت فى مركبه وسوف تجده الشرطة هناك سوف ينتقمون من «جوما» إن ذلك لا يخيفه ، يريد ألا يبقى وحيدا مع جثة «تريرا» الذى مات من أجل أمر تافه. ما كان ينبغى «لتريرا» أن يأخذ سكينه. وإذا كان الآخرون عددهم كبيرا فلم يكن جبانا ليرحل ويخلى المكان لكن «جوما» كان يفكر من كان لا يتصرف على هذا النحو. ومن منهم كان لا يضرب بالسكين ؟ إن «تريرا» على وشك الموت ، لن يجدى التفكير شيئا لابد من تفاعى التفتيش حتى يمكن اىصال الجثة الى الميناء الى أولئك الذين سوف يبكون عليها

تجاوز «جوما» المر المائى ، وأشعل القنديل واقترب من قاع المركب. نجح «تريرا» أن يستدير ويرقد على جانبه كان خيط من الدم يخرج من الجرح. سأل «جوما»

- أتريد شيئا يا أخى ؟ سوف نذهب إلى «باهيا»

التفتت عينا «تريرا» الساكنتان نحوه

- ماء

أخذ «جوما» القرعة وهبط قريبا من شفتى الجريح شرب «تريرا» بصعوبة ثم استدار ورقد على ظهره وأخذ يحدق فى «جوما»

- أهذا «جوما» ؟

- نعم ، أنا هو

- مات الآخر ، أليس كذلك ؟

- نعم

- لم أقتل رجلا أبدا إننا ننكأ جراحنا بأنفسنا

- هذا صحيح

- ماذا ستصبح زوجتى الآن ؟

- أنت متزوج

- إننى متزوج فى «سانتو أمارو» ولى ثلاث بنات صغيرات ماذا سيصبحن؟

- لن يحدث شىء. سوف تشفى هناك معهن

- هل تبحث الشرطة عنا ؟

- نعم ، لكننا ضللناهم

- إذن ، اذهب إلى الدفة.

صعد «جوما» ثانية كان قلقا لأن «تريرا» له زوجة وثلاث بنات من سيظعنهم فى هذا العالم ؟ يقول العجوز «فرانشيسكو» إن البحار لاينبغى أن يتزوج. فيوم يحدث حادث يبقى الأطفال جوعى. ومع ذلك ، فهو يريد أن يتزوج ويزيد أن يصطحب «ليفيا» فى مركبه ، وأن يكون له ولد نادى صوت «تريرا» المكتوم من جديد

- «جوما» !

هبط ، وكان «تريرا» يحاول أن يرفع رأسه

- هل سمعت صفارة السفينة ؟

- كلا

- لقد سمعتها أنا إنهم قادمون ، أليس كذلك ؟

فهم «جوما» أن «تريرا» يقصد الشرطة وتابع «تريرا»

- سوف يقبضون علينا ويقتلوننا فى مكاننا

لزما الصمت وكان المصباح يضىء وجه «تريرا» الذى ينقبض من الألم.

- لم تعد هناك وسيلة وحيدة ، فأنا سوف أموت ، ساعدنى لكى أصعد

والقى بنفسى فى الماء ، وعندما يصلون فلن يجدونى

- إنك تهذى أيها العجوز ، ما زلت أستطيع المناورة بمركب

- اعطنى ماء !

صعد «جوما» بعد أن أعطاه قليلا من الماء نعم الآن صفرت السفينة.

لا بد أنها غادرت الميناء وسوف تأتي في إثرهما عندما يلمحون المركب والرجلين
سوف ينتهي كل شيء سوف تتبع السفينة طريقهما وسوف يقتلها الرجل
المسلحون وسيقولون بعد ذلك إنهما قاوما إن «جوما» لا يمكنه المقاومة
فالسكين لا يستخدم إلا لرجل في مواجهة رجل. عندما يقفزون فوق المركب سيكون
في أيديهم مسدسات وبنادق هذه الليلة سوف يذهب «جوما» و«تيريرا» لرؤية
«يمانجا» ولن يرى «ليفيا» ولا العجوز «فرانشيسكو» بعد ذلك قط كان المركب
يجرى تدفعه الريح كان «الباسل» يبذل كل ما يستطيع لكن هذه الرحلة هي
الأخيرة «للباسل» الذي سوف يثقبه الرصاص وربما يغرق مع صاحبه ولن
يضىء قنديله بعد ذلك في هذا الخليج ولن يعبر النهر ولن يقوم «جوما»
بالمراهنات مع المعلم «مانويل»

ظل الشاب مطروحا في الصالة والمرأة كذلك الآن فقط تذكرها «جوما»
لقد ماتت من أجل أن تنقده كانت صغيرة وجميلة ، لقد غادرت هذه الحياة التي
لم تخلق لها. لو أنها لم تمت لما تركت كأس «الكاشاسا» ولشاخت قبل الأوان ، لقد
ماتت كامرأة بحار ليست عاهرة من تموت برصاصة في القلب لقد كانت زوجة
«جوما» «جانينا» تعرف ذلك ولا بد أن تتجول معها في أراضى «أيوكا» وتجعل منها
وصيفتها على صخرة السد كانت صغيرة وجميلة لقد ماتت من أجل واحد من
رجال البحر سوف يدفن جسدها في المقبرة لكن «جانينا» لا بد أن تأتي تبحث
عنها لكي تكون وصيفتها سوف يقص «جوما» قصتها على «ليفيا» وإذا رزقا
بطفلة فسيكون اسمها «ريتا»

كان يسمع صفارة السفينة التي تتجه الى الممر المائي والتي لن تتأخر في
الوصول الى «الباسل» والتي سوف تنزل زورقها الى الماء وتختفي في الظلام
عندئذ سوف ينتهي كل شيء. كان «الباسل» يجرى بقدر طاقته كان يجرى نحو
الموت لأن أجله قد حان. سوف يبهران نحو أراضى «أيوكا» التي هي أجمل
الأراضى حيث تنتظرهما ريتا

سمع «جوما» حفيفا كما لو كان أحدهم يتسلل الى المركب ، نعم هناك شخص جاء بهدوء الى سطح المركب ترك «جوما» الدفة وذهب يستطلع. إنه «تريرا» الذى سيلقى بنفسه فى الماء اندفع «جوما» نحوه وأمسك به قاوم «تريرا» إنه يريد أن ينهى حياته مرة واحدة لا يريد لجوما أن يضحى بنفسه من أجله كان رأسه الحليق يلمع تحت ضوء القنديل سحبه «جوما» الى قاع المركب. نظر إليه «تريرا» بعرقان وإكبار يعرف أن هذا هو قانون الميناء وأن «جوما» يعرف كيف يحترم القانون. إذن فسوف يموت الاثنان سأل «جوما»

- ألدك سكين زائد ؟

- نعم ، لماذا

- اعطنى إياه أريد أن أموت كرجل مازلت قادرا على استعمال سكين

ابتسم بصعوبة

أعطاه «جوما» السكين وصعد هو أيضا يدافع عن نفسه لن يترك نفسه يقتل مثل سمكة يتم الامساك بها حية لم يترك السكين إلا عندما يسقط هو. لن يرى «ليفيا» بعد الآن ، سوف تتزوج من اخر وستنجب أطفالا من آخر، ومع ذلك سوف يكون اسم «ليفيا» آخر ماينطق به وهو يسقط من المؤسف أن «روفينو» ليس بجانبهما لو كان الزنجى هنا لرسم بالوشم اسم «ليفيا» على ذراعه. لمح قنديل مركب من عساه يكون القادم ؟ وفى الحال عرفه ، نعم ، إنه صديق ، من الممكن إنقاذ الموقف اقترب المركب ، إنه مركب «جاك» فى هذا الصباح ، كانا قد تعاركا على الرصيف لكن «جوما» يعرف أن بإمكانه أن يستنجد به ، لأن ذلك هو قانون الميناء

بإشارة من قنديل «جوما» توقف مركب «جاك» بدا «جاك» خائفا إنه ينتظر لحظة الانتقام من «جوما» لكن «جوما» شرح له ماحدث وما كان من أمرالمطاردة. إن «تريرا» فى قاع المركب ولم يتردد «جاك» قاما بحمل «تريرا» الى مركبه

كان يلهث وهو قريب من الموت ، بادره «جوما»

- سوف انتظر فى «ماراجوجيب»

- اتفقنا

- رحلة سعيدة

وانطلق المركبان. من الآن فصاعدا لن يحدث شىء لن يرتاب أحد فى «جاك» الذى سيذهب الى «كاشويرا» وفى «الباسل» لن يجدوا شيئا. ولن يستطيع أحد أن يؤكد أن «جوما» اشترك فى المشاجرة، وبإستثناء النساء ، فى مثل هذه اللحظات ، فإن الرجل ليس له وجه وسوف يكون حرا

تعرض للتفتيش - كان قد غسل بقع الدم من قاع المركب وتركوه فى سلام. لن يتأخر «جاك» فى العودة ، عندئذ سيقوم «جوما» بنقل حمولة السيجار ويبحر المركبان معا سيفير «جك» طريقه ويذهب معه حتى النهاية. لم يمت «تريرا»:

إنه يتأوه فى قاع مركب «جاك» كان الصبح قد أشرق عندما وصلا إلى «باهيا» وكانت السفينة قد وصلت منذ وقت طويل الى الميناء ، حيث علم الجميع بأمر المشاجرة ظل «جاك» فى المركب وذهب «جوما» لياى بالدكتور ، «رودريجو» راح «تريرا» يشن وهو يتحدث عن زوجته وعن أسرته، وبناته الثلاث. رأى فى هذيانه سفينة ضخمة، عابرة للمحيطات ترسو فى الميناء لتبحث عنه وتلقيه فى قاع البحر لم تعد هناك سفينة، بل سحابة سوداء من العاصفة التى رست بالميناء رست سفينة بالميناء رست سحابة بالميناء. جاءت العاصفة لتحمل «تريرا» الذى قتل رجلا. أين زوجته ؟ أين بناته لكى يودعنه ؟ سوف يرحل فى السفينة سوف يرحل فى السحابة. لا لن يرحل لأن زوجته ليست هنا لأن بناته اسن هنا ليودعنه الوداع الأخير. مازال «تريرا» على سطح السفينة على سطح السحابة ،

فى وسط العاصفة، مازال يتحدث عن زوجته عن أسرته عن بناته الثلاث «مارتا» ،
«مارجاريدا» ، «راكيل»

«مارتا» ، «مارجاريدا» ، «راكيل»

إذا كان فى الميناء شىء مؤكد لايتزعزع، فهو أن الدكتور «رودريجو» من عائلة بحارة، وأن آباءه وأجداده وأسلافه الأقدمين قد مخروا عباب البحر بمراكبهم واتخذوا من ذلك وسيلة للعيش فهذا فى الحقيقة هو التفسير الوحيد لأن يهجر طبيب متعلم شوارع المدينة الجميلة ويأتى ليسكن فى حى الميناء ، فى منزل متهدم مع بضعة كتب وقطة وعدد من زجاجات الخمر

لم يكن ذلك بسبب لوعة الحب فالدكتور «رودريجو» لايزال صغيرا حتى يعانى فى قلبه من مرض لاشفاء له منه. من المؤكد - كما يردد المراكبية - أنه من عائلة بحارة وأنه عاد إلى البحر. ولما كان نحيفا وضعيفا ولايقدر على قيادة مركب فى المياه أو أن يحمل جوالا مملوءا فقد كرس نفسه لمعالجة أمراض البحارة وإعادة الحياة الى أولئك الذين يعودون من العواصف موتى تقريبا . وعلى العموم ، فهو الذى دفع المال لدفن الفقراء ، وهو الذى يساعد الأرامل ، وينتزع من السجن أولئك السكارى الذين يلقون بهم هناك يفعل الكثير من أجلهم ، لذلك يحظى بتقدير كبير فى الميناء. وقد بلغت سمعته أماكن تصل اليها فقط سمعة البحارة الشجعان. كما أنه يفعل أشياء أخرى ، ولكن البحارة لايعرفونها ربما تعرف دونا «دولشى» وحدها إنه ينظم قصائد عن البحر ، لأنه يرى أن قصائدها عن مثل ذلك الموضوع ضعيفة للغاية ، لم تفهم دونا «دولشى» لماذا يبقى هناك رغم ثرائه وأنه يحظى بالتقدير فى أعالي المدينة كان يرتدى ملابس بالية ، بلا رابطة عنق، وعندما لايزور مرضاه وما أكثرهم وهم لايدفعون له شيئا - كان يشعل غليونه ويتأمل المنظر المتجدد دوما للبحر

كان لديه مذياع ، يأتى الكثيرون اليه فى المساء ليستمعوا الى موسيقى

البلاد الأخرى. يدخلون عنده بلا وجل ، وينظرون الى الكتب القديمة والجميلة
كالمعارف فى البداية، كانوا يشعرون بخجل من هذه الكتب التى تفصلهم عن
الدكتور «رودريجو». فى كل مرة تقريبا ينتهون الى اغلاق المذياع ويغنون أغانى
الميناء لكى يسمعا الدكتور. إقامته فى الميناء ، وحياته بينهم لم تكن ، مع ذلك ،
سرا بالنسبة للعجوز «فرانشيسكو» الذى قال له ذات مرة

– كان أبوك بحارا ، أليس كذلك يادكتور «رودريجو» ؟

– لا ، حسب علمى ، يا «فرانشيسكو»

– ولكن جدك

أجاب «رودريجو» وهو يبتسم

لم أعرفه وأبى لم يكن لديه وقت لكى يكلمنى عنه

وأكد «فرانشيسكو»

– لقد كان بحارا لقد عرفته كان قائد سفينة ، رجلا شجاعا محبوبا

ممن يحيطون به

كان لدى «فرانشيسكو» شبه اقتناع بأنه عرف جد «رودريجو» فى حين أنه
هو الذى اخترع هذه الأكذوبة ، حيث جاء التأكيد فى الميناء على أصل الدكتور
كان الجميع ينتظرون أن يأتى يوم يتزوج فيه الدكتور «رودريجو» دونا «دولشى»
فالاثنتان يلتقيان ويتنزهان ويتحدثان معا ، لكنهما لم يتحدثا قط فى الزواج ، ومع
ذلك يتحدث الناس فى الميناء منذ وقت طويل ، عن يوم الاحتفال بزواجهما ، وكان
الأكثر حميمية بينهم يتجراون أحيانا بالإشارة الى موضوع الزواج وكان
الدكتور «رودريجو» يتبسم ويبدو كأنه يتوارى خلف ملابسه البالية ويغير الموضوع
ويعود الى كتبه ومرضاه – ومن بينهم طفل مسلول يأخذ كل وقته تقريبا – والى
تأمل البحر

فى البداية كان الدكتور «رودريجو» يذهب كثيرا الى المدينة يدعو الى
إجراءات صحية من أجل بيوت الميناء ، لكن أحدا لم يسمعه قط فكف عن الذهاب
الى هناك حدثته دونا «دولشى» عن المعجزة التى تنتظرها ، عندئذ سيكون كل

شيء أكثر جمالا فى حى الميناء ، وعندئذ ربما يستطيع الدكتور «رودريجو» نظم قصائد جميلة فى مثل جمال البحر

دخل «جوما» الى الغرفة التى تستخدم كقاعة انتظار ، كانت امرأة سمينة تستمع الى أم الطفل المسلول وقد مسكته بيدها الطفل جلد على عظم ، يسعل من وقت لآخر ، بصعوبة لدرجة تجعله يدمع وفى أحد الأركان ، كانت فتاة تراقب مايدور مرعوبة وقد غطت فمها بمنديل وراحت الأم تحكى

- حتى اننى أحيانا أفكر ليسامحنى الله - ورفعت يدها الى فمها - فى أنه من الأفضل أن يذكره ربه فورا إنه عذاب لايحتمل. معاناة لنا جميعا إنه سعال بلا نهاية طوال الليل أى بهجة له فى الحياة هذا الصغير البائس الذى لايستطيع حتى أن يلعب ؟ أحيانا أفكر فى أن الله سيساعدنى اذا أخذه منى ومررت كم فستانها على عينيها وأخذت تداعب الصغير الذى كان يسعل وقد بدا فى غفلة عن كل ذلك. وافقت المرأة السمينة بإيماءة من رأسها وسألت الفتاة الصغيرة من مكانها فى الركن

- كيف أصابه المرض ؟

- إنه البرد أخذ يضعف ويضمّر حتى وصل الى هذه الحالة

نصحتها المرأة السمينة

- هل ذهبت به الى الأب «أنسيلمو» ؟ يقال إن

- لم يستطع شيئا الدكتور «رودريجو» كأنه أبونا وأضاف المرأة

السمينة

- إن «يمانجا» تطلبه

سأل «جوما»

- هل سيتأخر الدكتور «رودريجو» يامدام «فرانشيسكا» ؟

- لا أدرى شيئاً يامسيو «جوما». إنه فى الداخل مع «تبيرشو» ذلك الذى أصيب بجرح فى ساقه هل أنت مريض؟
- لا. بل جئت من أجل موضوع آخر
سعل الطفل. وقالت المرأة السمينة
- «ماريانا» تعرفينها ، أليس كذلك؟.. زوجة «زيه بيدرينيو»
- أه ، نعم
- حسنا ! لقد أصبحت نحيفة مثل سمكة مملحة. تبصق دما لدرجة أننا اعتقدنا أنها سوف تبصق قلبها يوما . حسنا ! أعطها الأب «أنسيلمو» شرابا من لعاء الشجر
- فى حالة «موندنيو» لم يستطع شيئاً حتى أنه هو نفسه الذى بعث به الى الدكتور. «رودريجو» حتى هو لم يفلح فى تغيير شىء لقد فعل كل شىء
فتح الباب وخرج «تبيرشو» يعرج ظهر الدكتور «رودريجو» والقوطة على صدره ، هزيل الوجه ، بارز العظام حيا «جوما»
- أمرض يا «جوما»؟
- أريد أن أتحدث اليك يادكتور ، إنه أمر عاجل
- ادخل .
والتفت الى المرأتين
- انتظرا دقيقة
بعد لحظات ، خرج الاثنان وكان «رودريجو» قد ارتدى السترة، يحمل فى يده حقيبة الأدوات وقال للمرأتين
- عودا خلال ساعتين فالآن لدى حالة عاجلة
وعند الباب أكد مرة أخرى
- لاتنسى نواء الصغير يامدام «فرانشيسكا» قبل الغداء ...

كانا قد وصلا الى الرصيف عندما سأل «رودريجو»

- إخبارنى الآن بما حدث

وحكى «جوما» كان يعرف أنه يستطيع أن يثق ثقة كاملة فى «رودريجو» الذى يتصرف كأنه بحار مثلهم.. حكى عن المشاجرة كلها وموت «ريتا» وجرح «تريرا»

- مات الشاب ، و«تريرا» حالته خطيرة

عبرا وحل الرصيف وقفزا الى مركب «جاك» وثب الدكتور «رودريجو» فى الحال الى قاع المركب كان «تريرا» يهذى ويتحدث عن بناته ويهتف بأسمائهن علم الجميع أن «مارتا» فتاة فى ربيعها الثامن عشر ، وأن «مارجاريدا» تقفز فوق صخور الشاطئ وتسبح فى النهر وأنها تبلغ أربعة عشر عاما ، ذات شعر طويل، على وشك أن تصبح فتاة بالغة. ولكن التى يناديها أكثر هى «راكيل» التى ستبلغ الرابعة عما قريب والتى تتكلم بصعوبة إنها لانزال لاتجيد نطق الكلمات. قال «جاك»

- إنه يهذى

راح «تريرا» ينادى بإلحاح على «مارتا» و«مارجاريدا» و«راكيل». كانت «مارتا» تخطب الثياب، فقد بدأت فى تجهيز ثياب عرسها لأنه من المحتمل أن يأتيها خطيب بين لحظة وأخرى.

و«مارجاريدا» تقفز فوق الصخور وتلعب على شاطئ النهر وتسبح مثل سمكة، و«راكيل» تكلم عروستها العزيزة، الوحيدة التى تفهمها وتقول لها إنها سوف تضعها فى الركن ، وأن على أبيها أن يأتيها بعروسة شقراء عند عودته من هذه الرحلة. كان الأب وهو يحتضر ينادى «راكيل» ثم «مارتا» و«مارجاريدا». حتى أنه كان ينادى زوجته العزيزة التى لا بد أنها تنتظره وقد أعدت له السمك المقلّى فحس «رودريجو» الجرح. ولم يعد المريض يسمع، أو يشعر بوجودهم. لم ير

إلا بناته الثلاث يرقصن حوله ويقفزن مبتسمات ويضحكن فى بهجة. «مارتا»
«مارجاريدا»، «راكيل».

إنها عروسة جديدة التى تحملها «راكيل» بين يديها، عروسة جديدة تتحدث معها، العروسة التى أحضرها لها من هذه الرحلة. سوف يرحل فى سفينة. سوف يرحل فى سحابة، و«مارتا» و«مارجاريدا» و «راكيل» يرقصن على الرصيف. ثلاثهن يرقصن ويمسكن بأيدي بعضهن كما كن يفعلن فى الأيام السعيدة عندما يعود «تريرا» من الرحلات الطويلة ويكدس على المائدة الهدايا التى جلبها معه. تتزين «مارتا» بأحدث قطع الملابس فى جهاز عرسها، و«مارجاريدا» ترقص فوق الصخور على شاطئ النهر، و«راكيل» تضم عروسة إلى صدرها.

- لابد من عملية جراحية.

- كيف يا دكتور ؟

- ينبغى اخراج الرصاصة، هذه هى الوسيلة الوحيدة.. يجب حمل الرجل إلى عندى لديه أسرة ، أليس كذلك ؟

كان «تريرا» يهتف بأسماء

- «مارتا»، «مارجاريدا»، «راكيل».

سأل «جك»

- كيف سنحمله ؟

ولكنهم دبروا الأمر. فى البداية ، أبحر المركب إلى طرف الميناء الذى كان شبيه مهجور ووضعا «تريرا» فى شبكة ويواسطة عرق خشب حملوه على أكتافهم كان «رودريجو» قد جهز الأنوات عنده وبدأت العملية على الفور. وكان «جوما» و«جك» يساعدانه، ويشاهدان اللحم المقطوع والرصاصة تنتزع من الجسد، واللحم تعاد خياطته كما لو كان الأمر يتعلق بسمكة، نام «تريرا» ولم يعد يتكلم عن بناته الثلاث ولم يعد يناديهن .

عندما انتهوا ، سأل «جوما»

- هل سيشفى يا دكتور ؟

- أعتقد يا «جوما» أنه لن يقاوم ، لقد تأخرت العملية كثيرا .

غسل «رودريجو» يديه

راح «جوما» و «چاك» ينظران إلى زميلهما بوجهه الشاحب ورأسه الحليق

وجسده الضخم ويطنه الممزق. يبدو غائبا كأنه لا ينتمي إلى هذا العالم .

قال «جوما»

- لديه أسرة. زوجة وثلاث بنات. إن البحار لا ينبغي له أن يتزوج.

نكس «چاك» رأسه لأنه فى خلال شهر سوف يتزوج. سأل الدكتور

«رودريجو»

- أين عائلته ؟

- إنه يسكن هناك ، قريبا من «سانتو آمارو».

- ينبغي إخبارهم

- لا بد أنهم عرفوا فالأخبار السيئة تسرى بسرعة

- من المؤكد أن الشرطة وصلت إلى هناك.

قال الدكتور «رودريجو»

- عودا إلى عملكما ، سأتولى أمره

خرجا ، وكان «جوما» لا يزال ينظر إلى الرجل الذى يشخر بعمق، وما أن وجد

الدكتور «رودريجو» نفسه وحيدا حتى نظر إلى البحر من نافذته. حياة قاسية هى

حياة البحارة! يقول «جوما» إنهم لا ينبغي أن يتزوجوا فهناك دائما أوقات تعيش

فيها الأسرة فى بؤس، وهناك دائما «مارتا» و «مارجاريدا» و «راكيل» لكى يعانين

من الجوع، ودونا «دولشى» تنتظر معجزة. و«رودريجو» يريد أن يعود إلى أشعاره

لكن المحتضر يعتبر دحضا للأشعار التى تصف البحر وللمرة الأولى طرأت

«لرودريجو» فكرة قصيدة عن معاناة وبؤس الحياة فى الميناء .

بعد ذلك، يأتى الموت بهدوء. لم يعد «تريرا» فى السفينة. استدعى «رودريجو» «جوما» و«چاك»، رأى «تريرا» ثلاثتهم حول سريره ولم يعد يتأوه. مد ذراعه، لم يكن يرى الطبيب والصديقين. كان يرى بناته الثلاث حول سريره بناته اللاتى يوقظنه عند شروق النهار «والشمس تملأ الغرفة» ويجب عليه أن يخرج بقاربه مد ذراعه وابتسم فى رقة. كان «رودريجو» يفرك يديه. وكان هو يتمتم بأسماء «مارتا» و«مارجاريدا» و«راكيل». كرر اسم «راكيل» وصعد إلى قاربه

فيكونت ، كونت ، هرکيز ، بيسورو

مدينة «سانتو أمارو» هذه حيث كان «جوما» بمركبه هى موطن العديد من بارونات الامبراطورية من فيكونت وكونت ومركيز، ولكنها كانت أيضا موطن «بيسورو» لهذا السبب ، ولهذا السبب وحده - لأنها تنتج السكر و«الكاشاسا» والنبلاء مثل كونت وفيكونت ومركيز - كانت «سانتو أمارو» مدينة محببة إلى رجال الميناء. فهناك ولد «بيسورو»، وجرى فى شوارعها، وأسأل الدم هناك، ووجه طعنات السكين وأطلق النار، ومارس الكابويرا (١)، وغنى السامبا، وفى «مارا كانجاليا» القريبة من هناك مزقوه بالسكاكين. حتى سأل دمه. وهناك يلمع نجم مضىء كبير تماما مثل نجم «لوكاس دافيرا» ، لقد أصبح نجمه لأنه كان شجاعاً «سانتو أمارو» هى موطن «بيسورو». ذلك ما كان يدور بخلد «جوما» فى تلك اللحظة وهو مستلق فى مركبه. منذ ثلاثة أيام و«جوما» يفكر فى أشياء أخرى يوم يموت «تريرا» عليه أن يذهب لرؤية «ليقيا» التى كانت شاغله الوحيد. ولكن أكثر من مرة. كان قول العجوز «فرانشيسكو» والأغانى التى يغنونها فى البحر والمثل الشائع (بائسة هى المرأة التى تتزوج من بحار - فالبهار لا ينبغى له أن يتزوج)، وحالة «تريرا» الذى يخلف وراءه زوجة وثلاث بنات،

تثير قلقه

(١) نوع من المصارعة العنيفة يتطلب على الأخص سرعة الحركة وثبات الأعصاب

البحار لا بد أن يكون حراً، كما يقول العجوز «فرانشيسكو» وكما تقول الأغنية وكل الوقائع اليومية. ليس حراً فى أن يحب وأن يحيا الحياة بكاملها بل من أجل أن يموت وأن يحتفل بزفافه على «يمانجا» ملكة البحر. أن يكون حراً من أجل أن يموت، فمن أجل الموت يحيون. موت قريب مؤكد لدرجة أنه غير متوقع ولدرجة أنهم لا يشغلون أنفسهم به. فالبحار ليس من حقه أن يضحي بزوجته، ليس بسبب فقر حياتهم وبؤس مسكنهم وطعامهم اليومي من السمك، والعوز الأبدى إلى المال. فذلك بمقدور أى منهن أن تتحمله، لأنهن، عموماً، تعودن عليه، فهن أنفسهن من الميناء أو بالأصح بنات عمال بائسين. لقد تعودن على البؤس، وفى أغلب الأحيان على أشياء أسوأ من الفقر. ولكن ما لم يتعودن عليه هو هذا الموت المفاجيء أن يصبحن فجأة بلا رجل أو سقف يحميهن، بلا طعام فيلتهمن أحد المصانع بسرعة أو ينخرطن فى الدعارة. إذا كان أكثر شباباً. فزع «جوما» من فكرة أن «ليفيا» أكثر نساء الميناء جمالاً، يمكن أن تمنح نفسها لرجال آخرين، أن تتأديهم من نافذتها حتى تستطيع أن تربي طفلاً، سيصبح بدوره، يوماً بحاراً، ويسبب التعاسة لامرأة أخرى. من خلف قضبان نافذة - مثل نوافذ المساجين، المحكوم عليهم - تظهر بوجهها بلا مواربة أو قلق، تنادى الرجال المارين، والابن، ابن «جوما»، ابن البحر، قد يختبئ حتى لا يبكى من أجل أمه. سوف تمنح جسدها لتطعم ابنه الذى سيترك وراءه أيضاً امرأة عندما يرحل - فهذه هى نهايتهم جميعاً - مع «يمانجا» نحو أراضى «أيوكا» البعيدة، فأرض «أيوكا» هى الوطن الأم لكل البحارة حيث توجد المرأة الوحيدة التى عليهم أن يمتلكوها فعلاً «جانينا» العجيبة ذات الأسماء الخمسة. «جانينا» التى هى أم وزوجة، ومن أجل ذلك بالذات فهى رهيبة لم يعرف أحد رجلاً متزوجاً بلغ الشيخوخة فى مركبه أو قاربه إن «يمانجا» تغار وعندئذ تصبح «إيناي» التى تطلق العواصف. ويصبح من غير المفيد حمل الهدايا إليها، ولا ينفع تقديم البنات إليها لتتخذ منهن خادمت، لأنها تريد الأزواج الذين هم أبناؤها وأزواجها.

من أجل هذا السبب، وحتى لا يجلب التعاسة لـ «ليفيا»، هرب «جوما» فى هذه

الليلة من الميناء بحمولة صغيرة إلى «سانتو أمارو» ، على وعد بأن يعود بحمولة من زجاجات «الكاشاسا». لقد هرب حتى لا يذهب مع «رودولفو» ليرى «ليفيا» ويشاهد عينيها الصافيتين فيشتتها أكثر. من أجل ذلك، يرقد الآن فى مركبه فى ميناء «سانتو أمارو» مدينة البارونات، مدينة «بيسورو»

يا سكان الموانئ الأخرى فى العالم، لقد ولد «بيسورو» هنا كان «جوما» ينظر إلى حيث يلمع (١) فى السماء. إن كان القمر أكبر ويسطع أكثر، فإن الانظار تتجه نحوه أولاً ثم تبحث عن نجمة «بيسورو». أكثر الزنوج شجاعة فى الميناء إن السماء مليئة بالرجال الشجعان «زومبى» و «لوكاس دافيرا» و«زيه نيك» و«بيسورو». وهناك فى الأعلى، بين القمر و«لوكاس»، المكان الذى يوجد فيه بلاشك «فيرجولينو فيريرا لامبياو» (٢) الذى لم يحن موعد موته بعد

ولكن أحداً من أولئك لم يكن من رجال الميناء لا أحد منهم كان ابن بحار. لا أحد منهم أبحر فى المراكب الشراعية السريعة سوى «بيسورو» لقد كان رجل بحر. يجيد الإمساك بالدفة، يوجه القارب ويجرى مع الريح والموسيقى كان الوحيد من بينهم الذى يعرف أين تقع أرض «أيوكا» ، فى أقصى أطراف العالم من أجل ذلك كان محبوباً من رجال الميناء أكثر من غيره وإنه هنا فى «سانتو أمارو» - يابحارة العالم أجمع ، حمالين ويطارة ومراكبية وعمال أرصفة ، يادكتور «رودريجو» يا دونا «دولشى» يا من تعملون جميعاً فى البحر - إنه هنا قد ولد.. وبالقرب من هنا ، فى «ماراكانجاليا» مزقوه إرباً بسكين كبير ولتعلموا يا بحارة العالم أجمع أنها كانت خيانة بينما هو نائم فى سرير معلق وهو أكثر الأشياء على وجه الارض شبيها بمركب - يتأرجح كأنه على سطح الأمواج

لقد ولد هنا حول الخليج يولد رجال البحر الشجعان وفى «باهايا» العاصمة المدينة ذات الأبواب السبعة، تولد أجمل نساء الميناء هنالك ولدت

(١) المقصود هو «بيسورو» الذى تحول بعد موته إلى نجمة فى السماء كما تقول الاسطورة

(٢) قاطع طريق شهير كان يهاجم الاقطاعيين فى المناطق الريفية .

«ليقيا» لو رأها «بيسورو» - راح «جوما» يفكر وهو يدخن فى «الباسل» - لأخذ بجمالها ولقتل بسببها بالخنجر ثلاثة أو أربعة لقد كان «بيسورو» البحار رجلاً شجاعاً وفى ميناء «باهيا» لا توجد امرأة أجمل من «ليقيا» «ليقيا» التى أتت إلى عيد «يمانجا» لترى «جوما» لشجاعته كانت له مغامراته يفكر فى أن يبحر يوماً فى سفن كبيرة إلى أرض أجنبية. إنه يشتهيها فهى المرأة التى ينتظرها منذ زمن بعيد، والتى تحبه لقد جاءت لتدعوه بعينيها بلا مواربة أو كذب. ومع ذلك ظل «جوما» مرتبباً «بروزا بالميراو»: أن ينجب ابناً من «ليقيا» تساعد «روزا بالميراو» فى تربيته، وتلعب معه وتنسى حياة الفضائح والشجار والموت صحيح أن «بيسورو» لم يكن متزوجاً، لكن «بيسورو» أيضاً لم يعرف «ليقيا» لقد مات فى الوقت الذى ولدت فيه بالنسبة لامرأة مثل «ليقيا» ينسى البحار كل شىء، ينسى حتى أنه قد يتركها للبؤس مع ابن أو ثلاث بنات كما يترك «تريرا» بناته

يسمع «جوما» الموسيقى الخافية الآتية من الميناء.. لكنها تستحوذ على أفكاره.. إنها الأغنية القديمة التى تقول إن الليل خلق من أجل الحب. وبالنسبة لـ «بيسورو» لم تكن الليالى دائماً للحب، بل للمشاجرات والجرائم وليال أخرى للمطاردات الخطرة مثلما حدث مرة أن ضرب أربعة جنود وجرح كثيرين غيرهم واختبأ فى الغابة وقد أصابته رصاصتان فى فكه ورصاصة فى ذراعه حدث ذلك فى ليلة معتمة فطاردوه وحاصروا الغابة فألقى بنفسه فى الماء، ومع أنه كان جريحاً فقد سبح كبحار ماهر حتى التقطه أحد القوارب وعالجه أحد القساوسة.

ولكن بلا شك كانت له بعض الليالى للحب خلال الليالى المقمرة ليالى الموسيقى، عندما تكون مياه النهر زرقاء، كان يمارس الحب مع «ماريا خوسيه»، أو «جوزيفا دا فونتي» أو «ألييبيا» أو حتى مع الأخريات اللاتى يصادقهن

ولم تكن له قط امرأة واحدة، ترتبط بمصيره وتعانى من حياة قاسية بسبب موته. كن كثيرات من بكين، ولكن كل شعب البحر قد بكاه أيضاً، فاقت جنازته

جائزة كونت أو فيكونت أو بارون أو مركيز من «سانتو أمارو». بيبكونه لأنه كان طبيباً ليده السخية مع الفقراء، تستخدم الخنجر بسهولة للدفاع عن حق أحد البحارة، ولكن ما من امرأة بكته دون أن تفكر فى شجاعته وطيبته ومآثره، ما من امرأة بكته كزوج وسند لها. لأن المسنين قالوها وقالتها الأغنية: رجال الميناء لا ينبغى لهم أن يتزوجوا، تململ «جوما» قلقاً، خلق الليل من أجل الحب، بل من أجل الحب العابر، حيث يقع المرء على الشاطيء، مصادفة، على شاطيء النهر أو فى السوق، على خلاسية ما

وفى مياه «سانتو أمارو»، كان زنجى يغنى خلق الليل من أجل الحب، وكانت أغنية أخرى - حكاية الميناء بأشعارها وأساطيرها وألحانها - تقول إن نساء البحارة تعسات ينتظرن فى الميناء عوة شرع، ينتظرن عودة جثة فى ليلة عاصفة

«بيسورو» لم يتزوج قط. كان بحاراً ولكنه كان أيضاً خارجاً على القانون، وبالإضافة إلى مجدافه كانت له بندقية، وبالإضافة إلى سكينه كبهار كانت له مديّة. كذلك «روزا بالميراو» كامرأة من الميناء تساوى رجلين لم ترزق بأبناء

ظل «چاك» الذى سيتزوج فى البحر هذا الشهر من جوديث «الشابة الخلاسية» يتيمة الأب، متردداً بعد موت «تريراً». لقد رحل أيضاً. ذهب إلى «كاشويرا» ليفكر مثلما يفكر «جوما» وهو ممدد فى مركبه، يدخن الغليون ويستمتع إلى الموسيقى، «ليفيا» ليس بها غموض، عيناها لا تنتظر شراً من الحياة ارتباطها ببهار سيجعل مصيرها تعساً كما تقول الأغنية «جوما» غاضب، يريد أن يصرخ وأن يلقى بنفسه فى الماء، لأنه جميل أن يموت المرء فى البحر، يريد أن يتعارك مع رجال كثيرين كما يفعل «بيسورو»

إن نجمة «بيسورو» تسطع فى السماء كبيرة، مضيئة، تقول النساء إنه يراقب أثم الرجال - البارونات - من «سانتو أمارو». ويرى الظلم الذى يعانى منه البحارة. وأنه سوف يعود يوماً لينتقم

سيعود يوماً وقد تغير شكله، ولم يعرف أحد أنه «بيسورو». وسوف يخفى نجمه فى السماء. سوف يسطع على الأرض قد تكون هذه هى المعجزة التى تنتظرها دونا «دولشى»، يوم يتلون شعر الدكتور «رودريجو» ربما يستطيع البحارة فى ذلك اليوم أن يتزوجوا وأن يوفروا حياة أفضل لزوجاتهم وأن يتقوا بأنهن لن يمتن من الجوع بعد موتهم، وأنهن لن يكن فى حاجة إلى الدعارة، متى سيأتى هذا اليوم؟ «جوما» يسائل القمر والنجوم

كان «بيسورو» شجاعاً، لم يقتلوه إلا غدرًا، قطعوا جسده إرباً وكان لابد من البحث عن قطع جسده لدفنها راح «بيسورو» يصارع ضد البارونات والكونتات والفيكونتات الذين كانوا ولا يزالون سادة الاقطاعيات ومزارع قصب السكر الذين يقررون أجرة الشحن بالمرالكب والقوارب. كان يسطو على الضياع ويسلب شيئاً مما يملكه ليوزعه على الأرامل والأطفال الذين مات أبائهم فى البحر، كان البارونات يخطبون فى البرلمان ويتبادلون الحوار مع «بيدرو الثانى» (١) ويحتسون الخمر الفاخرة ويغتصبون الخادما ويجلدون العبيد ويعاملون أصحاب المراكب والقوارب كأجراء

ولكنهم يخافون «بيسورو» الذى كان بالنسبة لهم كالشيطان. لم يودوا سماع اسمه. أطلقوا الشرطة فى إثره، ودفعوا وراءه رجال ثم رجال ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ضد «بيسورو»، لأنه لم تكن هناك امرأة فى الميناء أو النهر أو مدن الخليج لم تضرع إلى «يمانجا» من أجله، ولم يكن هناك مركب شراعى أو قارب أو زورق إلا وكان ملجأً له. كانوا يطلبون إلى «بيسورو» - مبتهلين إلى الله - أن يعفو عن أراضيهم، كما يعفون عن بعض الزنجيات وبعض الزنوج وبعض البحارة ، لأن السادة كانوا يخافون «بيسورو».

سوف يعود «بيسورو» يوماً لابد أن «جوما» ينتظر ذلك اليوم ليتزوج لا أحد يعرف كيف سيعود «بيسورو» ربما يعود فى شكل رجال عديدين من (١) بيدرو الثانى (١٨٢٥ - ١٨٩١)، ولد فى ريودى جانيرو، امبراطور البرازيل فى الفترة ١٨٢١ - ١٨٨٩، ألقى العبودية عام ١٨٨٨، تسببت ليبراليته فى ازغامه على الاستقالة عام ١٨٨٩ .

الميناء ، ليرفع العبء عنهم ، ويغير الأجرة ويسن قوانين أخرى ويقر حماية الأرامل والأيتام

ليفيا « تنظره وهو يعرف ذلك خلق الليل من أجل الحب ، وهى تنتظره لابد أن يكون « رودولفو » مغتاضاً لأنه لم يقابل « جوما » لا يعرف أن « جوما » قد هرب ، وأنه لا يريد أن يجعل مصير «ليفيا» تعساً لكن فى الوقت الراهن فإن الرغبة فى العودة تستحوذ عليه ، رغبة أن يراها من جديد ، وأن يبقى أمامها بلا حراك - لابد أن تأتى «ليفيا» معه ، وتنام عدة ليال فى هذا المركب وإذا مات فلا بد لها أن تكون شجاعة ولا تعمل بالدعارة ، خلق الليل من أجل الحب حب من أجل «جوما» و «ليفيا» لا يريد الحب العارض ، حب المصادفة مع خلاسية أياً كانت إنها «ليفيا» التى أرسلتها له «يمانجا» وهو لا يستطيع أن يناقش أوامر «يمانجا» فالمرائية والصيدون وأصحاب المراكب الشراعية يخشون الحب ترى ماذا قرر «چاك» الذى ذهب إلى «كاشويرا» ليفكر ؟ «جوما» لا يريد أن يجعل مصير «ليفيا» تعساً ولكنه لا يستطيع شيئاً فالمصير قد تقرر سلفاً ولايستطيع أحد أن يغيره ومصير «ليفيا» هو المصير التعس لنساء الميناء لا هى ولا «جوما» ولا حتى «بيسورو» ، الذى أصبح نجمة ، يستطيعون تغييره

ما كان ينبغى له أن يهرب لأن هذه الليلة القمرية الجميلة كثيرة النجوم خلقت من أجل الحب . وفى ليلة كتلك ، لا يفكر أحد فى العاصفة أو المشاجرات أو الموت ، ويفكر «جوما» فى جمال «ليفيا» ويشتهيها

إن «سانتو أمارو» هى موطن «بيسورو» ولا يهم كثيراً أن يظهر هنا بعض نبلاء الإمبراطورية سادة العبيد. لا يهم كثيراً أيها البحارة فهنا قد ولد «بيسورو» البحار الأكثر شجاعة الذى لم يبحر قط فى هذه المياه إن النبلاء والبارونات يرقدون بالقرب من أطلال القصور الإقطاعية ، فى مقابر مغلقة نخرها الزمن .

إما «بيسورو» فيستطيع فى السماء - إنه نجمة - يشع نورها على مركب «جوما» الذى سوف يذهب سريعا ليبحث عن «ليفيا»

سيعود «بيسور» يوما يا بحارة العالم أجمع ، وعندئذ سوف تكون كل الليالي
الحب ، وسوف تكون هناك أغنيات جديدة فى الميناء ، وفى قلوب النساء

نغم

بعث له البحر برياح سريعة ، رياح شمالية شرقية ودفعت «الباسل» نحو
ميناء «باهيا» كانت القوارب والمراكب الشراعية تعبر الخليج والطوافات التي
تحمل الصيادين والزوارق المحملة بالأخشاب تتمنى له رحلة سعيدة
- رحلة سعيدة يا «جوما»

رحلة سعيدة لأنه زاهب إلى «ليفيا» القمر يضىء طريقه والبحر درب واسع
لطيف والرياح الشمالية الشرقية تصفر كصديق ، تساعد على عبور هذا الدرب
من النهر بسرعة كانت الرياح الشمالية الشرقية تحمل إليه اغاني الضفة
أغنيات الغسالات والصيادين وكانت أسماك القرش تقفز فوق الأمواج فيما وراء
الحاجز ، وفى سفينة مضاءة راح الركاب يرقصون ، وعلى ضوء القمر ، رأى
بينهم زوجين يتحدثان ، « رحلة سعيدة » قالها « جوما » ملوحا بيده ، ردا عليه
وعلقا ، بين ابتسامتين ، على تحية هذا البحار المجهول

إنه زاهب إلى « ليفيا » زاهب إلى امرأة جميلة ليقدمها إلى البحر فمنذ
زمن وجسد « ليفيا » له طعم مياه المحيط المالحة ، وشعرها مبلول بفعل
رذاذ البحر. سوف تغنى فى «الباسل» أغانى الميناء ، وسوف تعرف حكاية
«بيسور» وحكاية الحصان المسحور وكل حكايات الغرق سوف
تصبح كأنها بحريا ، مثل مركب شراعى أو جسم قارب أو شرع أو أغنية
كانت الرياح الشمالية الشرقية تصفر وتنفخ شرع «الباسل» اسرع أيها
المركب اسرع هاهى أضواء «باهيا» تسطع كانت إيقاعات «الكاندومبية»
وأنغام القيثارات وأنين الهارمونيكا الحزين تبلغ سمعه
اسرع أيها المركب ، اسرع

اختطاف « ليفيا »

سته أشهر من الرغبة المحرقة فى أن ينالها ويمتلئها و « الباسل » يروح ويغدر، يشق مياه البحر ومياه النهر ، لكن الرغبة لا تفارق « جوما » لقد رأها فى ذلك اليوم بعد عودته من « سانتو أمارو » حينما ذهب مع « رودولفو » فبدت له أكثر جمالاً عما قبل وأكثر خجلاً وهى تنتظر بعينها الصافيتين كان أهلها ، عم وزوجته يمتلكان دكاناً صغيراً - يعلقان كل أمل على جمال « ليفيا » (يمكنها أن تتزوج زيجة محترمة بمجرد أن رحبا بجوما أخذنا ينظران إليه بعين الشك فعند استقبالهما له كانا يتمنيان ألا تتكرر هذه الزيارة ماذا تنتظر « ليفيا » من بحار؟ وماذا يتوقعان من شخص أكثر فقراً منهما ؟

خلال ستة أشهر ، كان عليه ، لكى يراها أو يتبادل معها بضع كلمات مختلصة (هى التى تتكلم وهو يستمع فى صمت) أن يقاسى من نظرات العم والعمة نظرات غضب وكراهية واحتقار لقد أنقذ حياتهما لكنه يريد فى المقابل أن ينتزع منهما الأمل الوحيد المتبقى لهما فى حياة أفضل ورغم النظرات ، والكلام الذى يهمسان به بصوت عال ليكون مسموعاً كان « جوما » يعود دوماً بهيئته المذرية ، فى البدلة الصوفية الوحيدة التى يمتلكها ، متعثراً فى خطواته

فى الأسبوع الأول ، كتب خطاباً إلى « ليفيا » ، أراد أن يريه لدونا « دولشى » لكى تصح له الأخطاء ، ولكنه بسبب الخجل بعث بالخطاب كما هو عزيزتى ل من قلب طاهر ، من يد مرتعشة وقلب مجنون بحبك أكتب إليك هذه السطور المضطربة

ليفيا يا حبيبتي أرجوك يا بنيتى أن تقرأى هذه الرسالة بانتباه لكى تستطيعى الرد على بسرعة لكنى أريد رداً مخلصاً يخرج من قلبك إلى قلبى

أتعرفين يا « ليفيا » أن الحب يولد بقبلة وينتهى بشهقة نحيب ؟ لكنى اعتقد يا بنيتى أنك إذا كنت تحبيننى أيضاً ، فان حبنا سيكون عكس ذلك فقد ولد من نظرة

وسوف يكبر بقبلة ولن ينتهى أبداً ، أليس كذلك يا حبيبتي أرجو أن تجيبي على كل أسئلتى ، هل تفهمين ؟ يا بنيتى ، أعتقد أن قلبك محارة ذهبية مغلقة على إسم هو «الطيبة»

«ليفيا» يا حبيبتي ، لقد ولدت لأحبك ، لم أعد أستطيع إخفاء هذا السر ، ولم أعد احتمل الألم الذى يشعر به قلبى إننى أقول الحقيقة يا ملاكى الذهبى هل للهمين؟

ستكونين لى الأمل الوحيد سأمحك قلبى ليتبع مصيرك أعتقد أنك لا تحبيننى ولكن قلبى دائماً بين يديك وسوف يظل بين يديك حتى آخر لحظات هياتى.

عندما رأيتهك يا ملاكى أصبحت أكثر جنوناً بك لقد أخذت بك أردت أن أخبرك بذلك فى اللحظة المناسبة لتسمعى تضرعاتى اكتب لك لأفرغ قلبى لا أحب أحدا سواك ، أقدرك وأحبك من أجل سعادتى الأبدية

الآن أطلب منك معروفاً ألا ترى هذه الرسالة لأحد حتى لا تكون موضوعاً للمزاح لأنى مستعد أن أحطم رأس من يسخر منى إذن ، كما أمل أنك سوف تستجيبين لذلك ، فانا كذلك لن أرى ردك لأحد ، وسوف يبقى هذا السر بيننا نحن الاثنين

أطلب رداً عاجلاً لى أعرف إن كان لك أيضا قلب محب لكننى أريد رداً مخلصاً يخرج من قلبك إلى قلبى ، هل تفهمين ؟ سوف تكون إجابتك بلسماً لى الجريح ، هل تفهمين ؟ اعذرى لى الأخطاء ورداءة الخط

سوف تلاحظين تغير الخط لأننى غيرت القلم ، هل تفهمين ؟ لقد كتبت هذه الرسالة الصغيرة بمفردى فى المنزل وأنا أفكر فىك هل تفهمين ؟ وبدون أن أقول لك شيئاً آخر ، تقبلى قبلة من ج الذى يحبك كثيراً ويقدرك من كل قلبه ، هل تفهمين ؟

جومير سيندو

عاجل

كان يمكن بالضبط أن تحدث هذه الرسالة مشادة ، مشاجرة كبيرة بدأها الدكتور «فيلادفيو» لا أحد تقريباً يناديه «فيلادفيو» كان يكتب قصصاً شعرية وأغاني وأساطير عن الميناء إنه دائماً نصف مخمور ، يتباهى بمعارفه - كان قد درس لمدة عام فى مدرسة دينية - يكسب خمسة آلاف راييس من هنا ، وخمسة آلاف راييس من هناك ، من كتابة الرسائل للعائلات والعشاق والزوجات والعشاق المحتملين .

وكان يلقى الخطب فى احتفالات الزواج ، وفى افتتاح حانات السوق ، وفى تدشين المراكب كان محبوباً فى حى الميناء يعطيه الجميع ما يسد به رمقه من طعام وشراب ، كان يظهر دائماً والقلم خلف أذنه ، ودواة الحبر فى جيبه ، ممسكاً بمظلة صفراء ولفة من الورق وكتاب لـ «ألان كارديك» تحت إبطه يقرأ يوماً هذا الكتاب دون أن يصل قط إلى نهايته لا يتعدى أبداً الصفحة الثلاثين ويدعى أنه عالم بالأرواح ومع ذلك ، لم يحضر قط جلسة لتحضير الأرواح لأنه يموت رعباً من أرواح العالم الآخر ، يجلس كل مساء أمام السوق ، فوق صندوق كبير ويقوم بدور الوسيط بين المحبين فى الميناء يهول فى مرض عائلات المراكبية وحاجتهم إلى المال يكتب رسائل إلى «يمانجا» إنه يعرف حياة الناس جميعاً عندما وصل «روفينو» بادره بابتسامة وهز كتفيه وسأله

- من هى آخر واحده ؟

أخبره «روفينو» بالاسم كان «فيلادفيو» يكتب دائماً نفس الخطاب وعندما يرى صديقاً كان يخبره

«إليزا» حرة ، قد تركها «روفينو»

ثم يكتب خطاباً لشخص آخر . وهكذا يتكسب ما يعيش به من طعام وشراب ذات مرة ، من أجل عشرة آلاف راييس كتب لـ «جاك» رائعة كان يفتخر بها قصيدة كانت «جوديث» تحملها دائماً فى صدرها «محبوبة أنت إلى درجة الجنون

مشتهاة من كل قلبى

معبودة روى

التي أحبها وأقدرها

إننى ارتبط بك حتى الممات»

ثم وضع لها عنواناً «وداعاً» ، ونظر إلى «جاك» بعينين منفعلتين

- لقد خلقت من أجل السياسة ، يا صغيرى هذه الحياة فى الميناء ليست لى .

فى السياسة ولا حتى «روى» (١) نفسه يمكنه أن يقف أمامى

قرأ القصيدة بصوت عال ثم أعاد نسخها بخطه الجميل وقبض العشرة

آلاف رايس وهو يقول

- إذا لم تستسلم هى بهذه القصيدة مثل قارب يترنح سأرد إليك نقودك

- ماذا تقول ؟

- سأردها إليك سأعطيك اياها نعم

وعندما يحين موسم الأعياد فى «كاشويرا» و «سان فيليكس» يصعد فى

مركب أحد الأصدقاء ويذهب إلى هناك ليكتب الرسائل والقصائد والأشعار فى

الاحتفالات الشعبية لهاتين المدينتين حيث ذاعت شهرته منذ أمد بعيد

من الطبيعى أن يكون موضع ثقة الجميع كان فى الغالب يكتب الرد على

الرسائل التى سبق أن كتبها بنفسه من قبل ، ويفضله ولد أطفال كثيرون فى

الميناء ، وتزوجت فتيات كثيرات ، وكان هو أيضا الذى يكتب إلى الأهل البعيدين ،

ويعلن نبأ موت البحارة الذين لا يعودون إلى الميناء ، كان يكثر من الشراب فى تلك

الأيام

انتظر «جوما» للحظة حتى يفرغ «فيلادفيو» فيستطيع أن يتكلم معه كان

زيائن الدكتور فى ذلك المساء قليلين ، يتلهف على من يدفع له ثمن العشاء اقترب

«جوما» :

(١) يقصد «روى باربوزا» السياسى البرازيلى والبرلمانى والخطيب الشهير .

- مساء الخير يا دكتور
- أى ربح طيبة أتت بك يا فتى
- كان يرغب فى الكلام
- ظل «جوما» صامتا لايعرف كيف يدخل فى الموضوع شجعه «الدكتور»
- أئن تتخذ عشيقه أخرى بدلاً من «روزا» ؟ إننى هنا لأكتب شعراً لاتستطيع
- أياً كانت أن تصمد أمامه
- إنه من أجل ذلك
- من هى الضحية ؟
- هذا ما لا أريد قوله
- تضايق «الدكتور»
- منذ إحدى عشرة سنة لم يفقد أحد ثقته بى ظللت دائماً صامتاً مثل خزانة
- مغلقة بسبعة مفاتيح
- ليست المسألة هى عدم ثقة يا دكتور لكن الأمر سينتهى بأن يعرف
- الناس.
- تريد رسالة غرامية ، أليس كذلك ؟
- أريد من الدكتور أن يكتب لى خطاباً يعبر عن بعض الأشياء
- حسنا لنرى السيدة ، من أى نوع هى ؟
- إنها بالغة الجمال
- إننى أسأل عما - شعر بضيق لأنه أراد أن يقول «استعلم عما» ولكنه
- نسى فى آخر لحظة - إذا كانت آنسة ، امرأة ساقطة ، أو امرأة عابرة ؟
- كان يقصد بالنساء «العابرات» الخادمت الخلاسيات اللاتي يأتين إلى البحارة
- من أجل حب خالص بون انتظار لأى مقابل
- إنها فتاة جادة ، أريد أن أتزوجها
- إذن عليك أن تتأى ببعض أزهار البرتقال لتدسها داخل الظرف ، وورق
- مرسوم عليه قلبان متداخلان
- ذهب «جوما» يبحث عن هذه الأشياء وبنهه الدكتور :

- الطرف من هذا النوع ثمنه اثنان «كروزادو» (١). ولكن «جوما» كان راضياً عندما عاد «جوما» بدأ الدكتور فى الكتابة وهو يقرأ فى نفس الوقت بصوت عال وفى موضع اسم المحبوبة ، كتب حرف «ل» كما طلب منه «جوما» بدأت المشادة عندما وصل إلى هذه الجملة «يا فتاتى أعتقد أن قلبك محارة ذهبية تنطوى على اسم «الطيبة» لأنه كتب أن قلبها خزانة ذهبية استاء «جوما» من كلمة «خزانة» واقترح بدلاً منها كلمة «محارة» فالخزانة شئ قبيح والدكتور لا يسمح بالمناقشة فى هذه الحالة ، ويقول مهدداً إما خزانة أو لا شئ على الإطلاق وإنه لن يكتب الرسالة انتزع «جوما» الورقة من يده وانتزع كذلك القلم ودواة الحبر واتجه نحو مركبه شطب كلمة «خزانة» وكتب فى موضعها «محارة» ، ثم كتب بنفسه بقية الرسالة بمتعة غامرة وعندما وصل إلى نهايتها، أضاف الشرح عن اختلاف الخطين ورجع إلى الدكتور

- خذ أشياءك

- ألا تريد أن أنهى الرسالة ؟

- كلا . ولكننى سأدفع لك

وأعطاه الثمانية آلاف رايس

وضع الدكتور النقود فى جيبه ، وأغلق دواة الحبر ونظر إلى «جوما» فى جد

- هل سبق لك أن رأيت خزانة ؟

- بل لقد حملت واحدة خضراء فى مركبى إلى «ماراجوجيب»

- لكنك لم تر مطلقاً خزانة ذهبية ؟

- كلا

- لذلك فإنك تقول إن «محارة» أكثر جمالاً لو انك رأيت خزانة ذهبية لما

تناقشت

ومع ذلك ذهب الخطاب بكلمة «محارة» حمله «جوما» فى المساء وعند

نهاية الزيارة أخبر «ليفيا»

(١) الكروزادو يعادل أربعمائة رايس (المترجم)

- سأعطيك شيئاً ولكن اقسى أنك ستريه وحدك

- أقسم

ناولها الخطاب وانصرف مهزولاً لم يتوقف إلا فى الميناء ، وأمضى ليلته قلقاً يفكر فيما سترد به عليه

قالت ردها بصوت واضح عندما عاد إليها

- إننى أعد جهاز عرسى

العم وزوجه العم اللذان كانا يعلقان كل أمل على زواجها ، عندما عرفا بالأمر ، تنازعا مع «جوما» وطلبا إليه ألا يعاود زيارتهم لم يكن أحد يعرف بمكان «رودولفو» ، ولم يستطع «جوما» أن يستعين بأحد ، وعندما كان لا يبصر ، كان يمر أمام البيت حتى فى الأوقات المتأخرة من الليل ليراها بسرعة ويتبادل معها كلمتين أو يختلس موعداً

كانت الرغبة تنمو فى داخله وفى النهاية باح لـ «روفينو» بالأمر أجابه الزنجى وهو ينكش فى الأرض بعضا

- لا أرى إلا وسيلة وحيدة لذلك

- أية وسيلة ؟

- أن تخطف الفتاة

- لكن

- الأمر بسيط تتفاهم معها ، وتأخذها فى ليلة إلى المركب وتبحر إلى «كاشويرا» وعند العودة لن يبقى سوى الزواج

- ومع من ستبقى فى «كاشويرا» !

- مع حماة «چاك» قالها «روفينو» بعد أن فكر برهة

- هيا بنا فوراً لنرى ماذا يقول «چاك»

كان «چاك» قد تزوج منذ بضعة شهور وكانت حماته تسكن فى «كاشويرا» و«ليفيا» تستطيع أن تبقى معها طالما كان «جوما» غير متفاهم مع أهلها على الزواج وافق «چاك» وبحث «جوما» عن وسيلة مقبولة لدى «ليفيا» .

★★★

نجح فى أن يكلم «ليفيا» التى أبدت موافقتها ، فهى أيضا تشتهيهِ دبرا كل شئ ليهربا فى ليلة السبت من الأسبوع المقبل ، عندما يخرج أهلها فى زيارة سوف تجد وسيلة لكى لا تذهب معهما ، عندئذ سوف يهربان فى ذلك المساء ، فى حانة «منارة النجوم» سوف يدفع «جوما» حساب «الكاشاسا» للجميع وسوف يعترف «للدكتور» بأن «خزانة» أكثر جمالاً من «محارة» ، بشرط أن تكون خزانة ذهبية

★★★

حدث ذلك فى شهر يونيو ، شهر العواصف ورياح الجنوب ، ففى يونيو تطلق «يمانجا» رياح الجنوب العاتية ، فى هذا الوقت يكون عبور الحاجز خطراً ، وتكون العواصف رهيبية ، إنه أسوأ الشهور عند الصيادين وأصحاب المراكب الشراعية حتى سفن الشركة الباهيانية والبواخر الكبيرة تتعرض للمخاطر فى شهر يونيو .

فى تلك الليلة من يونيو ، باتت السماء غائمة ، عبثاً كانت «يمانجا» تحاول رؤية القمر راحت الريح تعصف بالميناء باردة رطبة ، فتجعل الرجال يحنون هاماتهم كان «جوما» ينتظر منذ وقت طويل عند منعطف شارع «روى باربوزا» ومع «روفينو» لم يرفعا أعينهما عن بيت «ليفيا» رأيا الدكان يقفل أبوابه وسمعا صرير الباب ، بعد ذلك بوقت طويل خرج عم «ليفيا» وزوجة عمها اطمأن «جوما» لقد نجحت «ليفيا» ألا تذهب معهما رافقتهما حتى محطة الترام ابتسمت زوجة العم وكان العم يقرأ صحيفة عندئذ ذهب «روفينو» لياتى بـ «ليفيا» وبقي «جوما» عند منعطف الشارع ولحظة ما كان «روفينو» يطرق الباب، كانت إحدى الجارات تنادى «ليفيا»

– ألم ترغى فى الذهاب معهما يا «ليفيا» ؟ تعالى معى اذن !

رأت «ليفيا» «روفينو» يطرق الباب ، فكلمته بصوت خافت ، التفتت نحو الجارة تقول لها

– لقد نسيت زوجة عمى حقيبتها .. وتطلب منى أن أحملها إليها .

دخلت وأخذت الحقيبة والمظلة وقالت مرة أخرى للجارة
إنها تنتظر فى محطة الترام سوف أحمل إليها المظلة فيلسوف تمطر
السماء

وذهبت «ليفيا» عبرا الميدان ، وهبطا فى المصعد ووجدا نفسيهما أمام الميناء
والبحر وطنها الجديد بدا «جوما» غريباً فى معطفه الواقى من المطر سار
«روفينو» أمامه حتى يجنبها التقلم المعارف بدأ المطر يتساقط ربيعاً جداً،
وبالقرب من المركب انسحب «روفينو» وتركهما

حدث ذلك فى يونيو ، ففى شهر رياح الجنوب غادرت «ليفيا» المدينة إلى البحر
خرج المركب يتمايل فى مواجهة الريح تمنى أحد المراكبية العائدين إلى الميناء
لجوما رحلة سعيدة ، وللمرة الأولى ترد «ليفيا» على تحية البحر
- رحلة سعيدة !

كانت ريح الجنوب تعبت بشعرها ، وكان «جوما» منحنيا فوق الدفة ، وعطر لا
مثيل له يأتى من البحر انبثق فى أعماق «ليفيا» فرح جعلها تغنى للمحيط
كانت «ليفيا» تحبى البحر بأجمل أغنية تعرفها وهكذا تخطى المركب حاجز
الامواج لأن الاغانى الجميلة التى تغنيها النساء تروض الريح والبحر «ليفيا»
سعيدة و «جوما» فى غمرة الفرحة حتى أنه لم ير ، للمرة الأولى العاصفة وهى
تقترب تمددت «ليفيا» فوق قدميه وتطاير شعرها فى الهواء ، خيم السكون لأنها
لم تعد تغنى كانت ريح الجنوب وحدها تصفر بأغنية الموت

★★★

أقبلت العاصفة بسرعة كما هى العادة مع عواصف يونيو ، كانت ريح الجنوب
تهز أشرعة «الباسل» ، وشعاع القنديل يضىء أمواج الحاجز الكبيرة ، كثيرة هى
العواصف التى واجهها «جوما» خلال عمره فى البحر بعضها كان مأساوياً لعدد
كبير من المراكبية وأصحاب المراكب الشراعية ذات ليلة ، خرج وحيداً - وكانت
العاصفة شديدة لدرجة أن أحداً لم يخاطر بنفسه - لينقذ سفينة لم يشعر

بالخوف قط فقد كانوا يألفون الموت ، وفكرة البقاء فى قاع البحر هذه المرة أيضا ستكون العاصفة عنيفة

الأمواج الكبيرة يلاطم بعضها البعض ، فى رهان على أيهن ستكون الاقوى ومع ذلك واجه «جوما» عواصف شديدة ولم يشعر بخوف قط فلماذا يخاف اليوم ؟ لماذا يخاف أن ينطفىء القنديل ؟ لأول مرة يتقبض قلبه فى وسط العاصفة. لقد تعبت «ليفيا» من الانتظار يوما بأكمله ، وخافت من أن ينهار كل شىء فى آخر لحظة إذا ما أصر أهلها على اصطحابها معهم تمددت على أرضية المركب عند قدمي «جوما» الذى يمسك بالدفة كان يشعر بمداعبة شعرها إنه يشتبهيا كثيراً وربما لا يمتلكها قط ربما يذهب كلاهما نحو أرض «أيوكا» دون أن يتلاقى جسدهما

لم تحن ساعة الموت بعد لأنهما لا يزالان يحتفظان برغبة فى جسديهما اللذين يرتعشان من اللذة عندما يتلامسان على الرغم من هياج العاصفة حولهما لا يريد «جوما» أن يموت دون أن يمتلكها ، فعليه أن يبحث دئماً عن هذا الجسد سألته «ليفيا» التى لا تعرف شيئاً عن الحياة فى البحر ، والرعب يملأ عينيها:

- أهو دائما هكذا يا «جوما» ؟

- لو كان هكذا على الدوام لفرق المرء فى ثانى رحلة نهضت والتصقت به

- أمن المحتمل أن نموت اليوم ؟

- ومن المحتمل ألا نموت إن «الباسل» مركب جيد - وعلى الرغم من العاصفة ، ابتسم «جوما»

التصقت به أكثر من قبل وهمست

- إن كنت تعتقد أننا سنموت ، تعال معى فى الحال ، فهذا أفضل

كانت هذه أيضا رغبة «جوما» ، فهكذا يموتان بعد أن يكون أحدهما قد منح نفسه للآخر ، ويكون جسدهما قد امتزجا معا وهدأت رغبتهما . ولكنه يعرف أنه إذا نجح فى اجتياز الحاجز ودخل إلى النهر فإنهما سينجوان لأن المركب سيكون بجانب أحد الشاطئين . فمن المستحيل مواصلة هذه الرحلة ضد ربح الجنوب التى

تجرهم إلى عرض البحر لايزال القنديل موقدا ولا تزال النجاة ممكنة. كانت المياه تلطم ثوب «ليفيا» وتبلل ملابس «جوما» وتغسل سطح المركب الريح تنفخ الشراع ، والمركب يتأرجح وكأنه يدور ويميل على جانبه ويبتعد دائما نحو عرض البحر ، نحو بحر لم يعد بحرهما ، بحر السفن عابرات المحيط والباوخر السوداء الكبيرة ، يقبض «جوما» على الدفة بكل قوته ، يوجه مركبه على الرغم من هياج الريح والأمواج و«ليفيا» تلتصق به ضارعة

- إذا كنا سنموت فلتأت معي

- ربما ننجو

ما من نجمة في السماء ، فالليلة لم تخلق للحب ولا سماع لغناء في الميناء وحدها كانت الريح تصفر ومع ذلك كانا يريدان أن يمارسا الحب في هذه الليلة التي قد تكون الأخيرة حتى الحب كان متعجلا كانت الأمواج تغسل جسديهما وتغسل المركب لقد تقدما مسافة قليلة خلال هذا الوقت كله بذل «جوما» كل جهده في ألا ينحرف إلى عرض البحر أو وراء الحاجز كانت إحدى السفن عائدة مضاءة بألف ضوء وكانت الأمواج تضعف أمامها وتتكسر على جسمها لكنها لم تكن كذلك أمام مركب «جوما» الصغير الذي يبدو أحيانا وكأنه يختفي تحت إحدى الموجات «ليفيا» وحدها التي كانت تمنحه الشجاعة وكانت الرغبة في أن يمتلكها وأن يعيش بقربها هي وحدها التي جعلته يتأبر لم يخف قط من عاصفة واليوم ، لأول مرة يخاف أن يموت دون أن يمتلكها

نجحا في أن يدخلوا إلى النهر ، لكن العاصفة لم تكن أقل عنفا انطفأ قنديل «الباسل» من نفخة ريح حاولت «ليفيا» أن توقده من جديد لكنها أتت على عتبة ثقاب بأكملها دون أن تتمكن من ذلك ويحث «جوما» عن خليج صغير يمكنه أن يرسو فيه فمثل هذه الخجان ليست كثيرة في هذا الجزء من النهر لا توجد إلا في المنطقة التي يرمح فيها الحصان الأبيض ومن الأفضل للبحار أن يظل في

وسط العاصفة على أن يذهب إلى هناك فيسمع جلبة سيد المزرعة القديم كانا قريبين من هذه المنطقة ، تبلغ مسمعهما الجلبة الغريبة ، يمر الجواد الأبيض ويعود وحمولته تخط جنبيه والبرق يرسم شبحه

غنت «ليفيا» أغنية كانت بمثابة دعوة لجوما ولكن الجواد الأبيض يرمح ومن الأفضل الموت فى العاصفة ولما كان من الأفضل أن يمتلكها ويلتصق بجسدها البكر ، فقد لمحت الخليج الصغير على ضوء البرق الذى يشق الليل
- انظر يا «جوما» يمكن للمركب أن يرسو هنا

ماذا يهمهما من الحصان الأبيض ؟ لن يدعها «جوما» تموت هذه الليلة التى هى ليلة عرسها الحصان الأبيض يرمح ولكن «ليفيا» تغنى ولا تخاف منه إن ما تخافه هو العاصفة ريح الجنوب الرعد الذى هو صوت «يمانجا» الغاضب والبرق الذى هو بريق عيني «يمانجا»
أرسى «جوما» المركب فى الخليج الصغير

بعد ذلك بسنين ، ردد رجل عجوز لم يعد أحد يعرف عمره ، إنها ليست فقط لياالى القمر التى خلقت للحب بل لياالى العاصفة ، فلياالى غضب «يمانجا» صالحة أيضا للحب

إن تأوهات الحب تعد واحدة من الموسيقى الأكثر رقة ، حيث يتوقف البرق فى السماء ويتحول إلى نجوم وتصبح الأمواج ناعمة عندما تأتى لتلطم الشاطئ حيث يمارس أحدهم الحب إن لياالى العاصفة صالحة أيضا للحب لأن فى الحب الموسيقى والنجوم والسلام

كان فى تأوهات «ليفيا» وتألها موسيقى وكانت هناك نجوم فى عينها بينما توقف البرق فى السماء أوقفت صيحة زهو من «جوما» الرعد وأقبلت الأمواج

تلطم رمال الخليج الصغير فى رفق كانت رقيقة مثل موجات صغيرة كانا سعيدين فى هذه الليلة المظلمة ، بلا قمر أو نجوم ليلة جميلة مفعمة بالحب لدرجة أن الحصان المسحور شعر بأنه تحرر من حمولته وأن عقوبته انقضت ، ولن يعود أبدا ليرمح على شاطئ النهر حيث البحارة يمارسون الحب الآن

موكب الزواج

هدد العم وزوجة العم بقتله وقالوا إنهما سيفعلان كذا كذا ترك «جوما» «ليفيا» عند حماة «جك» وعاد إلى «باهيا» أما «رودولفو» الذى ظهر فجأة كعادته لقد عمل على تهدئة أهله ومنعهم من إبلاغ الشرطة عندما قابله «جوما» فى الميناء اجتهد «رودولفو» فى أن يظهر برودة الأعصاب لكنه لم يفلح قبل «جوما» وقال له

- إننى أحب أختى كثيرا ، وأنت تعرف أننى لا أساوى شيئا لكننى أريدها سعيدة فانتبه جيدا لما أنت مقدم عليه
أجاب «جوما»

- أريد أن أتزوج وإذا كنت قد فعلت ذلك فهذا خطأ والديها اللذين لم يريدوا
ابتسم «رودولفو»

- أعرف ذلك إننى فى سبيل ترتيب كل شئ معهما أليس لديك نقود لتحضير
المستندات ؟

باح «جوما» بكل الترتيبات لرودولفو الذى أعلن فى اليوم التالى أن الزواج سيتم بعد اثنى عشر يوما فى كنيسة «مونت سيرات» وفى مكتب السجل المدنى أيضا لكن العجوز «فرانشيسكو» كان غاضبا لأنه يفكر دائما بأن البحار لا ينبغى له أن يتزوج فالمرأة لا تؤدى إلا إلى عرقلة حياتهم ومع ذلك لم يقل

شيئا لجوما لأن «جوما» كان رجلا ولم يكن الذى يتدخل فى شئونه لكنه كان بعيدا عن الموافقة وموازرة «جوما» لم يسانده حتى فى اللحظات التى كانت فيها الحياة قاسية ، وأجرة النقل بالمراكب الشراعية والقوارب ضئيلة للغاية

أعلن لجوما أنه سيغادر المسكن

- سوف أبحث عن مأوى فى ركن قريب

- أنتت أبله لسوف تبقى هنا

- قد لا تريد زوجتك

- إنك تعتبرنى جبانا فى بيتك ، من الذى كان يأمر ؟ أنت أم زوجتك ؟

تمتم العجوز «فرانشيسكو» ، وتابع «جوما»

- سوف تحبها إنها لطيفة حقا

استمر العجوز «فرانشيسكو» يرتق شراعا وراح يتذكر زواجه

- لقد كان حفل زواج نال إعجاب الجميع جاء أناس من كل النواحي ليأكلوا

السّمك المقلّى حتى أبوك الذى لم يكن ذا شأن ولا يعرفه أحد ، جاء أيضا أما دفن زوجة عمك فقد كان حدثا كبيرا

ظل واجما والإبرة فى يده

- الزواج لا يقدم شيئا إنه ينتهى دائما نهاية سيئة ليس لأننى أريد أن

أتنبأ ، كلا

كان «جوما» يعرف أن العجوز «فرانشيسكو» محق فزوجة عمه ماتت من

الفرحة عندما عاد العجوز «فرانشيسكو» فى ليلة عاصفة ماتت من الفرحة

وكلهن يمتن من الحزن عندما لا يعود أزواجهن

لذا نظر إليه الدكتور «رودريجو» مندهشا عندما ذهب ليدعوه إلى العرس

كان «جوما» يعرف جيدا ما يفكر فيه الدكتور «رودريجو» وهو يرمقه لقد تذكر اليوم الذى مات فيه «تيريرا» وهو يرحل فى سفينة أو سحابة ، ينادى بناته ، وسط الهذيان ، تلقت «راكيل» عروسة ، هذا صحيح ولكن ذلك لم يكن من يدى أبيها ولم يكن ذلك عند عودته من رحلته تذكر «جوما» «تيريرا» وآخرين أيضا ماتوا فى البحر أو ماتوا فى مشاجرة ورحلوا نحو الأراضى المجهولة كيف تستطيع امرأة أن تعيش فى الميناء دون زوجها ؟ يغسل بعضهن الملابس للعائلات فى المدينة العليا ، وأخريات يمارسن الدعارة ويشربن فى حانة «منارة النجوم» إنهن حزينات وحزنيات أولئك المومسات اللاتي يضحكن وسط الكنوس والأغاني مد الدكتور «رودريجو» يده وابتسم

- ساكون هناك لأقبلكما

ولكن صوته كان خاليا من الحماسة والبهجة كان يفكر فى «تيريرا» وفى كل الآخرين الذين مروا بعيادته

وبالمقابل ، ابتسمت دونا «دولشى» ببهجة وحماسا

أعرف أن حياتك ستكون أكثر صعوبة ولكنك تحبها أليس كذلك ؟ أحسنت صنعا إذ تزوجت قد لا تكون الحياة هكذا دوما أفكر أحيانا يا «جوما»

كان فى صوتها أمل طفولى إنها تنتظر معجزة و«جوما» يعرف ذلك وكل الناس فى الميناء تعرفه يحبونها بوجهها اليابس ونظارتها الطبية وجسدها النحيف العجوز ، ويعهدون إليها بأطفالهم لمدة خمسة شهور أو ستة كانت تبحث بنهم عن الكلام الذى عليها أن تعلمهم إياه ، الكلام الذى يصنع المعجزة

صافحت «جوما» وطلبت إليه

- احضرها إلى هنا لكى أتعرف عليها

وضع الدكتور «فيلادلفيو» أصابعه فى ثنيات صدريته القذرة وضحك ضحكته الخفيفة

- هيا نشرب نخبا احتفالاً بذلك

وتذكر

- لو كنت قد وضعت «خزانة» ما كانت لتنتظر وقتاً طويلاً

شرب فى حانة «منارة النجوم» فى صحة «جوما» وزوجته «المقبلة» وشرب الجميع بعضهم كان متزوجاً والبعض كان عليه أن يفعل ولكن عدداً كبيراً منهم لم تواته الشجاعة لأن يضحى بامرأة من أجل حياتهم

ذهبت «ليفيا» عند دونا «بولشى» كان أهلها قد قاموا بزيارتها مؤخراً بعد أن هدأوا أحضروا معهم جهاز العرس فقد كان الإعداد للعرس جارياً كان العجوز «فرانشيسكو» متعاطفاً مع «ليفيا» إنه سعيد لدرجة كبيرة وكأنه هو الذى سيتزوج لم يكن أحد فى الميناء يتكلم إلا عن زواج «جوما» الذى تم يوم السبت فى مكتب السجل المدنى أولاً فى حضور عدد قليل («روفينو» الذى كان أحد الشهود أمضى نصف ساعة ليوقع اسمه) ثم فى كنيسة «مونت سيرات» التى كانت غاصة بالأزهار كل سكان الميناء كانوا هناك لرؤية «جوما» والعروس الكل رآها جميلة وكان بعضهم ينظر إلى «جوما» بحسد وبين جماعة من الحاضرين سرت تعليقات

- إنه محظوظ يالها من امرأة جميلة لو كنت أستطيع لامتلكتها ضحكوا

- فات الوقت الآن

قال أحدهم

- يكفيك أن تنتظر قليلا فهي لن تتأخر في أن تصبح أرملة

لم يعد أحد يضحك أتى بحار عجوز بإشارة من يده وقال للشاب

- مثل هذه الأشياء لا تقال

طأطأ الذى كان يتكلم رأسه خجلا وشعر الآخر وهو رجل متزوج

بقشعريرة كريح الجنوب تسرى بطول عموده الفقرى

مرت «ليفيا» ، غاية فى الجمال ، وكان «جوما» يبتسم للجميع دون أن يعرف

السبب هبط على المدينة مساء يونيو البارد كان الميناء كله مضاء هبطوا
الشارع الصغير.

كان المساء رطبا غائما والرجال يرتدون معاطفهم الواقية من المطر الذى

يتساقط رذاذا السفن مضاءة على الرغم من أن الوقت لا يزال مبكرا ، والمراكب

مطوية الأشرعة تشير بصواريتها نحو سماء بلون الرصاص المياه هادئة فى هذا

المساء الرطب لزواج «جوما» كان العجوز «فرانشيسكو» يقص على «روفينو»

حكاية زواجه وكان الزوجى يصغى نصف مخمور ويجيب بردود سريعة بعناء

وكان «فيلادلفيو» يفكر فى الخطبة التى سيلقيها بعد لحظات على مائدة «جوما»

وفى التصفيق الذى سيقابل به تساقط المطر على موكب الزواج ودقت أجراس

«مونت سيرات» معلنة حلول الليل كانت رمال الميناء مبللة وكان إقلاع سفينة فى

المساء عملا مضمنا

بعد الموكب تحدثت دونا «دولشى» مع الدكتور «رودريجو» كانت ذراعاها

متشابكتين كخطيين لكنها كانت محدودة قليلا ، ترى بصعوبة على الرغم من

نظارتها الطبية

قال الدكتور الذى يدخن الغليون

- لقد مات «موندينو»

- مسكينة أمه ..

- بذلت مافى وسعى كان من المستحيل إنقاذه هنا ، بسبب نقص الاجراءات الصحية الامكانات

- لقد جاء إلى المدرسة كان تلميذا مجدا من الممكن أن يتقدم كثيرا

- على أى حال ، لم يكن باستطاعته أن يواصل

- هؤلاء الناس لا يقدرّون يا دكتور إنهم فى حاجة إلى أطفال يساعدهم فى كسب عيشهم كثير من هؤلاء الأطفال أذكىاء لدرجة تبعث عن البهجة «جوما» نفسه

- منذ وقت طويل وأنت هنا ، أليس كذلك يا دونا «دولشى» ؟

احمر وجهها قليلا وأجابت

- نعم ، منذ وقت طويل إنه أمر محزن

لم يعرف الدكتور «رودريجو» ما إذا كانت تشير إلى حياتها الخاصة أو إلى حياة الميناء كانت تسير منحنية والمطر يفضض شعرها ، قالت

- أفكر أحيانا أن بإمكانى أن أرحل من هنا لأبحث عن وظيفة أفضل

لكننى أتألم من أجل هؤلاء الناس الذين يحبوننى كثيرا ومع ذلك لا أدرى ماذا أقول لهم

- كيف ؟

- ألم تأتق قط امرأة باكية ؟ ألم تأتق أرملة شابة ؟ لقد رأيت كثيرات منهن يتزوجن مثل «ليفيا» .، وبعد ذلك كن يأتين إلى عندى باكيات لأن أزواجهن غرقوا فى البحر وكنت لا أدرى ماذا أقول لهن

- منذ وقت ليس ببعيد مات رجل فى عيادتى إن جاز أن نسميها عيادة

مات برصاصة فى بطنه لم يكن يتكلم إلا عن بناته كان مراكيبا ..

- لا أدري ما يمكنني أن أقوله لهم ، فى البداية ، كان لدى إيمان وكنت لا أزال سعيدة أعتقد أن الله يوما ما ، سوف يشمل هؤلاء الناس برحمته ، واليوم، أصبحت أرى أشياء كثيرة لدرجة أنني فقدت إيمانى . ومع ذلك ، فقد كنت فى ذلك الوقت ، أستطيع أن أعزى نفسى على الأقل

- عندما أتيت إلى هنا يا «دولشى» (نظرت إليه لأنه ناداها «دولشى» باختصار فقد كانت تعبره أباها) كنت أوْمَن بالعلم وجئت لأستفيد من كل هؤلاء المساكين
- والآن؟

- لا أدري ماذا أقول لهم أن أتكلم عن الصحة هنا حيث لا وجود إلا للبؤس وأتكلم عن الراحة حيث لا وجود إلا لخطر الموت أعتقد أنى فشلت
- أما أنا فانتظر معجزة لا أدري ما هى لكننى أنتظر

ابتسمت «ليفيا» لدونا «دولشى» وللم الدكتور «رودريجو» طرف معطفه
لاشئ سوى معجزة ذلك يبرهن أنك لاتزالين تؤمنين بالله وهذا فى حد ذاته شئ كبير أما أنا فقد فقدت إيمانى بألهتى
كانا نسمعان لفظ أحاديث وضحكات العجوز «فرانثيسكو» الذى كان يستمع لرد «روفينو» وضحكة «جوما» المرحة ، ونداء «ليفيا» الودى لكى يقتربوا ، عندئذ قالت دونا «دولشى»

- لم تعد معجزة تلك التى انتظرها لقد تضرعت كثيرا إلى القديسين ومع ذلك كان الرجال والأطفال يموتون لكننى مؤمنة ، نعم أوْمَن يا «رودريجو» بهؤلاء الرجال شئ ما يقول لى إنهم الذين سيصنعون المعجزة

كان الدكتور «رودريجو» ينظر إلى دونا «دولشى» بينما تبتسم عينا المعلمة بطيبة ، فكر الدكتور فى قصائده المحبطة وعلمه العقيم نظر لمن يضحكون من

حوله قفز المعلم «مانويل» من مركبه بصحبة «ماريا كلارا» وجرى نحوها . وصل متأخرا ، وضحك كثيرا وهو يعتذر قال الدكتور «رودريجو»

- أى معجزة يا «دولشى» ؟ أى معجزة ؟

تغير وجهها وكأنها قديسة ، عيناها الحلوتان تنظران إلى البحر اقترب طفل فوضعت يدها على رأسه المعروقة

- معجزة ، نعم

مشى الطفل معهما فى الليل البارد . وتابعت «دولشى»

- ألم تتخيل قط هذا البحر وقد غطته مراكب نظيفة ويحارة أصحاء يكسبون ما يكفيهم لنسائهم مستقبل مأمون وأطفالهم يذهبون إلى المدرسة ، لا لسته شهر فقط بل لوقت يكفى لتعليمهم يذهبون بعده إلى الكليات ؟ هل فكرت فى مواضع أمنة عند مدخل النهر ، بالقرب من الحاجز ؟ إننى أحيانا أتخيل الميناء هكذا

كان الطفل يستمع فى صمت دون أن يفهم ، الليل بارد والبحر هادئ وكل شئ حزين بلا جمال قالت «دولشى»

- معجزة من هؤلاء الرجال يا «رودريجو» مثل القمر فى ليل الشتاء ، يضى كل شئ ويزينه

نظر «رودريجو» إلى القمر يرتفع فى السماء كان القمر مكتملا يضى كل شئ ويغير منظر البحر والليل انبثقت النجوم وكانت أغنية تأتى من القلعة القديمة ، ولم يعد الرجال منحنين كان موكب الزواج جميلا اختفت برودة الليل . وكان المعلم «مانويل» و«ماريا كلارا» يمشيان متعانقين وكان «جوما» يتسم «الليفيا» ، والدكتور «رودريجو» ينظر إلى معجزة الليل ، والطفل يتسم للقمر عندئذ ، تحقق الدكتور «رودريجو» مما كانت دونا «دولشى» تقوله أخذ الطفل بين

ذراعيه حقا فى يوم من الأيام سيصنع هؤلاء الرجال معجزة كهذه قال
لدونا «دولشى» بصوت خفيض

- أعتقد فى ذلك

وصل الموكب إلى بيت «جوما» وصاح العجوز «فرانشيسكو»

- ادخلوا يا أصدقاء البيت بيتكم ، إنه بيت فقير لكن عن طيب خاطر

فى اللحظة التى دخل فيها الدكتور «رودريجو» والدونا «دولشى» سألهما

- أكنتما تتحدثان عن الزواج المقبل ؟

أجاب الدكتور «رودريجو»

- كنا نتحدث عن معجزة

قال «فرانشيسكو» وهو يضحك

- لقد مضى وقت المعجزات

وعقبت دونا «دولشى»

- لا ، لم يمض بعد لكن المعجزة الآن شئ آخر

دخل القمر من النافذة

كان «جبريميه» و«روفينو» قد جاءا بقيثارتيهما ، وجاء آخرون بالهارمونيكا
وكانت «ماريا كلارا» متأهبة بصوتها غنوا أغانى البحر بدءا بالأغنية التى
تقول «إن الليل خلق من أجل الحب» - فابتسم الجميع لجوما و«ليفيا» - إلى
تلك التى تقول «إن الموت فى البحر حلوى» رقصوا أيضا وكان الكل يريد أن
يرقص مع العروس شربوا «الكاشاسا» وأكلوا الحلوى التى أحضرتها
دونا «دولشى» والفاصوليا السوداء باللحم المقدد التى أعدها العجوز

«فرانشيسكو» بمعاونة «روفينو» وضحكوا كثيرا متغافلين عن الليل البارد وريح الجنوب وشهر يونيه عما قريب سيحل عيد القديس «سان جان» وتتلا لأ الأنوار فى الميناء

انتظر «جوما» أن يذهبوا مثلما كان عم «ليفيا» وزوجة عمها يعلان فى السابق. فمنذ الليلة التى اختطفها فيها وامتلكتها فى العاصفة لم يضمها بين ذراعيه منذ ذلك اليوم ورغبته تزداد مع الوقت كان ينظر إلى الآخرين يضحكون ويشربون ، ويتناقشون من المؤكد أنهم لن يذهبوا بسرعة فالمعلم «مانويل» يحدثهم عن مشاجرة

- كانت ضربة تزيد قليلا على الصفعة ، وجهت له لكمة جعلت الرجل ينبطح كالعجينة بعد الحكاية ، طلبوا من «روفينو» أغنية أراحت «ليفيا» رأسها على كتف «جوما» وناشدهم «فرانشيسكو» الصمت أخذ «روفينو» يداعب أوتار قيثارته وصوته يصدح فى أرجاء البيت

«إنه المال الذى يحكم العالم

ما يحكم العالم هو المال»

تواصلت الأغنية وكان صوت المغنى متسارعا كالأمواج فى العاصفة وأبيات الأغنية يجرى أحدها خلف الآخر

تجوف فى الأرض ، إنه حفرة

كلاب خشبي ، إنه مذراة

يفك ويربط من جديد ،

يربط شعر «ماريا»

كان ينظر إلى الشبابات الخلاسيات فى الصالة ويفنى لهن إنه يحب تغيير النساء ، وكانت النساء تحب التجول معه على الشاطئ فى الميناء ، يقولون إنه

«مراكبى ماهر لدرجة أنه ينزل قاربه إلى الماء وبضربة مجداف واحدة ينطلق
مبحرا» فهذه الحركة تدل على مهارة نادرة يختص بها المراكبية العواجيز
وحدهم

هو الذى علمنى الحب

لأننى لم أكن أعرف

فالنمر يهجم بوثة

والحية بقفزة

وراعى البقر لكى يكون ماهرا

عليه أن يعرف كيف يختار زوجته

إنهم يضحكون فى الصالة أما الخلاسيات فيصوبن نظراتهن نحو «جوما»

المعلم «مانويل» يتابع الموسيقى وهو يخطب بيديه على ركبتيه . و«روفينو» يغنى

المجروح اشتكى

والذى اشتكى يعانى

الحداد يطرق بالمطرقه ،

وخادم الكنيسة يدق الناقوس

راح يداعب أوتار القيثارة «ليفيا» تحب هذه الأغنية لكنها بلا شك ستفضل

أغنية أخرى من هذه الأغنيات التى لا يغنونها إلا فى الميناء أما أغنية «روفينو»

فلا تقول إلا القليل . والأغنية ينبغى أن تقول الكثير . وختم «روفينو» أغنيته

إننى مثل وجع الأسنان

عندما يبدأ فى الوخز

بلا فلفل أسود ، أصنع الحساء

وبلا دقيق ، أصنع العصيدة

لست برعما

يموت ويعود إلى الحياة

بعد المديح والاستحسان ، وضع قيثارته على الأرض وغمز بعينه

هيا نرقص يا أصدقاء إنه يوم بهجة رقصوا وكانت
«الهارمونيكا» تأن وكأنها أمواج تروح وتغدو المعلم «مانويل» يتحدث إلى
الدكتور «رودريجو»

- الطقس سيئ يا دكتور سوف نواجه مخاطر كثيرة في هذه الرحلات في
هذا الشتاء سوف يبقى الكثيرون مع «يمانجا»

كان صخب الموسيقى يبلغ الرصيف المجاور دخل المعلم «بابو» يحمل
زجاجات خمر هديته للزوجين الشابين كان قد أغلق «منارة النجوم» لأن أحدا لم
يذهب إلى هناك في هذه الليلة بلغت السامبا ذروتها وكانت الأرض تنز تحت
الأقدام ثم غنت «ماريا كلارا» راح صوتها يخترق الليل كصوت البحر ، متناغما
عميقا غنت

الليلة التي لا يعود فيها

ليلة حزن بالنسبة لى

بدأ صوتها حلوا ، وكان أعمق من البحر يفوح من جسدها أريج الميناء
رائحة السمك المالح الجميع ينصتون بانتباه ، فالأغنية التي تغنيها كانت لهم
والبحر

بقي تحت الأمواج

لقد رحل غريقا

تراث قديم من البحر . لماذا لا نتحدث هذه الأغاني إلا عن الموت والحزن ؟ ومع ذلك ، فالبحر جميل المياه زرقاء ، والقمر مضيء ، لكن الغناء وتراث البحر حزين يبعث على الرغبة فى البكاء ويقتل بهجة الجميع

سوف أذهب إلى أرض أخرى

فرجلى قد رحل بعيدا

تحت الأمواج الخضراء

سيأتى يوم ويذهبون جميعا تحت أمواج البحر الخضراء هكذا تغنى «ماريا كلارا» رجلها أيضا يعيش فوق الأمواج لكنها ولدت فى البحر ، منه جاءت وفيه تحيا فالأغنية لا تقول جديدا بالنسبة لها ، ولا تجعل دقات قلبها تتسارع كدقات قلب «ليفيا»

لماذا تغنى «ماريا كلارا» هكذا فى ليلة عرسها ؟ - هكذا فكرت «ليفيا» إنها مثل عدو ، وصوتها مثل العاصفة كانت عجوزا فقدت زوجها منذ سنين طويلة، تبكى فى الصالة إن أمواج البحر تذهب بكل شئ والبحر يعطيهم كل شئ ، ويأخذ كل شئ أخذت «ماريا كلارا» تغنى

سوف أذهب إلى أراض أخرى

فنحو هذه الأراضى يذهب البحارة أرض «أيوكا» البعيدة ابتسم «جوما» كاشفا من أسنانه بينما اسندت «ليفيا» رأسها على كتفه ، وللمرة الأولى ، خافت على حياة رجلها وإذا حدث أن غرق فى البحر ، ماذا سيحدث لها ؟ تقول الأغنية إنهم يغرقون جميعا تحت أمواج البحر الخضراء وفى الصالة لم يعارضها أحد ، ولم يحتاج أحد سوى «ليفيا» التى كانت تبكى بصوت مرتفع كانت تريد أن تهرب بجوما بعيدا عن هذا المكان ، إلى آخر العالم ، إلى مكان لا يسمعان فيه نداء «أمواج البحر الخضراء»

كانت «ليفيا» تتنفس بصعوبة انتهت الأغنية ، ترددت أصداؤها ، فى ليل
يونيو البارد ، نحو السفن والمراكب الشراعية ، تضرب فى كل القلوب من أجل
أن تنسى ، شرعوا جميعا يرقصون ، ومن لا يرقص فإنه يشرب ، رفع «مانىكا
ماوزينيا» كأسه وصاح

- هذه الخمر اللعينة ، كأنها رصاص

وفى الخارج ، تساقط المطر وحجبت السحب القمر

كانت هذه الأغنية الحزينة فى حفل زواجها تلخص الحياة فى الميناء «لقد
رحل غريقا» عبارة من الممكن أن تقولها كل امرأة عندما يخرج زوجها
مصيرها حزين كمصيره كان أخوها يظهر ويختفى لا أحد يعرف شيئا عنه لم
يكن قد حضر عرسها ، فمنذ أيام لم تره ، فقد كان مشغولا بأمر أوراق الزواج
وهو الذى حدد مواعده ثم اختفى لا أحد يعرف عن حياته شيئا ، لا أحد يعرف أين
يسكن ، وأين يأكل ، وأين يريح رأسه أما زوجها فسوف يذهب كل يوم ليغرق
تحت أمواج البحر الخضراء ذات يوم ستعود جثته بدلا منه وسوف يرحل إلى
أرض «أيوكا» المجهولة

رفعت «ليفيا» طرف ثوبها ومسحت دموعها لم يعد لجسدها رغبة فى
الحب ، ومع ذلك ، لم تكن قد ارتوت بعد ، فهى لم تتذوق جسد رجلها سوى
مرة واحدة

وهاهما اليوم قد تزوجا ، اليوم هو يوم الحب ، وهى حزينة لقد سلبت الأغنية
الرغبة من جسدها عندما تقبل «جوما» تتخيل جسده وقد جرفته الأمواج إنها
تفكر فى زوجها يرحل غريقا لن تكون بها رغبة ، ولن تستطيع أن تمارس الحب
إلا إذا استطاعت أن تهرب فى نفس هذه الليلة ، بعيدا عن البحر ، وتذهب إلى

قري «السيرتاء» بعيدا عن فتنة الأمواج إن الرجال والنساء هناك يحيون يفكرون
فى البحر لا يعرفون أن البحر سيد شرس يقتل الرجال

تقول أغنية من «السيرتاء» إن زوجة «لامبياو» الذى هو سيد كل هذه البلاد
كانت تبكى لأنها لم تستطع أن تحصل على ثوب من دخان السفينة والسفينة
تأتى من البحر ، وفى البحر لا أحد يأمر ، حتى وإن كان قاطع طريق شجاع مثل
«لامبياو» فالبحر سيد الحياة البحر رهيب وعجيب وكل من يحيا فى البحر
تحيط به العجائب اندست «ليفيا» تحت الغطاء وبكت من الآن فصاعدا
ستكون أيامها مأساوية سوف ترى «جوما» يرحل كل يوم غريقا تحت
أمواج البحر الخضراء

عندئذ اتخذت قرارا مفاجئا سوف تذهب معه دائما سوف تصبح هى
أيضا بحارا ، تغنى أغنيات البحر ، وتعرف الرياح وصخور النهر وعجائب البحر
وسوف يروض صوتها العاصفة كصوت «ماريا كلارا» ستبحر فى مركبه
وسيربح هو الرهانات بفضل غنائها وإذا حدث فى يوم أن ذهب تحت الأمواج
فسوف تذهب معه فيرحلان معا نحو أرض «أيوكا» المجهولة

استأذن «جوما» فى الدخول إلى غرفة النوم جفت دموعها ودعته
إلى الدخول انطفأت الشمعة وعند مطلع النهار ازدادت تأوهات
الحب سوف يرحل غريقا وتطفو جثته فوق أمواج البحر الخضراء
تبكى حين تضاجعه يتضاجعان بجنون كأن الموت يحوم حول السرير وكأنها
المرءة الأخيرة

انبليج الفجر وأقسمت «ليفيا» أن ابنها لن يكون بحارا قط وأنه لن
يبحر فى المراكب الشراعية لن يسمع هذا الغناء ولن يحب البحر القادر
وفى الفجر راح زنجى يغنى أن البحر صديق لطيف لن يكون ابن «ليفيا» رجل

بحر ، سوف يكون رجل بر ، حياته هادئة ، ولن تعاني زوجته ما تعانيه «ليفيا»
لن يذهب ليغرق تحت الأمواج الخضراء

انبثق الفجر ، وفكر «جوما» فى أن ابنه سيكون بحارا يقود مركبا شراعيا
أفضل من المعلم «مانويل» ، ويبجر فى قارب أمهر من «روفينو» ، وأنه سوف يبجر
يوما فى سفينة ضخمة نحو أراض أبعد من تلك التى يوجد بها «شيكوتريستيزا»
البحر صديق لطيف وسوف يذهب ابن «جوما» فى البحر
انبثق الفجر ، ومن جديد ازدادات تأوهات الحب

**باکیت فوادور
«المرکب الطائر»**

طريق البحر الكبير

شهر سنى بالنسبة للميناء فالمرالكب الشراعية تقوم برحلات قليلة وأجور الشحن انخفضت لدرجة كبيرة ذهب كثير من البحارة للصيد من أجل الحصول على طعامهم كان «جوما» يكذب ويقوم بنقل أية حمولة تعرض عليه ويقبل أى عمل وكانت «ليفيا» تصحبه دائما ، وفيه لوعدها بأن تكون دوما إلى جوار زوجها ومع ذلك ، باح لها «جوما» ، فى يوم عاصف ، بأن الرحلة ستكون صعبة للغاية وهى بجانبه لقد عبر ، هو الذى لم يعرف الخوف قط ، عن رعب حقيقى عندما غطت السحب السماء وهما فى البحر إن حياة زوجته هى التى سببت له هذا الرعب هذا الخوف من الرياح ومن العاصفة عندئذ قلت من رحلاتها ، ولم تعد تصحبه إلا عندما يكون معتدل المزاج وأحيانا كان هو الذى يأخذها عندما يحس فى عينيها بالرغبة فى الرحلة - أترغبين فى المجرى معى ، أيتها الزنجية ؟

كان يدعوها زنجية بود وكانت تعد نفسها وهى تبتسم وإذا سألها لماذا تحب صحبتها لا تقول أبدا إنها تخاف على حياته تقول إنها غيورة ، وتخشى أن يذهب مع نساء أخريات فى الموانئ يبتسم « جوما » ويسحب نفسا من غليونه ويقول

- أنت بلهاء يا زنجية ، إننى ابقى دائما فى المركب وأفكر فىك

وعندما لاتذهب معه، تبقى فى البيت مع العجوز «فرانشيسكو» تنصت إلى حكايات الميناء القديمة وقصص غرق السفن والموت والغرقى كان الرعب يستولى عليها كانت تعرف أن زوجها فى البحر فى مركب هش فى مهب الريح ومن الممكن أن تعود جثته وقد ملامها سرطان البحر مثل المعلم «أندراد» الذى كان العجوز فرانشيسكو « يقص حكايته وهو يرتق الأشرعة بمساعدة «ليفيا»

لاتنسى قط هذه الأغنية التي غنتها «ماريا كلارا» ليلة زواجها «لقد رحل غريقا تحت أمواج البحر الخضراء» ترى زوجها يذهب فى الصباح أو المساء لمقابلة الموت دون أن تستطيع أن تمنعه نساء أخريات فى الميناء كن يشهدن رحيل أزواجهن غير مكترثات لكنهن ولدن هناك وشهدن وصول جثة الأب والأخ والعم كن يعرفن أن ذلك هو قانون الميناء إن فى الميناء شيئا أسوأ من بؤس المصانع وبؤس الريف هو اليقين بأن النهاية ستكون الموت فى البحر ، فى ليلة غير متوقعة ليلة مفاجئة - يعرفن ذلك كمصير حتمى محدد لا أحد يعارضه إنهن يبكين أبائهن ، وينزعن شعورهن عندما يفرق أزواجهن ، ويندفعن حانقات إلى العمل أو الدعارة بانتظار أن يكبر أبناؤهن ليذهبوا بدورهم إلى الموت كن فى الميناء وكانت لهن قلوب موشومة

ولكن «ليفيا» لم تكن من الميناء لقد جاءت هنا بسبب رجل أحبته تخاف عليه ، وتبحث عن وسيلة لإنقاذه أو على الأقل ، لتموت معه ولا تبكى عليه وإذا غرق ، فإنها تريد أن تغرق معه

العجوز «فرانشيسكو» لا يحفظ إلا حكايات البحر يرويها طوال النهار ، لكن حكاياته مليئة بالفرق والعواصف يحكى بزهو عن الموت الشجاع لأصحاب المراكب الشراعية ويبصق عندما ينطق باسم «إيتو» الذى لكى ينجو بنفسه ترك أربعة رجال يفرقون فى مركبه يبصق بقرف لأن البحار لا يفعل ذلك قط كل ما يرويهِ العجوز «فرانشيسكو» حكايات من هذا النوع لم تكن هذه الحكايات تتلج قلب «ليفيا» بل كانت تزيدها مرارة وتجعل عينيها تغرورق بالدموع كانت لدى العجوز «فرانشيسكو» دائما حكايات جديدة يرويها وأحزان جديدة يتكلم عنها وكانت «ليفيا» فى الغالب تبكى وتهرب إلى غرفتها لكى لا تسمع المزيد العجوز «فرانشيسكو» الذى بدأ يخرف ، يتحدث إلى نفسه ، زاهدا فى الحركة والكلام

لذلك كانت «ليفيا» سعيدة عندما جاءت «إيزميرالدا» لتسكن بجوارها خلاسية جميلة ذات صدر ضخم وردفين ملفوفين :كانت امرأة تتكلم كثيرا وتضحك بصخب ، وتسخر من مصير «روفينو» الذى كان مشدودا إليها بقوة لا تحدث إلا عن الفساتين الجديدة وزيت «البريانتين» والأحذية التى رأتها فى الفاترينة ولكنها تسلى «ليفيا» وتتنزح من ذهنها فكرة الموت هذه وفى أحيان كانت «ماريا كلارا» تأتى أيضا لكن «ماريا كلارا» التى ولدت وعاشت دائما فى المراكب كانت تحب البحر أكثر من أى شئ آخر ، وتحب المعلم «مانويل» أكثر من البحر كان كل ما تريده أن يظل أفضل مراكبى فى هذه النواحي وأن يمنحها طفلا وأن يرحل مع «يمانجا» عندما تحين ساعته

وكانت دونا «دولشى» أيضا عند مرورها بعد الدرس تأتى إلى هناك لتتبادل الحديث قليلا لكن «إيزميرالدا» هى التى تروح عن «ليفيا» أكثر بصوتها المرح وجسدها المتراخى وأحاديثها التافهة كانت تعيش على اقتراض كل شئ تأتى عند «جوما» (كان العجوز «فرانشيسكو» يعلق شفثيه ويفمز بعينه فتبتسم وتقول: «انظروا بركة السمكة العجوز ..») تطلب كل شئ وكان «روفينو» فى مركبه يبحر أحيانا إلى أعلى النهر وأحيانا إلى أسفل النهر ، يمضى ليلة فى بيته ، وأسبوعا خارج البيت وكانت «إيزميرالدا» تسخر من ذلك ذات يوم بينما راحت «ليفيا» تبكى ، قالت لها

- إنك بلهاء ، تولين أهمية كبيرة لرجل دعيه يتخذ له عشيقات أينما يجدهن.
أفعلنى مثلى فانا لا أبالى

- ليس من أجل ذلك لا ، يا «إيزميرالدا» إنى خائفة أن يموت
فى إحدى الرحلات

- ونحن جميعا ألن نموت ؟ لست قلقة إذا مات رجلى سأجد رجلا آخر
لم تفهم «ليفيا» إذا مات «جوما» فسوت تموت هى أيضا ، لأنها بالاضافة

إلى الشعور بفقدانه لم تخلق للعمل الشاق ولا تريد أن تتبع جسدها من أجل
الحصول على لقمة العيش

لم توافق «إيزميرالدا» إذا مات «روفينو» فستجد رجلا آخر وسوف تواصل
حياتها لم يكن الوحيد الذى عرفته فالأول غرق تحت الأمواج ، وزوجها رحل
فى سفينة بضائع نحو بحار أخرى ، والثالث ذهب فى سفينة مع امرأة أخرى
كانت تؤكد ساخرة بأنها تعيش هل كانت تعرف ما سيفعله «روفينو» يوما
وأى نهاية ستكون نهايتها ؟ ما كانت تريده هو زيت «البريانتين» لدهان شعرها
واحذية لشمسى فى الميناء ، وفستان جميل لتغطية ردفها ضحكت «ليفيا» من كل
قلبها ، فقد كانت «إيزميرالدا» تسليها إنها فرصة أن تتخذها جارة لها فبدون
ذلك كيف لها أن تقضى أيامها فى سماع حكايات العجوز «فرانشيسكو»
المأساوية والتفكير فى زوجها يرحل غريفا ؟

عندما يعود «روفينو» بمركبه كانت «إيزميرالدا» تتحول إلى إنسان آخر
فتجلس على حجر الزنجرى وتصبح منادية «ليفيا»
يا جارتى لقد عاد حبيبى الأسمر اليوم سيكون الحساء أشهى كان
«روفينو» مفتونا بها ، يقول البعض إنها تسقيه شرابا سحرىا للمحبة وانها تكتب
لدونا «جانينا» كان روفينو يصحبها إلى السينما وإلى السيرك عندما يأتى
السيرك ، وفى بعض الأحيان يذهبان للرقص فى «نادى المحيط لكرة القدم» الذى
لم يكن ملعبا لكرة القدم ، لكنه مكان لإقامة حفلة يومية السبت والأحد لسكان
الميناء كانا يبدوان سعيدين - وغالبا ما تحسد «ليفيا» «إيزميرالدا» - حتى
عندما يسكر روفينو فى بيته ويوجه الصفعات إلى زوجته لم تكن «إيزميرالدا»
تخاف عليه

ولم يكن قلبها يعرف القلق

فى بعض الأيام ، تظل «ليفيا» تنتظر «جوما» فتقضى كل الوقت على رصيف الميناء تترقب شراع «الباسل» بين الأشرعة التى تدخل الميناء ، وما أن يلوح أحدها وكأنه شراعه حتى يقفز قلبها من الفرحة طلبت من «روفينو» أن يرسم بالوشم على ذراعها البض اسم «جوما» واسم «الباسل» تنظر إلى ذراعها ثم تنظر إلى البحر حتى تتيقن أنها مخطئة ، وأن المركب الذى أتى ليس مركب زوجها وعليها أن تنتظر شراعا آخر أهو الذى يلوح الآن ؟ ويملا الأمل قلبها لا ، ليس بعد كانت أحيانا تضى فترة ما بعد الظهر وشطرا من المساء فى هذا الانتظار وإذا لم يعد فى الوقت المحدد ، وتأخر لسبب أو آخر ، تعود إلى البيت وقلبها مفعم بالمرارة ولا تفلح «إيزميرالدا» فى طمأننتها بقولها

- المصائب تعرف لتوها لو حدث له شئ لعرفنا

لم يكن العجوز «فرانشيسكو» يسليها وهو يفتش فى ذاكرته المتعبة عن حكايات لرجال كانوا يقضون أحيانا شهورا لا يعلم أحد بمكانهم ثم يعودون ذات يوم لا تستطيع النوم يخيل لها أنها تسمع فى حفيف الريح صوت «ماريا كلارا» تغنى

ظل تحت الأمواج

رحل غريقا

سوف أذهب إلى أرض أخرى

لأن حبيبي رحل بعيدا

تحت الأمواج الخضراء

وإذا غلبها النوم وأطبق عليها التعب فى الفراش تتحول أحلامها إلى كوابيس هلؤها البحر والعاصفة وجثث غاصة بسرطان البحر

لم تكن تهدأ إلا عندما تسمع صوت «جوما» وسط الليل أو عند الفجر عندئذ
يصيح في فرح طفولى

- «ليفيا» ! «ليفيا» ! تعالى انظري ما أحضرتك لك
وغالبا ما تراه كانت «إيزميرالدا» أولا ، فتخرج أمام بابها تقبل «جوما»
بعنف ، وتحك ثدييها بجسده وهي تسأل
- ومن أجلى أنا ، ألم تحضر شيئا ؟
- من أجلك أنت ، «روفينو» هو الذى يحضر
- هو ؟ إنه لا يفكر حتى فى أن يأتينى بذيل سمكة مجففة
تخرج «ليفيا» ولا تزال عيناها مغمضتين لا تصدق أنه عاد لكثرة ما رأته
ميتا أثناء الليل

فى يوم جمعة ، دعاها «جوما»
- أتأتين معى غدا يا زنجية ؟ سأنقل حمولة حجارة إلى «مار جراندى»
سيذهب «مانويل» أيضا ، وسوف نسوى نزاعا بيننا
سألكه «ليفيا» خائفة من أن يكون فى الأمر مشاجرة
- أى نزاع ؟
- إنه رهان نجريه ذات مرة ، تراهنا على من يذهب أسرع ، وكسب هو
الجولة كان ذلك منذ وقت طويل ، والآن ، سوف نرى من جديد ستغنين لكى
يجرى «الباسل» بسرعة ابتسمت
- وهل يساعد الغناء ؟
- ألا تعرفين ؟ إن الريح تساعد من يغنى أحسن فى المرة الأخرى ، فاز هو
لأن «ماريا كلارا» كانت تغنى أغنية حلوة . وأنا ، لم يكن معى أحد يغنى .
أحاط زوجته من خصرها ونظر فى عينيها

- لماذا تبكين عندما لا أكون هنا ؟

- كذب ، ألم أقل لك ذلك ؟

- أخبرتنى « إيزميرالدا » والعجوز «فرانشيسكو» أيضا بذلك

اتخافين شيئا ؟

كانت عيناها صافيتين رائعتين كالماء ، ماء النهر الصافى . مررت «ليفيا» يدها

فى شعر «جوما» الطويل

- الأمر يتوقف على . فسوف أذهب فى كل مرة معك فى المركب

- اتخافين من أجلي ؟ إننى أعرف كيف أقود مركبا

- لكنهم يفرقون كلهم

- هناك فى الأعلى نظر نحو أعلى المدينة إنهم يموتون أيضا

إنه نفس الشئ

قبلته «ليفيا» طرحها على السرير ، وأطبق على شفيتها بلهفته المعهودة لهفة

الرجال الذين لايعرفون أين سيكونون غدا لكن «إيزميرالدا» دخلت وأزعجت

بصوتها مداعبات «جوما»

خرج « جوما » لتحميل مركبه . وعند المساء ارتدت «ليفيا» ملابسها بتأنق على

غير العادة ، واستقلت المصعد الكهربى . ذهبت لزيارة عمها وزوجته كانت سعيدة

لأنها فى اليوم التالى سوف ترحل مع «جوما» تمضى معه يومين على ظهر المركب،

ثم تذهب من «مار جراندى» إلى «ماراجوجيب» عاد «جوما» فى نهاية السهرة

كان يعرف أن «ليفيا» قد خرجت ولذلك أمضى وقتا طويلا فى حانة «منارة النجوم»

كان المعلم «بابو» يشكو من إحدى ساقيه ، وكان الدكتور فيلاد لفيو يشرب كاسا

وراء كأس بينما يكتب رسالة لـ «مانىكا وزينيا» توقف «جوما» ليتحدث مع

«إيزميرالدا» التى كانت تنتظر عمدا فى النافذة

- ألا تريد أن تدخل يا جارى ؟

- شكرا يا جارتى .

دعته بابتسامة

- ادخل فالمرء يكون على راحته وهو جالس

رفض . وسرعان ما دخل إلى بيته ، فلن تتأخر «ليفيا» قالت «ايزميرالدا»

- أتخاف منها أم من «روفينو» ؟ إن «روفينو» في رحلة

رمقها «جوما» مندهشا صحيح أنها قبلته وحكت ثدييها به ، لقد اعتادت ذلك، ولكنها لم تتجرأ إلى هذا الحد كانت تدعوه بلاشك ، إنها خلاسية جميلة ولكنها صديقة «روفينو» ، صديقة العزيز ، وهو لا يستطيع أن يخون «روفينو» ولا «ليفيا» قرر «جوما» أن يتصرف وكأنه لم يسمع ولم تكن هناك ضرورة لذلك فقد كانت «ليفيا» تصعد الشارع قالت «ايزميرالدا»

- سيكون ذلك في يوم آخر

- حسن

في هذه اللحظة كان يبحث عن الحب الحب الذي نغصته «ايزميرالدا» في الصباح الحب الذي لم يستطع الحصول عليه من قبل ، لأن الصداقة تمنعه الصداقة أم «ليفيا» التي وصلت ؟ راح «جوما» يفكر كانت «ايزميرالدا» خلاسية تجعلك تغرق فيها ومستعدة أن تمنحه نفسها إنها صديقة «روفينو» ، و«روفينو» صديق «جوما» وأسدى له خدمات ، لقد كان شاهدا على زواجه

و«جوما» لديه أجمل امرأة في الميناء لم يكن في حاجة إلى امرأة أخرى لديه المرأة التي يحبها ، فهل كان في حاجة إلى جسد «ايزميرالدا» الغصن ؟ وردفي ايزميرالدا اللذين يهتزان وثدييها اللذين ينتصبان تحت قميصها وعينيها الخضراوين ؟ إنها خلاسية ذات عيني خضراوين ، ماذا يفعل «روفينو» إن خانتته «ايزميرالدا» مع «جوما» ؟ سوف يقتلها بكل تأكيد ، ثم يدخل في الأمواج دون حاجة إلى بواب ، وسوف تشرب «ليفيا» السم ، إن عيني «ايزميرالدا» خضراوان. أعلنت «ليفيا»

- سوف يبرد الطعام
فليبرد أخذها إلى غرفة النوم
- أرينى شيئا

كان يرتعش فى السرير لدية أجمل امرأة فى الميناء ، ولن يخون صديقه أبدا .

بدا الصباح مشرقا مشمسا ، فشهرا أكتوبر من أجمل الشهور فى الميناء ، لم تصبح الشمس حارقة بعد ، والصبح مضى ندى ، صبح بلا أسرار ومن المراكب القريبة تفوح رائحة الفواكة الطازجة فى طريقها إلى السوق المعلم «بابو» يشتري «أباكاشى» (١) ليصنع منه خمرا ممتازة لزبائن «منارة النجوم» مرت زنجية تحمل دلو عصيدة وأخرى تبيع «المونجونزا» (٢) اشترى العجوز «فرانشيسكو» شيئا من العصيدة ، رحل مركب بحمولة وخرج مركبان للصيد ، كان الصيادون عرايا حتى الخصر بدأ السوق يموج بالحركة بعض الناس يهبطون بالمصعد الذى يربط المدينة العليا بالمدينة السفلى

وقف المعلم «مانويل» عند رصيف الميناء ، وكانت «ماريا كلارا» ترتدى ثوبا من الشيت الأحمر وتعقص شعرها بشريطة اقترب منها «فرانشيسكو» الذى ينهض دوما مبكرا

- سترحلان يا معلم ؟
- إنى انتظر «جوما» إنه كعريس جديد يأتى متأخرا
- لقد مضى الآن خمسة أشهر
- قالت «ماريا كلارا»
- يخيلى للمرء أن ذلك حدث بالأمس

(١) نوع من الأناناس

(٢) نرة مسلوقة محلاة بالسكر

- إنهما متفاهمان جيدا وهذا ما ينبغى أن يكون
عندما وصلا كانت «ليفيا» متورمة العينين من ليلة بلا نعاس ، و«جوما» متعب
الذراعين موقنا من خسارة الجولة
- ضاع الرهان إننى متعب
ضحكت «ليفيا» ببراءة وضغطت على ذراع زوجها
- حسن
قال المعلم «مانويل»
- إنك لست متعجلا
بدأت «ليفيا» حوارا مع «ماريا كلاريا» التى قالت
- إنك تزدادين سمنة ، حذار
- لا لاشئ
- يخيل لى أننا سنشهد قدوم معلم جديد للمركب
احمرت «ليفيا» خجلا
- لا معلم ولا مراكبى لا نهتم بذلك المال يكاد أن يكفى اثنين
قالت «ماريا كلارا»
- هذه هى المسألة لكننى أقول إن «مانويل» عندما يريد ذلك فإننى سأريده
أيضا إننى أخاف فقط أن تكون بنتا
أبحر المعلم «مانويل» وذهب العجوز «فرانشيسكو» ليلتحق بجماعة فى السوق
لكنه قبل أن يذهب نصح «جوما»
- حول الجزيرة حاول أن تكسب أرضا إن «مانويل» ليس قويا فى هذه
المناورات
- أجابة «جوما» الذى كان واثقا من الخسارة
- كن مطمئنا
وفى السوق راحوا يتراهنون راهن الكثير على المعلم «مانويل» ولكن

«جوما» كان له معجبون منذ إنقاذ السفينة « كانا فييراس» وبالأخص بعد حادثة «تيريرا» التي ذاعت فى الحال فى الميناء

أبحر المركب «مسافر بلا مرفأ» فى المقدمة كانت الريح مواتية فتقدم على الفور باتجاه حاجز الأمواج انتهى «جوما» من رفع هلب «الباسل» وتأكدت «ليفيا» من صلاحية الشراع ومن ناحية حاجز الأمواج كان صوت «ماريا كلارا» يغنى

اجر اجر يا مركبى

اجر ، اجر مع الريح

عند حاجز الأمواج كان «مسافر بلا مرفأ» ينتظر فالسباق يبدأ من هناك قام «الباسل» بمناوراته الأولى ، وفى الميناء وقفت جماعة تترقب الأمر استجاب مركب «جوما» للريح ونشر شراعه كان بجانب «مسافر بلا مرفأ» تقريبا ثم انطلق المركبان تقدم المعلم «مانويل إلى الأمام قليلا راحت «ماريا كلارا» تغنى.

أحس «جوما» بساعديه متعبين ، وشعر بجسده منهكا، بينما تمددت «ليفيا» إلى جواره الريح تحمل صوت «ماريا كلارا

اجر اجر يا مركبى

اجر ، اجر مع الريح

غنت «ليفيا» أيضا، بالغناء وحده يغذى الريح والبحر كانت أصواتا جميلة، أصواتا من الميناء تقدم للبحر ، وانطلقت «ليفيا» تغنى

اجر اجر يا مركبى

اجر ، اجر أسرع من الريح

كانت تداعب «الباسل» والصبح الصافى ينعكس على المياه الزرقاء وأخذ «جوما» يتخلص شيئا فشيئا من الشعور بتعب ليلة الحب وأخذ يحث مركبه ويحث

الريح أصبح المركبان على نفس الخط تقريبا قال المعلم «مانويل» :

- سيكون الأمر صعبا . يا ولد .

جزيرة «ايتاباريكا» مجرد بقعة خضراء فوق البحر الأزرق المياة ساكنة فى هذا الموقع لدرجة أن المرء يستطيع رؤية الأحجار فى قاع المياه ولا بد أن هناك محارا أيضا بسبب حكاية المحار والخزانة تشاجر «جوما» ذات يوم مع «فيلا دلفيو»

كان يعشق «ليفيا» ولا يفكر إلا فى امتلاكها ، واليوم ، هل يفكر مثلا فى شىء آخر ، لقد خرج توا من ليلة حب ، وفى هذا السباق لا يفكر فى الفوز ، بل يفكر فى أن يأخذها من جديد بين ذراعيه ويضمها بقوة صوت «ماريا كلارا» يجتاز الحاجز

- تمددى هنا يا «ليفيا»

- بعد أن تكون قد كسبت

تعرف «ليفيا» أنها إذا رقدت بجانبه فلن يفكر فى الدفة أو السباق أو سمعة مركبه لن يفكر إلا فى الحب المركبان دائما على نفس الخط تدفعهما الريح من سيصل أولا ؟ لا أحد يعرف راح «جوما» يبذل كل جهده ، و«ماريا كلارا» تغنى، أخذت «ليفيا» تغنى ، وتقدم «الباسل» أكثر قليلا لكن المعلم «مانويل» بذل بعض الجهد فتقدم «مسافر بلا مرفأ» وتجاوز «الباسل»

الآن وصلا إلى المنحنى حيث تبرز الصخور فوق وجه الماء قام المعلم «مانويل» بمناورة إلى اليمين ليدير حول المنحنى إنه دائما فى المقدمة ولكن «جوما» فعل شيئا لم يسمع به أحد من قبل قفز من فوق الصخرة لدرجة أن وجه المركب احتك بالصخرة عندما خرج المعلم «مانويل» بمركبه من المنحنى كان مركب «جوما» قد سبقه ، فى ميناء «مارجراندى» الصغير البائس، هنا الصيادون البطل على مثل هذا الانجاز الصعب إنهم لم يروا مثل ذلك أبدا لم يروا قط اجتياز المنحنى بمثل هذا الاقتراب من الصخور صياد عجوز واحد لم يكن موافقا :

- لقد فاز ولكن الآخر هو أحسن بحار إن البحار لا ينبغي أن يخاطر
بمركبه فوق الصخور

لكن الشباب لم يرغبوا فى سماع الكلام المتعقل، راحوا يشجعون «جوما»
تذمر العجوز وانصرف رسا المركب على الشاطئ بعد ذلك مباشرة وصل
المعلم «مانويل» الذى قال

- نحن متعادلان فى المرة الأخرى كسبت أنا الشوط الأول واليوم أنت
الذى كسبت

ووضع يده على كتف «جوما» وأردف:

- ولكن تذكر أن أحدا لا يكرر مرتين ما فعلته اليوم ، فى المرة القادمة ، سوف
يغرق المركب

لم يسمع «جوما» وقال

- أمر سهل

ابتسمت «ليفيا» ومزحت «ماريا كلارا»

- وذلك الذى سوف يولد ، أعليه أن يفعل ذلك ؟

بدا الجد على «ليفيا» التى كانت تفكر بأن ابنها لن يفعل أبدا مثل هذا الشئ ،
ومع ذلك وحتى دون إرادتها كانت ترى ذلك جميلا تراه مصيرا جديرا
بالرجال.

قام «جوما» والمعلم «مانويل» بتفريغ حمولة المركبين سوف يقومان
بتحميلهما من جديد ويذهبان إلى «مارا جوجيب» ومن هناك يعودان بحمولة
سيجار وتبغ إلى «باهايا» سوف يقومان بهذه الرحلة معا رحلة جميلة فى هذه
الشهور الرديئة التى يقل فيها التهريب

سارت «ماريا كلارا» و «ليفيا» بطول الشاطئ الذى هو الطريق الوحيد لمار

جراندى المنازل من القش والرجال يتجولون بسرراويلهم المشمرة وأذرعهم الموشومة يبيعون السمك هنا فى «مارجراندى» احتفالات الكاندومبليه وكهنتها يحظون بالاحترام هناك بضعة منازل مشيدة بالأحجار فى منطقة المصطافين إنها بلدة صيادين كل صباح تخرج المراكب للصيد وتعود بعد الظهر فى حوالى الرابعة فيما مضى كانت مراكب الصيد هذه تحضر المصطافين من المدينة، واليوم يقوم بهذه المهمة زورق انقاذ

إنه شهر أكتوبر ولا تزال الرياح الجنوبية الشرقية تهب لكن عندما يحل الصيف يأتى معه بالنسيم والرياح الشمالية الشرقية اللطيفة وعندما يأتى المصطافون فعليهم أن يتركوا أنفسهم للصيادين ليحملوهم فوق الصخور حيث لا يخاطر الزورق فالمراكب الشراعية وحدها التى تستطيع المرور هناك ما من مكان تشتد فيه العواصف أقوى من هذا الركن من «مارجراندى»

كانت «ليفيا» تفكر فى ذلك وهى تعبر الميدان وهو الشارع الوحيد فى البلدة.

أما «ماريا كلارا» فظلت صامتة ، ومن وقت لآخر تلتقط «ليفيا» محارة من

الشاطئ وتعل ذلك بقولها

- إنها من أجل عمل إطار لصورة

وتقابلان فجأة نساء العجر ورأيتا رجلا غجريا يقرع إناء ثم صارت الفجريات أربعا ، قدرات يتحدثن لغة غريبة ، كأنهن يتشاجرن فيما بينهن سألت «ماريا كلارا»

- أنجعلهن يقرأن لنا الكف ؟

بدت الدهشة والخوف على «ليفيا»

- لماذا ؟

هرولت الأخرى نحو الفجريات دون انتظار جواب « ليفيا» أخذت عجوز كف

«ماريا كلارا» بدأت تتنبأ

- ادفعى أربعمائة رايس وأتنبأ لك بكل شئ الحاضر والماضى والمستقبل.

وطلبت أخرى من «ليفيا»

- أترغين أن أقرأ لك الطالع ؟

- لا

تدخلت «ماريا كلارا»

- انه مجرد «كروزارو» واحد ايتها الغبية تعرفين كل شئ بعد ذلك

دفعت «ليفيا» قطعة النقود ومدت يدها قالت العجوز لماريا كلارا

- اننى أرى رحلة ستقوم السيدة برحلات كثيرة وسترزق بأطفال كثيرين..

قلت «ماريا كلارا» وهى تبتسم

- لتسمع منك «جانينا» !

تضع العجربة الأخرى قرطا كبيرا فى أذنها ، أنبأت «ليفيا»

- سوف تجتازين لحظة عصبية فيما يتعلق بالمال ، ولكن ذلك سيكون أسوأ

موقف ، بعد ذلك سيشهد زوجك كثيرا من الرخاء لكنه سيواجه أخطارا كثيرة.

ارتعبت «ليفيا» بينما تابعت العجربة

- إن اعطيتنى ألف «رايس» درأت الخطر

واقترضت «ليفيا» التى ليس معها نقود المبلغ من «ماريا كلارا» وأعطته

للعجربة التى تمتمت بدعوات غريبة ثم ذهبت الجماعة التى بدأت ترطن من جديد

بهذه اللغة الغريبة فى أحاديث متقطعة ضحكت «ماريا كلارا»

- تقول المرأة اننى سوف أرزق بدسته أولاد سوف يجن «مانويل» إننى أريد

ذلك سوف نصحبهم جميعا فى المركب

كانت كلمات العجربة ماتزال تتردد فى أذن «ليفيا»

- سيكون الأمر خطيرا

فى أى أمر خطير سيتورط «جوما» ؟ من المؤكد أنها تقصد حياة الميناء .

يمتد الشاطئ فى «مارجراندى» إلى مالا نهاية رجعتا إلى الميناء كان
الركبان قد أفرغا حمولتيهما أعدتا الطعام وقامتا بقلى السمك كان «جوما»
والعلم «مانويل» يضحكان ورائحة السمك المقلى تملأ أنفيهما بعد الأكل ، عادا
ليشحنا المركبين

وعند هبوط المساء رحلوا ظل البحر هادئا فى طريق «مارجراندى» الوعر
ومن المراكب الشراعية يستمعوا إلى موسيقى وأغنيات بلغة الغجر الغربية
أغنيات عذبة لكنها حزينة ، قال «جوما» يخاطب «ليفيا»

- كأن هذه الموسيقى لاتفصح إلا عن الشقاء

خفضت «ليفيا» رأسها ولم ترد وفى السماء كانت هناك
نجوم لا تحصى.

طريق «مارجراندى» طريق وعر ، ولذلك تتقدم المراكب الشراعية عبر الجنادل
بحذر غرق الكثير من البحارة هناك ، وفى ليلة من ليالى العاصفة سقط «جاك»
وأبوه «رايموندو» عثر «جوما» على الجثتين عند عودته من «كاشويرا» تشبث
العجوز بقميص الابن كان بلاشك ، يريد إنقاذه وصارت «جوديث» أرملة فى تلك
الليلة كانت «ليفيا» تنتظر على رصيف الميناء عندما أخبرها «روفينو» بموت
«جاك» إن حماة «جاك» هى التى استضافتها عندما هربت من بيت عمها مع
«جوما» لقد أغرقت جنادل البحر الكبير «جاك» وأباه ياله من طريق وعر طريق ذلك
البحر الكبير الطريق الذى تقطعة عشرات المراكب كل يوم

كانت الفجرية قد قالت لليفيا إن شيئا خطيرا سوف يحدث ، أى طريق جديد
سيسلكه «جوما» فى البحر الكبير ؟ لقد أصبحت حياة «ليفيا» مليئة باليأس
والقلق! فعندما يذهب بمركبه «الباسل» نحو البحر الكبير لا يخفق قلبها إلا بالشؤم،
قالت لها «ماريا كلارا» إنها بذلك تسبب الشؤم لجوما .

طريق البحر الكبير طريق وعر ابتلع الكثير من الجثث سيحل يوما دور «جوما» ، لكن قبل ذلك ، كما قالت العجربة ، سيكون عليه أن يقوم بأعمال خطيرة، أمن اللازم ألا يبحر إلا فى البحر الكبير ؟ من يدري بما سيحدث ؟ حتى العجريات اللاتي لايعرف أحد من أين جئن أو إلى أين يذهبن هؤلاء اللاتي يسمعن صوت البحر فى القوقعة ، لا يعرفن

جلبت «ليفيا» من البحر الكبير حفنة من المحار ، صنعت منها إطارا لصورة «جوما» مستندا إلى شجرة فى الحديقة تحت المصعد ، وصورة أخرى يظهر فيها مع «الباسل» أرسلتها «ليفيا» فى مظروف إلى «جانينا» تطلب منها ألا تأخذ معها من سيصبح أبا لابنها لقد كانت «ماريا كلارا» على صواب ففى أحشاء «ليفيا» جنين يتحرك ، مخلوق سيسلك يوما - وهذا هو المصير - طريق البحر الكبير

إيزمير الدا

ذهبت «ليفيا» أولا إلى الدكتور «رودريجو» فهو يوصى دوما النساء الحوامل بأن يعرضن أنفسهن عليه ، حيث لاينفقن شيئا فى العلاج ويتم ولادتهن بسهولة ويقال فى الميناء إنه كان أحيانا لا يمتنع عن القيام بدور عزرائيل فالكثيرات كن يجهضن بمعاونة الدكتور «رودريجو» سألته دونا «دولشى» ذات مرة إن كان ذلك حقيقيا

- نعم حقيقى فهؤلاء المسكينات يعانين كثيرا ويشكين من الجوع ويرين أزواجهن يموتون فمن المنطقى أن كثيرات منهن لم يعدن يرغبن فى الإنجاب فى بعض الأحيان يكون لهن من الأطفال ثمانية أو عشرة ولايستطعن اطعامهم ويأتين ليطلبن منى ما الذى يتوجب على فعله ؟ اتركهن يجهضن بواسطة المشعوذين ؟ سيكون ذلك أسوأ

أرادت دونا «دولشى» أن تجيب بشئ ولكنها صمتت ، فقد كان على صواب خفضت رأسها ، كانت «دولشى» تعى جيدا أن إجهاض نساء الميناء لأنفسهن

ليس خطيئة وإذا كن يفعلنه فذلك حتى لا يضطرون إلى إلقاء أطفالهن فى حوانيت الميناء يعملون منذ سن الثامنة ، فالمال يعوزهن دائما ، كان الدكتور «رود ريجو» محقا ، ولكن غريزة الأمومة المعطلة عند دونا «دولشى» هى التى تتكلم إنها تحلم بذراعى رضيع تتحركان بشعر أشقر وأصوات متلعثمة قال لها الدكتور «رود ريجو»

- علينا أن نأخذ الأمور على علاتها إننى لا انتظر معجزات

ابتسمت

- معك حق ولكن هذا مؤسف

ومع ذلك ، لم تذهب «ليفيا» إلى الدكتور «رود ريجو» لتسقط الطفل من بطنها ذهبت إليه لتعرف إن كل الحمل حقيقيا لأنه حمل حديث وبطنها لم ينتفخ بعد ، أكد لها الدكتور أن الحمل حقيقى وأنه مستعد للعناية بها حتى تكون الولادة سهلة ويكون الطفل قويا إنها على أى حال لاتريد أن تجهض نفسها ، والدكتور «رود ريجو» يعرف تماما أنهم لا يجهد أنفسهم فى الطفل الأول

عاد «جوما» فى منتصف الليل ووضع الأشياء التى يحملها فى ركن وعرض على «ليفيا» الهدية التى جاء لها بها لقد كسب رهانا ، قطعة قماش من بحار فى شركة «للويد البرازيلية» كانت سفينته راسية فى الميناء بسبب عطل أصاب ماكيناتها انتهب البحار الفرصة فذهب ليرى أسرته فى «كاشويرا» ذهب إلى هناك فى مركب «جوما» الذى كان على وشك الرحيل حدث ذلك منذ ثلاثة أيام - وراهنه على أنه لن يسبق إحدى سفن الشركة الباهيانية التى كانت ذاهبة فى نفس الاتجاه ، وكسب «جوما» الرهان

- كان فى ذلك بعض المخاطرة لكننى وجدت قطعة القماش جميلة كان قد

أحضرها لإحدى قريباته

قالت «ليفيا»

- لن تكرر فعل ذلك أبدا
- ليس ذلك مهما
- أجل
- عندئذ فقط أدرك «جوما» أنها تتكلم بجد
- ما بك ؟
- أنا أيضا عندي لك هدية
- ماذا ؟
- ادفع البقشيش أولا
- أخرج مانتى رايس من جيبه
- هاقد دفعت
- اقتربت منه كثيرا وقالت له
- سيكون لنا طفل
- قفز «جوما» من السرير لم يكن قد خلع كل ملابسه خرج مسرعا سألته
- «ليفيا»
- إلى أين ؟
- طرق باب «روفينو» وأعاد الطرق كثيرا وعندما سمع حركة الناس
- يستيقظون ، دهش هو نفسه من مجيئه لإيقاظهم فى مثل هذه الساعة من الليل
- لمجرد اخبارهم أن «ليفيا» سوف ترزق بطفل سمع «روفينو» يسأل
- من هناك ؟
- إنه واحد من البيت «جوما»
- فتح «روفينو» الباب كانت عيناه منتفتحتين من النوم ظهرت «إيزميرالدا»
- ملتفة فى ملاءة ، على باب الغرفة
- هل حدث شئ ؟

ظل «جوما» مرتبكا فمن أجل أمر تافه جاء يوقظهم كرر «روفينو»

- ماذا حدث يا أخی ؟

- لاشئى لقد وصلت توا ومررت لأراكم

لم يفهم «روفينو»

- حسن إن كنت لاتريد قوله

- إنه شئى تافه

لم تىأس «إيزميرالدا»

- حل لسانك فى الحال ، قل كل شئى مرة واحدة

- سوف ترزق «ليقيا بطفل

- الآن ؟ سأل «روفينو».

تضايق «جوما»:

- كلا خلال بعض الوقت. ولكنها اليوم عرفت أنها حامل.

- أه.

نظر «روفينو» إلى الخارج، فى ظلام الليل. وأتت «إيزميرالدا» بإشارة وداع

إلى «جوما»:

- غدا، سوف أوبخ هذه المرواغة. لقد كانت تنكر الحمل.

خرج «روفينو» ومشى صامتا بجانب «جوما».

- هيا نشرب نخباً فى «منارة النجوم» احتفالاً بذلك...

شربا ، ليس كأسا واحدة بل كنوسا كان فى الحانة أناس كثيرون بحارة ومراكبية وعمال أرسفة. وفى آخر الليل أعلن «روفينو» وقد أصبح مخمورا تماما:

- يا أصدقاء، سوف نشرب كأسا. احتفالاً بمناسبة سوف تحدث لزميلى

«جوما».

نظر الآخرون وهم يملأون كنوسهم. تقدمت امرأة نحيفة تسأل «جوما»:

- ما المناسبة؟

لم تكن مخمورة. أجبها «جوما»:

- سوف ترزق زوجتى بطفل.

- ما أجمل ذلك !...!

شربت قليلا من البيرة من كأس ثم عادت إلى ركنها نحو الرجل الذى استأجرها لتلك الليلة. قبل أن تخرج نظرت ثانية إلى «جوما» وهى تبتسم وقالت:
- أتمنى لها السعادة.

وفى الصباح ، عادا إلى البيت.

أعلن «جوما» الخبر لكل معارفه - الكثيرين - المنتشرين فى كل موانئ الخليج. قدموا له هدايا من أجل المولود القادم وتمنى أغلبهم له السعادة ذهب «إيزميرالدا» إليه صباح اليوم التالى. أحدثت كثيرا من الصخب روت حكايات كثيرة وأكدت أنها سعيدة كما لو كان الأمر يتعلق بها شخصيا وعندما دخلت «ليفيا» إلى المطبخ لتعد القهوة تجرأت:

- أنا لا أجد رجلا ينجب منى طفلا أننى سيئة الحظ حتى فى ذلك... لم يجعلنى أحد أحمل طفلا.

وكشفت عن جزء من فخذها وهى تضع ساقا على ساق ابتسم «جوما»:

- ليس عليك إلا أن تطلبى ذلك من «روفينو».

- هو؟ لا أريد طفلا أسود. إننى فى حاجة إلى طفل من شخص أكثر بياضا

منى من أجل تحسين النسل...

كانت ترمق «جوما» كما لو كانت تريده أن يفهم أنه هو الذى يستطيع أن يمنحها الطفل كانت عيناها الخضراوان تقولان ذلك أيضا لأنهما تحدجان «جوما» فى توسل غريب وكانت شفاتها منفرجتين وصدرها منتفخا. ظل «جوما» مرتبكا للحظة ثم اشتهاها بكل قواه لكنه تذكر «روفينو» و«ليفيا».

- و«روفينو»؟

انتصبت «إزميرالدا» واقفه وصاحت على «ليفيا»:

- سأنصرف يا جارتى لدى عمل كثير، سأعود فيما بعد.

كان وجهها مضرجا بالغضب والخجل خرجت مسرعة قالت وهى تمر بالقرب

من «جوما»:

- لاتصلح لشيء!

ظل جالسا ورأسه بين يديه أى شيطان هذه المرأة! إنها تدفعه بكل قواها لأن يرتكب إثما عليه أن يحكى كل شيء لروفينو، أن يخبره بالحقيقة. لكن أليس من المحتمل ألا يصدقه؟

أليس من المحتمل أن يتعارك معه؟ إن «روفينو» مفتون بالخلاسية ولن يفيد شيئا إن أخبره لكنه لن يذهب معها ولن يخون صديقا والأسوأ من ذلك أنها عندما تغريه وتنظر اليه بعينها الخضرواين لايعود يرى شيئا لا «روفينو» الذى أسدى له خدمات ولا «ليفيا» الحامل، لا يرى إلا جسد الخلاسيه ونهديها المنتصبين وردفيها المكتزين، الجسد الذى يدعوه والعينين اللتين تدعوانه. إن أغنيه من البحر تحدث عن الرجال الذين يغرقون تحت أمواج البحر الخضراء. كذلك عيني «إزميرالدا». كأنه سيفرق فى عينها الخضرواين. إنها تغويه وتشتيه. يتزاقص جسدها أمام عيني «جوما» وهى التى قالت له: «لا تصلح لشيء». تعتقد أن «جوما» غير قادر على امتطائها وغير قادر أن يجعل جسدها يتأوه من الحب. أه! ولكن على «جوما» أن يريها سوف تتأوه كثيرا لابد أن تقر وتعترف أنها كانت مخطئة. مادخل «روفينو» إن كانت تشتيه؟ أما «ليفيا» فلن تعلم ذلك مطلقا. دخلت «ليفيا» حاملة ابريق القهوة ولاحظت وجه «جوما» المضطرب:

- ما بك؟

إنها حامل وبطنها يتكور كل يوم أكثر؟ تحمل ابنه هو «جوما» وهى لاستحق أن يخونها. والمسكين «روفينو» الطيب، الذى ظل دائما بجانبه، منذ طفولته؟ كان يرى فى الفنجان عيني «إزميرالدا» الخضرواين وثديها المنتصبين كثدي «روزا

بالميراو، فكر فى انه لابد أن يكتب إلى «روزا بالميراو» يخبرها بقرب ميلاد الطفل ومع ذلك لم تتغير أفكاره. ظل وجه «إيزميرالدا» مائلا أمامه. هرب «جوما» نحو رصيف الميناء ليقبل الذهاب بحمولة تبغ إلى «ماراجوجيب» حتى لو لم يكن هناك شئ يحمله فى طريق العودة.

من «ماراجوجيب»، ذهب إلى «كاشويرا» انتظرتة «ليفيا» نون جدوى يوما وليلة، وانتظرتة «إيزميرالدا» أيضا كانت تشتتية بعنف. كانت ترغب فى هذا البحار الأبيض تقريبا الذى اشتهر بالشجاعة. وترغب فيه بالأخص لأن «ليفيا» السعيدة تختلف عنها تماما وتهتم كثيرا بسعادة زوجها، لذلك تريد من كل قلبها أن تطعنها فى الصميم.

تعرف «إيزميرالدا» أنه سوف يعود عليها أن تفعل كل شئ من أجل ذلك، وأن تغويه بكل وسيلة.

وصل «جوما» بعد يومين من التأخير ورأى «إيزميرالدا» تنتظره فى النافذة!

- لقد اختفيت !!

- ذهبت فى رحلة لنقل التبغ

- اعتقدت زوجتك أنك هربت...

ضحك «جوما» بطريقة آلية.

- اعتقدت أنك خائف.

- مم أخاف؟

- أن ترانى

- لا أفهم لماذا

- ألا تذكر إهانتك لى؟...

كان نهدها المنتصبان يظهران من تحت فتحة القميص.

- سوف ترين ذات يوم..

- ماذا؟

هرب «جوما» من جديد، وإلا كان قد دخل عندها لتوه ولم يدعها تخرج من الغرفة. وإذا حدث ذلك هناك فسوف تسمع «ليفيا».

- لقد تغيرت وقتاً طويلاً أسبوعاً تقريباً لنذهب إلى «ماراجوجيب».

- هل ظننت أنني هربت؟

- هل جننت؟

- ذلك ما قالوه لى.

- من الذى اختلق ذلك؟

- «إيزميرالدا» تكلمت معى.

- أنت أيضاً، قبل أن تصل إلى البيت، تتحدث مع الجارة، أليس كذلك؟

الغريب أنه لم يكن فى صوتها أى غضب، بل طيف من الحزن. فجأة، ودون أن

يدرى ، بدأ يدافع عن «إيزميرالدا»!

- إنها تمزح. لقد تبادلنا تحية الصباح، إنها تتكلم عنك بالخير إنك صديقتها

الحميمة وهذا طيب لأننى أحب الزنجى «روفينو».

- ولكنه لا يحبك أبداً.

اعترف «جوما» مرغماً:

- لقد لاحظت ذلك...

لم يعد يفكر بأن «إيزميرالدا» كانت عشيقته. كان يحق على الخلاسية لأنها لم

تستجب لتعلق «روفينو» بها.

- لقد لاحظت ذلك واليوم الذى سيفهم فيه «روفينو» سيكون وبالاً عليها

قال العجوز «فرانشيسكو» الذى عاد لقوله

- كف عن الكلام عن الآخرين

كان «فرانشيسكو» مخموراً ، ونادراً ما كان يحدث ذلك وراح يصطحب معه

«فيلادفينو» للعشاء . لقد قابل «الدكتور» فى «منارة النجوم» مفلساً تماماً وبعد

أن شرباً معاً بكل ما يملكه العجوز اصطحبه للعشاء

- هناك من الحساء ما يكفى لشخص زائد اكل

صافح «فيلاذفيو» «جوما» وقال

- إذا كان هناك ما نتناوله فلا داعى لاضافة الماء إلى الفاصوليا وضحك كثيراً

من فرحته وضحك الآخرون أيضاً قدمت «ليفيا» الطعام

السّمك الأزلى الفاصوليا باللحم القديد حكى «فيلاذفيو» فى وسط

الوجبة حكاية الخطاب والمشاجرة حول موضوع «المحارة» أو «الخزانة» وسأل

«ليفيا»

- أليست «خزانة» أجمل بكثير ؟

انحازت إلى «جوما»

- إننى أرى أن «محارة» أفضل

بدا «جوما» مرتبكاً لم تكن «ليفيا» تعرف أن الخطاب كتب بالمشاركة أحم

«فيلاذفيو»

- انظرى جيداً إلى خزانة ذهبية هل سبق أن وقعت عينك على خزانة

ذهبية ؟

بمجرد أن انصرفا ، بدأ «جوما» يشرح حكاية الخطاب ارتمت «ليفيا» على

عنقه.

- اقلل فمك أيها التعس فأنت لم تحبنى قط

حملها إلى غرفة النوم احتجت

- لا ، ليس بعد الأكل

وفى منتصف الليل أحست «ليفيا» بالألم . كانت معدتها تقررر وكأنها

ستموت حاولت أن تتقيأ لكنها لم تفلح تقلبت فى السرير لاهثة وكل بطنها

تؤلها .

- هل سألد الصغير؟

خرج «جوما» مذعورا وأيقظ «إيزميرالدا» - كان روفينو فى رحلة - بركلات من قدمه على بابها - سألت: من الطارق؟
- «جوما»

خرجت وسحبته من يده إلى الداخل
- «ليفيا» على وشك أن تموت يا «إيزميرالدا» ألم بها شئ توشك أن تموت

ماذا دخلت «إيزميرالدا» إلى غرفتها ساتى بمجرد أن أغير ملابسى

- إبقى معها سأذهب لآتى بالدكتور «رودريجو».
- يمكنك أن تذهب سوف أبقى معها
وعند ناصية الشارع رأى «إيزميرالدا» تعبر المساحة الموحلة التى تفصل بين البيتين

سأله الدكتور «رودريجو» عما حدث ثم طمأنه
- الأمر ليس خطيراً إن ذلك بسبب الحمل
نجح «جوما» فى العثور على العجوز «فرانشيسكو» جالساً إلى إحدى موائد «منارة النجوم» يشرب مع «فيلادفيو» ويقص الحكايات لبعض البحارة وفى الحانه كان أحد العميان يعزف على قيثارة أنتزع «جوما» «فرانشيسكو» من سكرته

- «ليفيا» على وشك الموت
حفظت عينا العجوز «فرانشيسكو» وهم بأن يخرج مندفعاً فمنعه
«جوما»

- كلا لقد ذهب الدكتور ليراها توأ ستذهب إلى المدينة العليا لتنادى أهلها هيا بسرعة .

- أريد أن أراها -

كان العجوز «فرانشيسكو» يتكلم بصوت مخنوق.

- لقد قال الدكتور إن الأمر بسيط

ذهب العجوز «فرانشيسكو» وعاد «جوما» إلى البيت وقد استبد به الخوف يجرى تارة ويبطئ من خطواته تارة مخافة أن يجدها ميتة فيفقدتها هي وابنه دخل البيت مثل لص كان المصباح الزيتي في الغرفة حيث تنبعث الأصوات رأى «إيزميرالدا» تخرج مسرعة وتعود بإناء ماء وقطعة قماش لم تكن لديه الشجاعة ليقترب خرج الدكتور «رودريجو» فلاحقه «جوما» في الردهة

- كيف صارت حالتها يا دكتور ؟

- لم يحدث شيء لو لم تستدعني في الحال لاشتد الخطر ولكانت قد اجهضت والآن فإنها في حاجة إلى الراحة تعال غداً إلى المنزل سوف اعطيك دواء لها ابتسم جوما بفنه وعينه

- إذن فهي لا تشكو من شيء ؟

- كن مطمئنا إنها تحتاج إلى راحة.

دخل جوما إلى غرفة النوم وضعت «إيزميرالدا» إصبعها على شفتيها لتطلب منه الصمت كانت جالسة على طرف السرير تداعب رأس «ليفيا» التي تلتفت فرأت «جوما» وابتسمت

- ظننت أنني سأموت

- الطبيب يقول إن الأمر بسيط ينبغي أن تنامي

طلبت منه «إيزميرالدا» أن يخرج فانسحب عبر «إيزميرالدا» في هذه اللحظة عن رغبته في أن يداعبها ، لكن دون أن يرغب في امتلاكها لقد كانت طيبة مع «ليفيا» .

دخل إلى الصالة المعتمة كانت الشبكة ممدودة من ركن الغرفة إلى الركن الآخر تمدد واشعل غليونه وسمع خطوات «إيزميرالدا» الخفيفة عندما خرجت بالمصباح من الغرفة حدس أنها تمشى على أطراف أصابعها. لابد أن جسدها يتراقص مثل مركب شراعى لأنها تمشى على أطراف أصابعها ولا بد أن ردفها يتميلان مثل ملاح إنها خلاسية وكفى وضعت المصباح فى غرفة الطعام واقتربت من «جوما».

سمع خطواتها الخفيفة الرغبة شيئاً فشيئاً كانت أنفاس ليفيا المتقطعة تصل إلى هناك ولكن خطوات «إيزميرالدا» ازدادت اقتراباً وطفى وقعها على صوت تنفس «ليفيا»

- قالت «إيزميرالدا»

- إنها نائمة

استندت على حبال الشبكة وازدادت

- لقد خفت ، أليس كذلك ؟

- إنك متعبة ، لقد ايقظتك

- فعلت ذلك من أجلك

جلست فوق الشبكة لمست ساقها ساقى جوما وفجأة التصقت به وأخذت تقبله وتعض شفثيه اخذا يتقلبان فى الشبكة وامتلكتها دون أن يعربها أو يفكر فى ذلك ايقظ احتكاك الشبكة «ليفيا».

- جوما

ازاح «إيزاميلدا» جانبا وجرى نحو الغرفة سألته «ليفيا»

- أنت هنا ؟

- نعم ، إننى هنا

أخذ يداعب شعرها ولكن يديه لا تزالان تحتفظان بقليل من حرارة جسد
«إيزميرالدا»

توقف عن الحركة فطلبت منه ليفيا

- تعال نم بجوارى

ظل لا يدري ماذا يقول ففي الغرفة الأخرى تنتظره «إيزميرالدا» لينهيا ما
شرعا فيه. لكنه تذكر أهل «ليفيا».

- نامى سوف انتظر عمك وزوجته فقد بعثت بفرانشيسكو يستدعيهما

- لقد اخفتها

- أنا أيضا خفت

ومن جديد رفع يده التى كانت على وشك أن تداعبها وتذكر
«إيزميرالدا» فشعر بغصة فى حلقه وروفيينو؟ استدارت «ليفيا» فى
السريير وأغمضت عينها عاد إلى غرفة الطعام كانت «إيزميرالدا» مستلقية
فوق الشبكة وقد فكت ازرار ثوبها فبدأ ثدياها منتصبين ظل حائرا ينظر
كشيطان مدت يدها تدعوه وجذبتة إليها التصقت به وبدا منصرفا تماما عما
تدعوه إليه

- أتجدنى قبيحة إلى هذا الحد؟

وشرعا من جديد فامتلكه جنون لم يعد يعرف ما يفعل ولم يفكر فى أحد
لم يعد يرى إلا الجسد الذى يضمه إلى جسده فى هذا الصراع الذى يبدو
صراعا حتى الموت وعندما سقط احدهما فوق الآخر ، قالت «إيزميرالدا»
بصوت خفيض

- لورأى «روفيينو» ذلك

عاد «جوما» إلى وعيه إنها «إيزميرالدا» بعينها زوجة «روفيينو» وزوجته هو ترقد
مريضة فى غرفة أخرى تكلمت «إيزميرالدا» من جديد عن «روفيينو» ولم يعد

«جوما» يسمع شيئاً صارت عيناه حمراوين كالدم فمه جافاً ويدها تتحسسان عنق «إيزميرالدا» وبدأتا تخفقانها قالت
- كف عن هذه الدعاية

لم تكن دعابة لسوف يقتلها ويذهب بعد ذلك للقاء «جانينا» فى قاع البحر كانت على وشك أن تصرخ عندما سمع «جوما» عم «ليفيا» يتحدث مع العجوز «فرانشيسكو» قفز من الشبكة وأخذت «ايزميرالدا» تسوى ملابسها على عجل ، ولكن زوجة عم «ليفيا» نظرت فى الصالة بعين دهشة حرك «جوما» يديه بإشارات بلا جدوى وقال

- لقد تحسنت «ليفيا» الآن

كانوا خمسة أبناء

ما أن تحسنت صحة «ليفيا» حتى عاود رحلاته إنه يتهرب من «ايزميرالدا» التى تلاحقه وتريد أن تضرب له مواعيد فى الأماكن المهجورة من الشاطئ مهددة بأن تثير فضيحة ولكنه ، كان يتحاشى مقابلة «روفينو» الذى عاد بعد أيام فى السبت التالى بحمولة للسوق

قام برحلة إلى «سانتو أمارو» وتأخر هناك وعلى غير العادة ، دار على كل الحانات ، ولم يمكث فى مركبه ليتأمل القمر والنجوم لأنه كان يرى فيها وجه «روفينو» مخيفاً كأنه يعلم بخيائته وأصبح «جوما» يشعر بتعاسة حياته فمئذ طفولته والمصائب تثقله ذات يوم جاءت أمه وكان ينتظر إحدى بنات الهوى فاشتهاها، فى ذلك اليوم فكر فى إلقاء نفسه فى البحر ليذهب مع «يمانجا» فى رحلة بلا نهاية نحو بحار «أيوكا» والحقيقة أنه لومات فى ذلك الوقت ما كان أحد يحزن على رحيله ربما بأسف عليه العجوز «فرانشيسكو» ولكنه سرعان ما كان

سيئاسى ولكان رسم بالوشم اسم «جوما» على ذراعه بجوار اسماء
مراكبه الأربعة ، ولكان قد أضاف حكاية طفولته إلى الحكايات العديدة
التي يعرفها

- كان لى ابن أخ اشتهته «جانينا» وفى ليلة مقمرة اصطحبتة إنه لا يزال
طفلا ولكنه يعرف قيادة مركب ويستطيع أن يحمل بمفرده جوالا من الدقيق لقد
ارادته «جانينا»

كان «جوما» يتخيل العجوز «فرانشيسكو» يروى حكايته على هذا النحو
لم يستطع أن يقتل نفسه ولا يستطيع أن يترك «ليفيا» وحدها وابنه فى
بطنها .

ولكن أية حكاية سيتركها للعجوز «فرانشيسكو» ليرويها ؟ لقد خان
صديقا ، وكان يذهب مع زوجة رجل اسدى له خدمات وبعد ذلك هرب خوفاً مما
قد يفعله صديقه تاركاً زوجته تموت من الجوع مع طفل فى
بطنها سيضيف العجوز «فرانشيسكو» أن كل ذلك يعود إلى أصل أمه
العاهرة لن يرسم بالوشم اسمه بجانب اسماء مراكبه الأربعة سيشعر بالعار
بسيبه

لا ينظر «جوما» إلى القمر لقد خرق قانون الميناء لم يكن خائفاً من «روفينو» لو
لم يكن صديقه ما كان لذلك أهمية سوف يشعر بالعار أمام «روفينو» و
«ليفيا» يود أن يقتل «إيزميرالدا» ويموت يغرق مع «الباسل» فوق الصخور
لقد اغرتة فنسى صديقه «روفينو» و «ليفيا» المريضة فى الغرفة المجاورة
رتمه زوجة عمها بنظرة ملؤها الريبة فلم يستطع بعد ذلك قط أن ينظر
إليها ربما لم تذهب إلى حد الارتياب فقد شكرت «إيزميرالدا» على عنايتها
بـ «ليفيا» .

والأسوأ من ذلك أنه منذ أن اعترفت «ليفيا» بجميل «إيزميرالدا» واشترت لها

هدية ، والخلاسية تستغل ذلك لتدخل باستمرار عندهما تترصد «جوما» عندئذ كان يخرج ليذهب إلى «منارة النجوم» ويشرب لدرجة أنهم راحوا يتحدثون عن ذلك فى الميناء ولكن «ايزميرالدا» ظلت تطارده وفى كل مرة تستطيع فيها أن تكلمه تريد أن تعرف أين يمكنهما اللقاء وتقول إنها تعرف أماكن مهجورة على الشاطئ «جوما» أيضا يعرف من هذه الاماكن الكثير لقد اصطحب أكثر من خلاسية وأكثر من زنجية صغيرة على الشاطئ فى الليالى المقمرة. لكن لا يريد اصطحاب «ايزميرالدا» إلى هناك لا يريد أن يراها ، يريد أن يقتلها ويقتل نفسه بعد ذلك ومع ذلك لا يستطيع أن يتخلى عن «ليفيا» وطفل فى بطنها لقد فعل ذلك دون تفكير لأن الشهوة عمياء فى تلك اللحظة لم يكن يرى أحداً لا روفينو ولا ليفيا ولا أى أحد آخر لم يكن يرى إلا جسد «ايزميرالدا» الخلاسى وتذبيها المنتصبين وعينيها الخضراوين البراقتين منذ ذلك اليوم وهو يعانى سوف يقابل «روفينو» فى يوم أو آخر وعليه أن يتحدث معه ويقبله كما يقبل المرء صديقا مدينا له بخدمات ومن وراء ظهر «روفينو» ستشير له «ايزميرالدا» بإشارات وتضرب له مواعيد وتبتسم له

و «ليفيا» التى تعانى كثيراً عندما يكون فى رحلة وتخاف كثيرا عليه ! «ليفيا» كذلك لا تستحق ذلك لقد عانت «ليفيا» من أجله وحملت ابنه فى بطنها

فى الصلاة كان يسمع انفاس «ليفيا» لكنه لم يفكر فى شئ من كل ذلك كانت «ايزميرالدا» مستندة إلى الشبكة لم ير إلا جسد الخلاسية وعينيها الناعستين بعد ذلك اراد أن يقتلها وكاد أن يخنقها لولا وصول عم «ليفيا» وزوجة عمها

الليل فى «سانتو امارو» مضى وعلى شاطئ النهر تمتد حقول قصب السكر

خضراء تحت ضوء القمر «بيسورو» يسطع فى السماء لقد كان رجلاً شجاعاً لم يقولوا قط إن «بيسورو» ضاجع زوجة صديق .كان رجلاً محترماً لالتزاماته وفيها لصداقاته أما «جوما» فقد تخلى عن كل شئ لم يبق له إلا أن يذهب فى رحلة إلى قاع البحر وإلا فكيف ستكون حياته ؟ فكل يوم سوف يقابل «ايزميرالدا» وسيكون عليه أحيانا أن يذهب معها ويضاجعها ويتأوه من الحب مع هذه الخلاسية وسوف يرى ليفيا الحامل تعمل بالمنزل وتبكى من أجله عندما تفكر بأنه قد يغرق يوماً تحت الأمواج ويرى «روفينو» يضع يده على كتفه ويضحك ضحكته العريضة ويقول له «يا أخی ، يا أخی» سوف يرى كل من خانهم ، لقد خان ابنه أيضاً «إيزميرالدا» ولم يعد يبحث عنها أو يرغب فى جسدها المثير لقد خان الكل خان ابنه الذى لم يولد بعد لأنه لن يترك له ذكرى فى الميناء لن يشير إليه أحد ليقول فى زهو

هذا ابن «جوما» الشجاع الشهير الذى كان يعيش فى هذه

النواحي

إنه خائن لقد فعل مثل الشخص الذى طعن «بيسورو» بالخنجر من خلف. وكان يقال عن ذلك الشخص إنه صديق قاطع الطريق ولكنه ذات يوم غرس الخنجر بين ضلوعه ونادى الآخرين ليمزقوه بالسكين أصبح عريفاً فى الشرطة ولكن اليوم لا يتحدث عنه أحد إلا ويبصق جانباً حتى لا يلوث اسمه الفم الذى ينطق به

كان «جوما» هناك مستلقياً فوق المركب يغطس كفه فى الماء البارد وفى الميناء لم يعلم أحد بشئ بعد إنهم فقط مندهشون من رؤيته يشرب ، هو الذى لم يكن له قط ميل لذلك لكنهم لا يعرفون لماذا ويعتقدون أن «جوما» مسرور بسبب الابن الذى سيولد .

لا شك أن «ليفيا» تفكر فيه الآن وتعانى من أجله هو الذى فى البحر
لقد ماتت زوجة العجوز «فرانشيسكو» من الفرحة عندما عاد و «ليفيا»
تعيش أيضا فى انتظار عودته من المؤكد أنها تود أن يهجر مركبه ويذهب
إلى المدينة ويتخذ له مهنة أخرى لكنها لم تتكلم قط عن ذلك لأنها
تعرف أن الرجال الذين يحيون فى البحر لا يميلون أبداً إلى مهن
أخرى حتى الاشخاص الذين يأتون إلى البحر مثل دونا «دولشى» لا
يعودون منه أبداً إن سحر «يمانجا» شديد ، ولكن «جوما» ، يستطيع أن
يذهب يرحل مع «ليفيا» بعيدا عن هنا لقد أخبره أحدهم أن المرء فى
«الياس» يستطيع أن يربح كثيراً من المال يمكنه أن يتخذ له مهنة أخرى
ويهرب من هذا المكان

كان ينظر إلى الباسل المركب الجيد الذى كان ذات يوم للعجوز
«فرانشيسكو» إنه الخامس الذى امتلكه العجوز، لم يعد جديداً لأنه يجرى
فوق الماء منذ سنوات عديدة عبر الخليج وصعد النهر مرات لا تحصى وكان مع
«جوما» فى انقاذ السفينة «كانا فييراس» وفى مرات عديدة كان على
وشك الغرق ، وذات يوم حدث به ثقب كانت له اشرعة لا يعلم أحد عددها إنه
مركب اسطورى. والآن ، فإن «جوما» يتأهب لأن يضع نهاية لمهنته ويبيعه لأى
معلم ويذهب إلى بعيد إنه الحل الأفضل والعقاب الذى يستحقه أن
يغادر الميناء ويهجر البحر ويذهب إلى أراض أخرى لقد فكر ، ذات يوم فى
الرحيل ليجوب البحار فى السفن الكبيرة مثل «شيكو تريستيزا» ثم
عرف «ليفيا» وتخلّى عن أماله فى الرحلة ظل معها واستغرقته الحياة
البائسة فى الميناء ومعاناة الانتظار كل يوم لموت مؤكّد وأخيرا خانها
وخان «روفينو» صديقه غطى «جوما» بيديه لو لم يكن بحاراً لبكى مثل طفل
أو امرأة .

لم يبق له إلا انتظار مغامرة تودى به وتودى بالباسل أيضا لأنه لا يريد أن يتركه للآخرين لأن الهروب من الميناء والذهاب إلى أراض أخرى شئ يستحيل عليه فعله وحدهم أولئك الذين يحيون فى البحر يعرفون كم هو مستحيل هجرانه، حتى بالنسبة لأولئك الذين لا يقدررون على النظر فى وجه صديق أو تأمل القمر الذى يسطع فى السماء. لو لم يكن جوها بحارا لبكى مثل طفل ، مثل امرأة أو مثل سجين فى زنزانه معتمة.

* * *

قابل «روفينو» فى البحر كان الماء يتسرب إلى قارب «روفينو» الذى خرج من الميناء دون أن يلحظ ذلك ساعده جوها فى سد الشقوق بالقار كان جزء من الحمولة قد فقد كان الزنجى ينقل حمولة سكر فتبللت الأجبولة فى قاع القارب وذاب السكر قام «جوما» بنقلها إلى الباسل وعرضها للشمس اجتهد ألا ينظر إلى «روفينو» الذى كان مشغولا بهذا العطل

- لكى اسدد ثمن الخسارة افقد أجرتى عن النقل

- ربما لا ستجف الأجبولة ونرى إن كان المفقود كثيراً

لا أعرف كيف وقع ذلك فأننا دائماً أخذ حذرى من هذه

الاشياء لكن الكولونيل تينوكو هو الذى بعث برجاله لتحميل السكر ولم يكن لى ما أفعله معهم ذهب اشرب كأسا لأن الدنيا تمطر وعندما عدت كان كل شئ جاهزا ذهب وفى منتصف الرحلة لا حظت أن القارب ثقيل لدرجة أننى لم اعد استطيع شيئا رأيت ما حدث كان الماء يتسرب

- لست مدينا بشئ وعليه أن يسدد لك اصلاح القارب بما أن رجاله هم

الذين فعلوا ذلك .

- لكننى لا أستطيع اثبات ذلك فى الذهاب احتككت بالصخور عند مدخل النهر ، لذلك

تقدما قليلا جنبا إلى جنب وهما يتحادثان لكن «الباسل» تقدم إلى أمام كان «روفينو» فى الخلف يجذب ليساعد قاربه حتى اختفى ولم يعد «جوما» يراه لم يعرف كيف استطاع أن يكلمه ويتحمل نظرتيه ويضحك عندما يضحك عليه أن يخبره وأن يترك «روفينو» يفرز مجدافه فى رأسه. انطلق المركب فوق الأمواج والريح تصفر

كانت «ليفيا» تنتظر فى الميناء وسألتها «ايزميرالدا»

- ألم ترى حبيبي الزنجى هناك ؟

- إنه قادم بقاربه لقد حملت عنه بعض أجولة السكر لقد ثقب قاربه .ظهر

الاهتمام على «ليفيا»

- لكن شيئا لم يحدث ؟

نظرت «ايزميرالدا» إلى «جوما»

- لم يكن ذلك من فعل أحد ؟

لاحظ أنها خائفة من أن تكون مشاجرة قد وقعت بينهما

- يبدو أنه اثناء صعود النهر احتك بالصخور ولكنه ليس بعيدا عن هنا إنه

حزين بسبب الخسارة.

أرسي مركبه وعاد إلى البيت مع «ليفيا» قالت لهما «ايزميرالدا»

- سوف اذهب لأنتظره فى ميناء «لينا»

- قولى له إن الأجلة هنا

- حسن

نظرت إلى الزوجين يصعدان الطريق كان «جوما» يتحاشاها اهو خائف

من «روفينو» أم خائف من «ليفيا» أم أن حبها لا يروق له ؟ إن كثيرا من الرجال

فى الميناء يتعاركون من أجلها يخافون من «روفينو» ومع ذلك يجدون وسيلة ليقولوا لها حماقات ويعرضون عليها عروضاً ويرسلون لها هدايا «جوما» وحده الذى يتهرب منها وهى تشتهييه لأنه ذو بشرة فاتحة ، وشعر أسود طويل يصل إلى رقبته ، وشفتين حمراوين كشفتى طفل أوغر صدرها فكانت تنظر بحقد الى الرجل الذى يصعد الميناء لماذا يتحاشاها ؟ لم تفكر بأنه نادم سوف تكتب رسالة إلى «جانينا» وستذهب لرؤيتها ذهبت «ايزميرالدا» من جانب ميناء «لينيا»

راح المراكبيه يحيونها رأّت بحارا يغسل جسم سفينة شحن فتوقف عن العمل واطلق صغيرا يدل على الاعجاب «جوما» وحده الذى يتحاشاها عندما جاء معها مرة كان عليه أن يفعل أشياء لا حصر لها ارتمت فوقه ، وقدمت له نفسها كعاهرة وبعد ذلك أراد أن يقتلها إن ردفى ايزميرالدا يساويان ثقلهما ذهباً كما يقولون فى الميناء ، ولكن «جوما» لا يلحظهما «جوما» يتحاشاها ويتهرب من جسدها وعينيها لم تكن له عينان إلا من أجل «ليفيا» النحيفة البكاء سمعت «ايزميرالدا» صغير البحار نظرت إليه وابتسمت اشار لها باصابعه لتفهم أنه فى الساعة السادسة سيكون حرا و اشار الى الشاطئ كانت تبتسم. لماذا يتهرب جوما منها ؟ لا شك أنه خائف من «روفينو» خائف من انتقام الزنجى ، من ذراعيه المقتولين من كثرة التجديف طوال اليوم فى قاربه أما «ايزميرالدا» فلم تفكر فى الندم فهى لا تعرف هذه الكلمة هبت ريح باردة على رصيف الميناء ومن بعيد ، ظهر قارب «روفينو» كنقطة تشق الماء هبط الليل بارداً وكانت الريح تثير رمال الشاطئ ومياه البحر خرجت بعض المراكب الشرعية نادرا ما تأتى الرياح بالعاصفة كانت الرمال الناعمة تطير فوق الميناء وتصعد إلى شوارع المدينة كان عيد فى كنيسة «كونشيساو دابرايا» فكانت النساء يمررن متلفحات بالشيلان ويهبط الرجال الشارع كانت الريح تمر

بينهما النواقيس تدق والحوانيت اغلقت أبوابها فأصبحت المدينة السفلى مهجورة

بعد أن انتهى العشاء ، خرج العجوز «فرانشيسكو» ذهب ليثرثر أمام مدخل الكنيسة ، يحكى ويستمتع إلى الحكايات اشعل جوما غليونه وفكر فى أن يذهب إلى رصيف الميناء ليرى هل افرغوا حمولة المركب هل هناك رحلة يقوم بها فى اليوم التالى. غسلت «ليفيا» أوانى الطعام كان بطنها يسبقها امتقع لونها قليلا وذبت بشرتها إنها تحمل طفلا فى بطنها عليها أن تذهب كل يوم لتلقى رعاية الدكتور «رودريجو» فهى تشعر بالغيثان. كان «جوما» يراها ذاهبة آتية تحمل الصحون والأكواب وراح الكلب الصغير الاسود يأكل عظمة فى المطبخ المبنى من الطين وكان الفنجان الفارغ على حافة المنضدة سمع «جوما» «روفنيو» ينهض فى غرفة المنزل المجاور لا شك أنه فرغ من عشائه ويتكلم مع «إيزميرالدا» كأنهما يتكلمان عند «جوما» فقد كان يسمع كل شئ

- سوف اذهب لاناقتش الكولونيل «تينوكو» فى أمر الأجوالة التى تبللت

ستكون المناقشة حادة

- تكلمت ايزميرالدا بصوت عال

- اتتركنى اذهب لألقى نظرة على عيد «كونشيساوا» ؟ الكنيسة رائعة والقديسة

معبودتى

- اذهبي لكن عودى بسرعة اننى متعب أريد أن أنام مبكرا

كانت ايزميرالدا تتكلم بصوت مرتفع من المؤكد أنها تريده أن يسمع هكذا فكر جوما لكنه لن يذهب إلى «كونشيساوا» ومن النافذة كان يمكن رؤية الكنيسة مضأة أكثر من سفينة ركاب وإذا ذهب إلى هناك فمن أجل «ليفيا» التى تريد أن تصلى من أجل الطفل

دقت النواقيس تدعو الناس الرياح تدخل من النافذة تطلع «جوما»
إلى السماء التي كانت بلون الرماد بدا المساء نظيفا ومع ذلك لا تبشر
الليلة بخير ظهر القمر هلالا رفيعا اصفر فى السماء عبر صوت «روفينو»
الحائط الفاصل

- أنت هنا يا أخى ؟

- نعم

- سوف اتشاجر مع العجوز «تينوكو»

- انه ليس خطأك.

- لكنه عنيد اكثر من سلحفاة ، إن قطعت رأسها تظل تتحرك وتحاول

أن تحيا

- سوف تشرح له

- سوف اتعارك معه ، سوف يرى !

ذهبت «ايزميرالدا» تقول

- سأعود حالا

- وصل صوت «روفينو» مكتوما

- دعيني أقبل عنقك أيتها الخلاسية.

- شعر «جوما» بضيق لم يرد منها شيئا لكنه شعر أن «روفينو» سلبه شيئا

والحقيقة أنه هو الذى سرق «روفينو» وخانه ابتعدت خطوات «ايزميرالدا» قال

«روفينو» بأعلى صوته

- الخلاسية ذاهبة إلى الكنيسة

وصاح على «ايزميرالدا» متداركا

- اللعنة ، ألن تصطحبني «ليفيا» ؟

- قالت لى إنها ستخرج مع «جوما» وضاع وقع خطواتها فى

الشارع أخذ «روفينو» يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً ونظر «جوماً» من جديد إلى السماء كانت الريح تشتد في كل لحظة وظهرت بعض نجومات فوق السحاب «سوف تهب العاصفة» فكر جوما انهت «ليفيا» غسل الأواني وسألت

- ألا تريد أن تذهب لرؤية العيد

كانت ممتعة ممتعة للغاية وبدونها يرفع الفستان سوف تكون مثاراً للسخرية لكن جوما لا يهتم بذلك يعرف أنها تحمل طفلاً له وأنها تعاني من أجل ذلك وأنه قد خانها سمع «روفينو» يخرج كانت «ليفيا» مسمرة هناك تنتظر الاجابة

- انهى وغيرى الفستان.

- دخلت إلى غرفة النوم ولكنها خرجت على الفور عندما طرق أحدهم الباب

- من هناك ؟

- صديق من البيت

ومع ذلك كان الصوت غريباً لم يتذكرا أنهما سمعاه نظرت «ليفيا» إلى «جوماً» وبدا الخوف في عينيها، نهض

- أنت خائفة ؟

- من هذا ؟

تكرر الطرق على الباب

- ألا يوجد أحد ؟ أهذه مقبرة أو سفينة غارقة ؟

- من المؤكد أنه بحار.فتح «جوماً» الباب وفي ظلمة الشارع كان غليون يسطع ، وظهر خلفه شبح متدثر بمعطف كبير

- أين «فرانشيسكو» ؟ أين إذن هذا الطاعون ؟ اعرف أنه لم يمّت :

انه دنى حتى الشيطان لا يريده .

- لقد خرج

- كانت «ليفيا» تنظر من وراء «جوما» تحرك الشبح كأنه يتجه إلى الردهة وهو ما قام به فعلاً مد رأسه ونظر إلى الداخل يبدو أنه فى هذه اللحظة فقط لمح «جوما».

- وأنت ؟ من تكون ؟

- «جوما»

- من «جوما» بحق الشيطان ؟ أتحسب أننى أعرفه ؟

امتعض «جوما»

- وحضرتك ، من تكون ؟

كانت إجابة الشبح أن تقدم واقتحم الباب لكن «جوما» مد ذراعه وقطع عليه الطريق

- ماذا تريد ؟

قبض العجوز على ذراع «جوما» ودفعه إلى الحائط فلم يستطع حتى أن يتحرك كان الشبح فى قوة عشرين رجلاً تقدمت «ليفيا».

- ماذا تريد يا سيدى ؟

اطلق الرجل «جوما» ودخل إلى الغرفة المضاءة بالمصباح رأى «جوما» أنه عجوز نو شارب أبيض ، ضخم كعملاق، ارتفع معطفه قليلاً فلاحظت «ليفيا» الخنجر الذى يتدلى من حزامه أخذ العجوز يتأمل البيت وكان الضوء الأحمر للمصباح الزيتى يضخم الظلال

- اذن هنا يسكن الابله «فرانشيسكو» ؟ ونظر إلى «ليفيا» وأنت من تكونين ؟

كانت على وشك أن تجيب فوقف «جوما» أمامها

- قل لى أولاً من تكون حضرتك ؟

- أنت ابن «فرانثيسكو» ؟ لم اسمع أبدا أن له ابناً

- اننى ابن أخيه «فريد يريكو»

نظر العجوز مرعوباً من الاجابة

- ابن «فريديريكو» ؟

نظر إلى «ليفيا» وادار عينيه من جديد نحو «جوما»

- أهى زوجتك ؟

أجاب «جوما» بايماءة من رأسه نظر العجوز إلى بطن «ليفيا» ثم

إلى «جوما»

- إن اباك لم يتزوج قط

كان أبيض الشعر يبدو أنه يشعر بالبرد حتى تحت معطفه ورغم ما قاله لم

يشعر «جوما» بالاهانة

- لقد مات منذ وقت طويل ، أليس كذلك ؟

- نعم منذ وقت طويل

- فرانثيسكو» وحده الذى لم يميت اليس كذلك ؟

نظر إلى المصباح ثم التفت إلى جوما

- ألا تعرف من أنا ؟ ألم يحدثك «فرانثيسكو» عن ذلك قط ؟

- كلا

سأل العجوز «ليفيا»

- الديك «كاشاسا» هنا ؟ سوف نشرب نخب احتفال بعودة واحد من الأهل

خرجت «ليفيا» من الغرفة ولكنها فى نفس اللحظة سمعت صيحة «فرانثيسكو»

الذى وصل ونظر من النافذة ليرى من الزائر

- ليونسيو» !

دخل مسرعاً عادت بزجاجة «الكاشاسا» وتوقفت تشاهد ما يحدث

«فرانثيسكو» لا يصدق عينيه

- اعتقدت إنك مت منذ زمن طويل

تساعل «جوما».

- فى نهاية الأمر ، ومن هو إذن ؟

تكلم العجوز «فرانشيسكو» كمن يقول سراً بدا اشبه برجل اتعبه السير

الطويل

- إنه عمك أخی.

- التفت نحو الزائر وقدم له «جوما»

- إنه ابن «فريد يريكو»

صبت «ليفيا» «الكاشاسا» شرب العجوز الكأس فى جرعة واحدة ووضع

الكأس على الأرض جلس «فرانشيسكو» وسأله

- لن تبقى أليس كذلك

- تتعجل ذهابى ، أليس كذلك ؟

ضحك العجوز ضحكة مكتومة فاهتز شاربه الأبيض.

ليس لديك ما تفعله هنا كل الناس يحسبونك ميتا لم يعودوا يعرفونك

- كل الناس يحسبوننى ميتا ، أليس كذلك ؟

- نعم كل الناس يحسبونك ميتا .عم جئت تبحث هنا ؟ لا شئ لك لا شئ لا

شئ

بدت الدهشة على «جوما» و «ليفيا» التى كانت تمسك بزجاجة

«الكاشاسا»

بدا العجوز «فرانشيسكو» متعبا كرجل على وشك الموت كان يبني اكثر

شيخوخة ، فقد وجد نفسه أمام حكاية لم يحكها قط نظر «ليونسيو» عبر النافذة

إلى أرصفة الميناء مرت امرأة أمام البيت إنها «جوديث» . كانت مرتدية

السواد ، تحمل طفلاً على عنقها كان بيئتها بعيداً وأمها التي جاءت لتساعد
كانت تعيش معها ككتاهما تعمل كان الطفل نحيفاً يبدو أنه لن يعيش سأل
«ليونسيو»

- أرملة ؟

- أرملة ماذا يعنيك من ذلك ؟ سبق أن قلت إنه لا شيء لك هنا لماذا جئت ؟
كنت ميتاً فلماذا جئت ؟

- لماذا جئت ؟ كرر العجوز السؤال وكأنه يبكي ومع ذلك كان يبتسم لست
مسروراً برؤيتي إنك حتى لم تقبل أخاك
- أغرب عن هنا ليس لك ما تفعله هنا

ومن جديد أخذ العجوز ينظر إلى أرصفة الميناء والسماء الملبدة بالغيوم -
وكانه يحاول معرفة كل شيء ، مثل بحار عجوز عاد إلى مينائه ، نظر طويلاً إلى
السماء والميناء الفارق في الضباب ، كان الليل بارداً فوق البحر استدار العجوز
نحو «فرانشيسكو»

- ستهب العاصفة هذه الليلة هل لاحظت ذلك ؟

- سوف تذهب ، طريقك ليس من هنا

وبذل جهداً كبيراً ليتابع حديثه

- إنه ليس ميناؤك

كان العجوز قد تخلص من عنوانيته فطأطأ رأسه بدأ صوته متوسلاً كأنه يأتي
من بعيد

- دعني أبقى ، لن يكون ذلك إلا ليومين فقط ، منذ زمن طويل

قاطعت «ليفيا» رفض العجوز «فرانشيسكو»

- ابق ، فالبیت بيتك

نظر إليها «فرانثيسكو» حانقاً

- إننى متعب لقد أتيت من بعيد

كررت «ليفيا»

- ابق الوقت الذى تشاء

- ليلتين فقط قال ذلك وهو يلتفت إلى «فرانثيسكو» لا تخف نظر

إلى السماء والبحر ورصيف الميناء كان يشعر فى كل كيانه بفرحة بحار عجوز

عاد إلى مينائه أغمض «فرانثيسكو» عينيه فانطبقت تجاعيد وجهه التفت

«ليونسيو» وسأله

- ألدك صورة لأبى ؟

ولما لم يتلق إجابة صمت لحظة ثم قال «لجوما»

- هل ستنام بعد قليل ؟

- لماذا ؟

- سأذهب حتى الميناء اترك الباب موارباً ، سأغلقه عندما أعود

- حسن

زدر معطفه ، وكبس الطاقيّة على رأسه واتجه إلى الباب ، لكنه عاد وأدخل يده

فى صدره الضخم وسحبها بميدالية واقترب من «ليفيا» وأعطاهها لها

- هذه لك

عندما خرج ، كان العجوز «فرانثيسكو» يردد

- لماذا جاء ؟ لن تتركه هنا ، أليس كذلك ، يا «ليفيا» ؟

سأل «جوما» عمه

- احك لى عن ذلك يا عم

- لا داعى أن يفضب المرء من الموتى كل الناس يحسبونهم ميتاً

خرج ورأوا أنه ذهب إلى «منارة النجوم» لم تكن هناك سفينة راسية فى

الميناء فى ذلك المساء ، فكيف وصل «ليونسيو» ؟ كما لم تبحر أية سفينة ، ومع ذلك لم يعد فى تلك الليلة أو أى ليلة كانت الميدالية التى أعطاهها إلى «ليفيا» من الذهب ، تبدو اتيه من البلد بعيد ، من زمن مضى هو أيضاً يبدو آتياً من بعيد من زمن آخر

وفى النهاية ، ذهباً إلى كنيسة «كونشيساوا دا برايا» سألت «ليفيا» «جوما» إن كان يعرف شيئاً عن هذه الحكاية كان لا يعرف شيئاً عنها فلم يسبق للعجوز «فرانشيسكو» قط أن تكلم عن أخيه لم ير «جوما» «إيزميرالدا» فى الكنيسة من المؤكد أنها تعبت من انتظاره فذهبت أحس «جوما» بارتياح لم يكن ليتحمل إشاراتهما هل بسبب مثل هذه القصة لم يستطع «ليونسيو» معاودة الظهور على أرصفة الميناء ، وأنه فقد ميناءه ؟ إن البحار لا يفقد ميناءه ورصيفه إلا عندما يأتى عملاً مشيناً لم تكن «إيزميرالدا» فى الكنيسة التى تفوح برائحة البخور وفى الخارج كانت هناك بعض السراقات وكان الدكتور «فيلادلفيو» يجمع بعض قطع العملة المعدنية فوق المائدة التى يكتب عليها الأشعار والخطابات.

بينما راح زنجى يغنى وسط جماعة

يوم استيقظ

محروماً من الخبز

سأصنع كعكاً من الموز

من الموز سأصنع كعكا

عادا إلى البيت ومن الجانب الآخر من الحائط راح صوت «روفينو» يسأل:

- أهذا أنت يا أخى ؟

- نعم ، لقد وصلنا

- هل انتهى العيد ؟

- انتهى العيد فى الكنيسة ، لكن هناك احتفالا حول الكنيسة

- هل رأيت «إيزميرالدا» هناك ، يا «ليفيا» ؟
- لا ، لم أرها لكننا لم نمكث طويلاً
- دمدم «روفينو» بتهديد سأله «جوما»
- علام انتهيت مع الكولونيل؟
- أه ! سوف نتقاسم الخسارة
- بعد برهة قال

- الليلة تنذر بالشؤم وكأن شيئاً خطيراً سوف يحدث

دخل «جوما» و «ليفيا» إلى غرفتهما نظرت إلى الميدالية التي أعطاهما «ليونسيو» إياها فحصها «جوما» أيضاً «إنها جميلة» كانا يسمعان وقع أقدام «روفينو» في البيت الآخر باستطاعة «إيزميرالدا» أن تكون مع آخر ، في أى مكان على الشاطئء بدأ «روفينو» يرتاب فيها ويمقدورها أن تقول له إن «جوما» كان أيضاً عشيقها عندئذ سيكون الأمر خطيراً ، أسوأ من عاصفة لن يرفع يده على «روفينو» ولن يتعارك معه قد يترك نفسه يُقتل لأنه صديقه و«ليفيا» ، وابنهما ، والعجوز «فرانشيسكو» ؟ سوف يكون بحارا بلا ميناء حتى بعد موته ظل في هذا القلق حتى سمع خطوات «إيزميرالدا» وكلماتها الأولى لروفينو

- لقد تأخرت يا حبيبي الزنجي كنت أتفرج على الأشياء وظننت أنك ستأتى.
- أيتها الكلبة القذرة ، أين كنت ؟ لم يرك أحد هناك
- كنت فى حشد من الناس ورأيت «ليفيا»
- ثم سمعا صفق صفتين من المؤكد أنه كان يعذبها
- إذا عرفت أنك تخونينى فسوف ألقيك فى قاع البحر
- أخونك ؟ غير صحيح ، لا تضربنى
- ثم لم تكن ضربات ، لم يعد شجارا لقد كان للخلاسية ردقان ملفوفان هذا

الضجيج لم يعد ضجيج شجار أو ضربات كان لها ثديان منتصبان وكان
«روفينو» مجنوناً بها

عند منتصف الليل ، هبت العاصفة ، ومثل هذه الريح لا تأتي بعاصفة وإن أتت
بها تكون رهيبة مروعة هبت فى منتصف الليل فقلبت كثيراً من المراكب فى
البحر. العجوز «فرانشيسكو» الذى عاد من «منارة النجوم» أيقظ «جوما» وأيقظ
«روفينو» أيضاً

- يبدو أنها قلبت ثلاثة مراكب كانوا يطلبون النجدة سوف تخرج بعض
المراكب ويطلبون أن تذهب أنت أيضاً أحد المراكب غرق بعائلة كاملة
- أين ؟

- بالقرب من حاجز الأمواج

خرجوا مسرعين فك «جوما» مركبه ، وكان «روفينو» معه الأمواج الضخمة
تتكسر على حافة الرصيف كانت مراكب أخرى قد رحلت لحق بها «جوما»
رأوا فى حلقة الليل شراع مركب غارق وكان المركب «مسافر بلا مرفأ» يتقدم
إلى الأمام قليلاً ، يشق البحر وشبح المعلم «مانويل» يظهر على ضوء القنديل
ناداه «جوما»

- هيه ، «مانويل» !

- أهذا أنت ، «جوما» ؟

كان «روفينو» جالساً ، وفجأة سأل «جوما»

- هل سمعتهم يتحدثون عن «إيزميرالدا» فى الميناء ؟

سأله «جوما» بصعوبة

- يتحدثون بأى خصوص ؟

كانت الأمواج تتكسر على جانب المركب وفى الأمام كان «مسافر بلا مرفأ»
يختفى كلما أقبلت موجة

- يقولون إنها ليست مخلصة إنهم لن يتحدثوا معى عن ذلك

- لم أسمع قط مثل هذا الكلام

- تعرف أننى على سفر أريدك أن تفعل شيئاً من أجلى عندما تعلم بشيء
اخبرنى به لا أريد أن أكون زوجاً مخدوعاً إننى أكلّمك فى ذلك لأتلك
صديقى. فأنا خائف من هذه الخلاسية

لم يكن «جوما» يعرف إلى أين يتجه مركبه . واصل «روفينو»

- الأسوأ من ذلك أننى أحبها

- لم أسمع قط هذا الكلام

اقتربا من الحاجز كان حطام المراكب الثلاثة طافياً أوشتك العاصفة أن
تغرق المنقذين كان بعض الأشخاص متشبثين بالألواح الخشبية وأجسام المراكب
يصبحون ويبيكون ما عدا «باولو» صاحب أحد المراكب الغارقة الذى كان يحتضن
طفلاً بين ذراعيه كانت أسماك القرش قد أغرقت شخصين بأسيخ والتهمت ساق
شخص ثالث بدأ المعلم «مانويل» ينقل الضحايا إلى مركبه راح الآخرون
يفعلون مثله ، لكن الأمر لم يكن سهلاً فالأمواج تدفع المراكب جيئة وذهاباً ترك
بعض الغرقى الألواح التى يتشبثون بها ولما لم يتمكنوا من بلوغ المركب فى
الوقت المناسب سقطوا فى قاع البحر ناول «باولو» الطفل لمانويل وعندما صعد
فى المركب قال

- كانوا خمسة ولم يبق إلا هذا

أنقذوا أيضاً أم الطفل التى تحجرت وهى تحملق كالمجنونة وهى تضم الطفل
إلى صدرها الرجل الذى أكلت أسماك القرش ساقه تمدد فى مركب «جوما»
وأخذ يصرخ جاء عجوز نحو مركبه قفز «روفينو» إلى الماء لينقذ واحداً من
البائسين لم يستطع أن يتشبث بالمركب فى الوقت المناسب ولكنه لم يره لم ير
إلا أسماك القرش التى تتعقبه وتسبح حوله نظر «جوما» وترك دفة «الباسل»

وغطس وهو يمسك بالسكين فى فمه سبيح من تحت السمكة صعد «روفينو»
سليماً لم يصب بأذى وفى لحظة الموت هزت سمكة القرش ذيلها وتركت
«جوما» فاقد الوعى تقريباً

قال له «روفينو»

- لو لم تكن حاضراً هنا

- لا أهمية لذلك

بحثوا عن الجثث وجدوا جزءاً من ذراع يطفو على الماء ، وذراع امرأة شابة
كان باقى جسدها مع أسماك القرش بقايا من ملابس وأجساد كان هناك
سبعة موتى أربعة أطفال ورجلان وامرأة عاد الذين تم انقاذهم بالجثث راحت
الأم التى تحتضن الطفل إلى صدرها تنظر إلى الآخر ذى الشعر المجعد ممدداً
فى المركب كانوا خمسة خمسة أطفال ينتظرهم أبوهم فى الميناء كانوا
عائدين من رحلة إلى «كاشويرا» عندما فاجأتهم العاصفة الرجلان اللذان ماتا
كانا صاحبي المركبين الغارقين «باولو» وحده الذى تم انقاذه وهو ينقذ الطفل
لولا ذلك مات مع ركابه وغرق مع مركبه

كانوا خمسة أطفال والآن تضم الأم الوحيد الحى إلى صدرها كانت جثة
واحد منهم فى المركب وبقيت الجثث الأخرى مع أسماك القرش لن ترى الأم
حتى الجثث وذلك الذى فى «الباهل» ، جثة طفل ذى شعر أجعد كفت الأم عن
النواح راحت، فقط تحتضن الطفل الوحيد الذى بقى لها البحر يثور فى
موجات كبيرة والمراكب عائدة وأخذ مركب غارق يفوص ببطء كانوا خمسة
أطفال

مياه شاذة

منذ عودة «ليونسيو» واختفائه من جديد لم يعد العجوز «فرانشيسكو» يبقى
بالمنزل إلا قليلاً صار يمضى وقته على أرصفة الميناء فى الأحاديث ويشرب فى
«منارة النجوم» ويعود مخموراً عند مطلع النهار لم يود أن يحكى حكاية

«ليونسيو» وطلب إلى «جوما» ألا يذكره قط أمامه كان «جوما» قلقاً من سكرات العجوز «فرانشيسكو» قال له الدكتور «رودريجو» إن العجوز لن يقاوم كثيراً على هذا النحو فكر في أن يلفت انتباه عمه ، لكنه تلقى رداً أحبطه

- اهتم بحياتك أنت

«روفينو» أيضاً قد تغير في البداية شك «جوما» في الأمر ومع ذلك تركته «إيزميرالدا» جانباً لبعض الوقت ، كانت تبدو وكأنها عثرت على رجل آخر لم يعد «جوما» مطمئناً كان يتخيلها ميتة ، كان ذلك هو الشيء الذي يفكر فيه أكثر من غيره تموت «إيزميرالدا» ، ويتحرر هو أخيراً من كل هذا العبء، كان لديه إحساس بأن الخلاسية إذا ماتت فسوف تنتهي كل أسباب الحزن والندم ومن كثرة ما كان يفكر في ذلك كان يرى جثتها ممددة على مائدة حجرة الطعام، وعينيها مغلقتين وفيها الظمان إلى القبلات قد أغلقه الموت ، ويرى «روفينو» وقد وجد عزاءه سريعاً مع امرأة أخرى سوف تبكى «ليفيا» بجوار النعش وسوف يأتي رجال الميناء ليروها للمرة الأخيرة لقد كانت خلاسية جميلة

ولكن المصيبة أنها لم تمت لقد كانت حية ومن المؤكد أنها تخون «روفينو» مع رجل آخر يغار منه «جوما» دون أن يعرفه ، ويقال في الميناء إنه بحار هناك سفينة شحن تنتظر على الرصيف للإصلاح منذ ثمانية أيام بكاملها كان أحد بحارتها قد رأى ردفى «إيزميرالدا» وتذوق قبلاتها وامتلك جسدها ووسط شكوكه راح «روفينو» يراقب الخلاسية

ذات مساء ، كان «جوما» قد عاد توأ من رحلة ذهب إليه «روفينو» وبأدبه:

- لقد وضعت لى قرنين !

- ما هذا ؟

- أنا زوج مخدوع ، أنا

وأخذ يشرح

- كنت أضع أصبعي في أذني ولما وضعت عيني عليها اكتشفت الخدعة في
النهاية

وجدت اليوم خطاباً منه

- من هو ؟

- بحار على السفينة «ميراندا» لقد رحلت السفينة اليوم ولذلك لم يتلق طعنة

بالسكين

- وماذا أنت فاعل ؟

- سوف ألقنها درساً يا أخي ! لقد لعبت بعواطفى

- ماذا ستفعل ؟ لن تفقد حياتك من أجلها

- كنت أعرف بما فيه الكفاية أنها ليست جادة وأنها خائنة عندما وجدتها

كانت لآخرين من قبل كانت سيئة السمعة لكن عندما نفتتن لا نرى شيئاً راح

ينظر إلى شيء في خط الأفق كان صوته منخفضاً ورتيباً لم يعد يشبه

«روفينو» الذى كان يغنى فى الميناء .- أعتقد أن الأمر حدث مع الآخرين يتم

خداعنا ثم نترك ولكنها فتنتنى لم يعد بالإمكان فعل شيء ، وسوف يسخر منى

كل الناس فى الميناء

وخفض صوته أكثر من ذى قبل

- كنت تعرف ولم تخبرنى

- لا أعرف شيئاً لقد عرفت الآن فقط ما قلته لى ماذا ستفعل ؟

- لى رغبة أن أمزقها إرباً وأن أغرق عشيقها

- لن تفقد حياتك بسببها

- سوف أخبرك بشيء لست متأكد مما سوف أفعله ولكنى أريد إن وقع

لى مكروها أن تفعل شيئاً من أجلي

- لا تفكر فى ارتكاب حماقة الق بها فى الخارج

- كل شهر كنت أبعث بعشرين ألف رايس إلى أمى ، إنها عجوز تسكن فى ضواحي «لابا» لم تعد تستطيع العمل إذا وقع لى مكروه بع مركبى وابعت لها بالنقود

خرج مندفعاً دون أن يتيح لجوما الوقت ليمنعه ذهب مسرعاً نحو أرصفة الميناء وفى البيت المجاور كانت «إيزميرالدا» تغنى بصوت مرتفع خرج «جوما» خلفه لكنه لم يستطع أن يلحق به

كان القمر مكتملاً متالقاً فى السماء ينصت لأغنية «روفينو» «كم أنا حزين لغياب المرأة الزائفة التى خدعت قلبى» إنها أغنية شعبية شهيرة على شواطئ الميناء، وكانت «إيزميرالدا» معه فى القارب لا تبالى بشئ تتردى ثوبها الأخضر لأنه قال إنهما ذاهبان إلى عيد القديس «سانتو امارو» ولأنه يفضل الثوب الأخضر فقد ارتدته لتدخل السرور على نفس رجلها إنها لا تحبه ، هذه حقيقة ولكن عندما راح الزنجى يغنى لم يستطع أحد مقاومة صوته الدافئ جلست «إيزميرالدا» بالقرب منه كان المجدافان يشقان الماء والريح تدفع الشراع كان النهر مقفراً عميقاً يترامى على امتداد واسع يعكس النجوم كمرآة راح «روفينو» يغنى لكن عندما حانت اللحظة ترك المجداف ولاذ بالصمت التصقت به «إيزميرالدا»

- أغنية عذبة

- هل راقت لك ؟

نظر إليها عينان خضراوان تغويان وفم ينفرج لقبلة أشاح «روفينو» بوجهه؟ هل سيقاوم ؟ فى نفس هذه اللحظة كان أحد البحارة يسخر منه على متن السفينة «ميراندا»

- أتعرفين ماذا سأفعل بك ؟

- ماذا ؟

- سوف أقتلك

- كف عن المزاح

كان القارب يتقدم ببطء وسط رقعة النسيم كانت ليلة للحب وكان «روفينو» يتكلم بحزن لم تكن في صوته كراهية

- لقد خنتني مع بحار من «ميراندا»

- من قال لك ؟

- كل الناس يعرفون ذلك ويسخرون مني إذا كنت لا تريدني فلماذا لم ترحلي ؟ تودين أن يسخر مني كل الناس لذا فسوف أقتلك

- إنه «جوما» الذي أخبرك ، أليس كذلك ؟ (كانت تعرف أن موتها محقق فأرادت أن تعذبه بقدر ما تستطيع) سوف تقتلني وبعد ذلك تذهب إلى

السجن من الأفضل ألا تقتلني دعني أذهب لن أعود أبداً إلى هذا الميناء

- سوف ترين «جانينا» استعدى

- إنه «جوما» الذي أخبرك ، أليس صحيحاً ؟ لقد كان غيوراً وقد لاحظت ذلك كان يظن أنني لم أكن لأحد غيره لكنني لم أكن مع «جوما» إلا مرات قليلة

كنتُ أحب البحار

- لا تفسدى ما بيني وبين «جوما» لقد خلصني من فم سمكة القرش وتريدان أن تفسدى ما بيننا

- ماذا أريد ؟

حككت كل شيء بأدق التفاصيل وحككت كيف امتلكها «جوما» ليلة مرض «ليفيا» وهي تضحك

- هل ستقتلني الآن سيبقى أناس كثيرون في الميناء ليضحكوا عندما تسجن.

سيبقى «فلوريانو» وسيبقى «جوما»

كان «روفينو» يعرف أنها تقول الحقيقة، امتلاً قلبه بالحزن وهو يرغب في الموت. أحس أنه غير قادر على قتل «جوما» الذى أنقذه ذات مرة ثم إن «ليفيا» لا ذنب لها ولكن قلبه كان يرغب في الموت ، ولما كان موت «جوما» غير ممكن فسوف يكون موتها هى تألق القمر فوق البحر الكبير فى السماء كانت «إيزميرالدا» لاتزال تضحك ثم ظلت تضحك حتى ماتت. شق الجداف رأسها كان «روفينو» ينظر إلى الجسد الذى يغوص استجابت أسماك القرش لنداء الدم الذى يطفو على مياه النهر وهو ينظر لقد كان الجسد الذى يغرق محبوباً جسداً جميلاً شهوانياً ذا عينيْن خضراوين ونهدين منتصبين، جسداً كان يدفء جسده فى ليالى الشتاء لم يفكر فى «جوما» للحظة واحدة كما لو كان صديقه قد مات منذ أمد بعيد مرر يده طويلاً على جسم القارب ونظر للمرة الأخيرة إلى الأضواء البعيدة فى الميناء انشقت المياه أمام جسده وفى اللحظة التى سعد فيها إلى السطح لآخر مرة لم يعد يرى قاربه الذى جرفه التيار بلا مراكبى ، ولكن أمام عينيه كانت تمر صور كل الذين أحبهم الزنجى رأى أباه ، عملاقاً يتتسم ورأى أمه ، عجوزاً محدودة ، ورأى «ليفيا» الذى كان شاهداً على زواجها رآها فى موكب الزفاف ورأى دونا «دولشى» والعجوز «فرانشيسكو» ، والدكتور «رودريجو» والمعلم «مانويل» ورجال المراكب الشراعية والمراكبية ورأى «جوما» ، ولكن «جوما» كان يسخر منه ويضحك من وراء ظهره بعينين فاقدتى الحياة تقريباً كان يرى «جوما» يضحك منه ، مات بلا بهجة

« البابل »

عاد «شيكو تريستيزا» ! ذات يوم أتت به سفينة شحن اسكندنافية مثلما ذهبت به سفينة منذ سنوات عديدة كان قد أصبح زنجياً ضخماً أمضى يومين فى الميناء الوقت الذى مكثته سفينته هناك ، ثم رحل من جديد فوق مياه المحيط لكن الليلة التى أمضاها فى الميناء كانت ليلة عيد فأولئك الذين يعرفونه أتوا

لرؤيته ، والذين لا يعرفونه أتوا ليتعرفوا عليه كان يعرف لغات غريبة وكان قد جاب أراضى بعيدة كبعد أراضى «أيوكا»

صافحه «جوما» وطلب العجوز «فرانشيسكو» معرفة الأخبار ابتسم «شيكو تريستيذا» كان قد أتى بوشاح من الحرير لأمه العجوز التى تباع «الكوكادا» وفى المساء ، ذهب أمام السوق ، وتجمع الرجال من حوله ، وقص عليهم حكايات الأراضى التى عرفها حكايات الموانىء والتجارة والسفن ، حكايات مضحكة أحيانا وكئيبة أحيانا أخرى ومع ذلك تغلب عليها الكآبة فى مجملها كان الرجال يصغون إليه وهم يدخنون غلايينهم الطويلة ناظرين إلى المراكب الشراعية وفى الخلف كان ظل السوق يبدو وكأنه يطبق عليهم حكي «شيكو تريستيذا»

- هناك فى أطراف أفريقيا حيث كنت بأصدقاء حياة الزوج مثل حياة الكلاب

لقد كنت فى الأراضى التى هى الآن فى أيدي الفرنسيين ، هناك لايساوى الزوج شيئا ، فالزنجى الذى هو عبد للأبيض يتلقى ضربات السوط ، ومع ذلك فهو فى وطنه

- لو لم يكن فى وطنه فكيف سيكون الأمر !؟

نظر «شيكو تريستيذا» إلى السائل وتابع حديثه

- حياة الزوج فى عقر دارهم لا تساوى شيئا ، الأبيض هو كل شئ ، يستطيع كل شئ الزوج يعملون فى الميناء يقومون بشحن وتفريغ السفن يجرؤن أسرع من الفئران ، حاملين الأجوالة على ظهورهم، وإذا لم يسرع أحدهم ، ضربه الأبيض بالسوط ، وهذا شئ لا تستحب رؤيته

كان الآخرون يستمعون فى صمت انتفض أحد الزوج من الغضب ، وواصل «شيكو تريستيذا» :

- لقد حدثت هناك الحكاية التى أرويها يا أصدقاء عندما كنت هناك مع سفينة تابعة لشركة «للويد البرازيلية» ، كان الزوج يقومون بشحن السفينة وسوط الأبيض يقرقع فى الهواء كان ينتظر ألا يسرع أحد الزوج لكى يلهب ضلوعه بالسوط ، وصل أحد الزوج الذى كان وقادا فى السفينة ويدعى «باجيه» لقد ذهب لرؤية إحدى الخلاسيات ، كان أتياً وتلاقى على الصقالة مع زنجى من البلاد يحمل جوالا فوق ظهره بواسطة هذه الصقالة يصعدون إلى السفن توقف الزنجى للحظة وهوى سوط الأبيض على ضلوعه فسقط على الأرض لم يرق لباجيه منظر السوط يعمل ، وكانت المرة الأولى التى يذهب فيها إلى هذه البلاد عندما رأى الزنجى يتلوى من الألم ، انتزع «باجيه» السوط من الفرنسى وضربه ضربة قوية سقط الفرنسى وحاول أن ينهض لكن «باجيه» كالم له ضربة أخرى وحطم وجهه. عندئذ صعد زنوج البلاد من قاع السفينة وغنوا لحن سامبا لأنهم لم يروا ذلك من قبل

كان الآخرون ينجسون لم يستطع أحد الزوج أن يتمالك نفسه فتمتم

- يعجبني «باجيه» هذا

لكن «شيكو تريستييزا» ذهب ، فسفينته لن تبقى إلا يومين ، وفى المساء الثانى سوف ترفع المرساة وتعود نحو المحيط لأن ذلك هو مصير «شيكو تريستييزا»

***.

غادره «جوما» أسفا فحكاية الزنجى «باجيه» عقلت بذهنه فكهذا كانت معجزة دونا «دولشى» تتحقق شيئا فشيئا

فكر «جوما» أيضا فى السفر وهو أصغر سنا لعله لو رحل إلى أراض بعيدة وانتقم للزنوج المهانين، لكان قد تعلم هذه الأشياء التى يعرفها «شيكو تريستييزا» لكنه بقى فى الميناء بسبب «ليفيا» لم يبق إلا بسببها ومع ذلك خانها وخان «روفينو» وخان قانون الميناء. لم يعد هناك لا «روفينو» ولا «ايزميرالدا» لم يجدوا إلا قطعاً من جثتيهما ، لقد التهمت هما أسماك القرش عند الحاجز ، وجاء جيران

آخرون ليعيشوا فى المنزل المجاور ، لم يعد يرى صدر «ايزميرالد» يبرز ثدياها فى النافذة لتثير المارة من الرجال لن يرى بعد ذلك ردفها الملقوفين ونظرتها الشرهة إن تعنجا وعينها الخضراوين مثل البحر ، ذهب كل ذلك مع أسماك القرش ، سادة هذه الأنحاء بين بداية البحر ونهاية النهر الحاجز
يخيل له أحيانا أنه يسمع صوت «روفينو» يقول له يا أخى ، يا أخى « أو حتى يشكو إننى أحب هذه الخلاسية ، إننى مفتون بها « فى الميناء ، يبدأ كل شئ وينتهى فجأة مثل العاصفة ، إلا خوف «ليفيا» الذى يمتد من يوم ليوم، والذى أصبح عذابا بلا نهاية

إن خوف «ليفيا» يزداد فى كل مرة فهى لم تعدت حياة الميناء هذه حياة الانتظار الأبدى هذا بل على العكس ، راح خوفها يزداد يوما عن يوم ، وكأن حياة «جوما» فى كل مرة تبدو لها فى خطر أكثر ، كانت تنتظره كل يوم ، وفى أيام العاصفة يخفق قلبها بسرعة ، لقد رأت الكثير فى الشهور الأخيرة مع عودة الصيادين ، رأت عودة أشلاء «روفينو» و«ايزميرالد» الميتين ، لا يدرى أحد كيف كان قاربهما يطفو فوق المياه بلا هدف ، بلا دفة ، من أجل ذلك ظلوا يبحثون عن الجثتين لم يجدوا سوى قطع من الأذرع والسيقان ورأس «ايزميرالد» وعينيها مفتوحتين فى فزع ، لقد رأت «ليفيا» أيضا عودة جثتى «جاك» و«رايموندو» الابن والأب ، ميتين فى العاصفة ، ترك «جاك» امرأته «جوديث» أرملة ، ثم جاء الطفل إلى الحياة وعاشت «جوديث» حياة بأئسة على الصدقات تقريبا ، لقد رأت «ليفيا» «ريزوليتا» تتعهر وتذهب مع أى إنسان ، هى التى لم تكن إلا لرجل واحد طوال عشر سنوات لكن رجلها مات عندما غرق المركب «فلور دوس مارييس» المركب الشراعى الذى اصطدم بالصخور ، لقد عرفت «ليفيا» حالات كثيرة مشابهة

قليل من أصحاب المراكب الشراعية من يموت على اليابسة ، فى بيت من بيوت الميناء ، ومن النادر أن يموت أحدهم فى فراشه دون أن ترى لحظة موته السماء المرصعة بالنجوم وزرقة البحر كانت «ليفيا» خائفة فإذا استطاعت أن تصمد

أكثر مثل «ماريا كلارا» التى هى ابنة البحر سيكون كل شئ على ما يرام لم يخالج القلق قلب «ماريا كلارا» لأنها تعلم أن الحياة لا بد أن تكون هكذا لقد ولدت بجوار البحر ، وفى المحيط كانوا كلهم اقاربها ، المعلم «مانويل» وحده الذى لا يزال يواصل الإبحار ، ومع ذلك فلها عائلة كبيرة أبوها وأمها ، أخوة وأقارب مختلفون، لا يزال «مانويل» باقيا رجلا وحيدا ولكن يومه سوف يأتى عندئذ سوف تبحث «ماريا كلارا» عن مصنع تتبع له جهد يديها ، وسوف تغنى بصوت خافت أغنيات البحر بجوار النسيج أو ماكينات صنع السجائر، وسوف تعود إلى البحر عندما يقترب يوم موتها لأنها ولدت هناك ، فهناك ميناؤها وعليها أن تموت فيه ، هذا ما تفكر فيه «ماريا كلارا» ، ولكن «ليفيا» جاءت من اليابسة لم تكن ابنة بحر ، ولم يفرق أحد من أسرتها تحت الماء ، ولم يرحل أحد منهم مع «يمانجا» نحو البلاد المجهولة ، و«جوما» نفسه سوف يرحل ، فهذا هو مصير الميناء لا يمكنه الافلات منه تقول «ماريا كلارا» إن «ليفيا» تتوجس كثيرا من موت زوجها الأمر الذى يسبب لها الشقاء ، لكن يقين «ليفيا» كبير لدرجة أنها تراه فى كل مرة يعود فيها وكأنه بعث حيا

إن أيام الانتظار والخوف تكرر «ليفيا» الميناء رائع ومياه البحر تلطم الصخور، ليس هناك سماء أكثر جمالا، هناك الغناء فى جميع المراكب الشراعية والضحكات على شفاه الرجال لكن بالنسبة «ليفيا» فإن الأيام حزينة ملأى بالمعاناة

ذات يوم ظهر «رودولفو» كان قلقا وجاء ليرى «جوما» لم تسأله «ليفيا» من أين جاء ، تناول معها العشاء وانتظر عودة «جوما» كان المركب قد انتظر حوالى عشر ساعات و«رودولفو» يدخن نافذ الصبر لا يقر فى مكان قال «ليفيا» التى كانت تنظر إليه

- لم أت يوم الزواج ، لم يكن ذلك عن سوء قصد بل منعنى مانع ، ولكننى أرى الأمور تسير على ما يرام أريد أن يكون لى ابن أخت ..

- إذن ، متى ستهجر هذه الحياة المضطربة يا «رودولفو» ؟ يمكنك أن تتوقف ، حاول أن تجد عملا شريفاً هذه الحياة لا تسفر عن شيء ، سوف تنتهي نهاية سيئة وسوف يعاني الآخرون من جراء ذلك

- لا أحد يفكر في يا «ليفيا» ، أننى مخلوق بائس ، لا أحد يحبني أدرك أنه ظلمها وأنها حزينة فأردف

- عندما أتحدث هكذا فإننى أضعك جانبا ، لقد عانيت من أجلى ، إنك أختي

إنك حقا طيبة

توقف في وسط الغرفة وواصل حديثه

- فكرت مرارا في هجر هذه الحياة منذ عثرت عليك لكن ذلك لم يدم فكلما وجدت عملا أقوم به كنت أفكر بأن ذلك سذاجة وأسقط من جديد في الفوضى منذ وجدتك توقفت ثلاث مرات ، كنت أمضى عشرة أيام أو أسبوعين في عمل ثم أرحل لا أصمد ، منذ ثلاثة شهور لا أكثر كنت في ناد للقمار ، كنت أعمل هناك بل إننى وفرت بعض النقود ، كنت أربح بعض المال

- ماذا كنت تفعل هنالك ؟

- كنت أقوم بعمل الدليل

ولما وجدها لم تفهم أخذ يشرح

- كنت أنا الذى يجذب المبتدئين ألعب ولا أفعل شيئا سوى الربح يأتون

ويرون حظى ويقعون جميعا في الشرك عندئذ كانوا يدفعون ويخسرون

ضحك ، وصمتت «ليفيا» بدأ يمشى

- لم استمر طويلا ، وجدت ذلك سذاجة ورحلت ، لم أكن أدرك ما يحدث ولم

أعرف شيئا على الإطلاق ، كان الأمر أقوى منى لا أجد نفسى إلا فى الأعمال

المعقدة ، فى الأعمال الخطرة

- إنك فى حاجة لترتيب حياتك قد أحتاج إليك يوما .

- إن لك زوجا طيبا ، إن «جوما» خلاسى طيب

- لكنه قد يموت

وضعت يدها على فمها أسفة على هذه الكلمات، - عندئذ لن يبقى لى سواك

لتساعدنى

خفصت رأسها وتمتمت تساعد الطفل

استدار «رودولفو» كان موليا لها ظهره فالتفت برأسه نحوها

- سأقول لك أتعرفين لماذا لم أت فى الزواج ؟ لقد أردت المجئ لكننى بحثت

عن بعض المال لأقدم لك هدية كنت مفلسا قابلت أحد الكولونيات شخص

يبود كالنائم ، أردت أن أسرقه

توقف برهة ، بدا كمن يعتذر

- فعلت ذلك لأقدم لك ساعة يد لقد رأيت فى فاترينة واحدة جميلة جدا

عندما انتبهت نزع الرجل يده منى وكان رجال الشرطة بجانبى وأمضيت عدة

شهور من أجل ذلك

- لا أود هدايا كنت أريدك أن تأتى

- بيدى خاويتين ؟ يالك من قديسة إن ذلك أقوى منى لم يعد هناك شئ

أفعله ، لكن إن كنت يوما فى حاجة إلى

أمسكت برأس أخيها كان متعبا ومتمللاً لم يصل «جوما» كانت فى هذه

اللحظة خائفة على أخيها وعلى زوجها ، لقد جاء «رودولفو» لسبب لاتعلمه ولم يرد

هو أن يخبرها به لقد جاء بلاشك ليطلب المال لا بد أنه لا يمتلك مليما وهو خارج

للتو من السجن تمدد على الحصيرة شعره مصفف بعناية مدهون بالبريانتين

الرخيص استند على ركبتي «ليفيا» مررت يدها على رأسه المتعبة من المغامرات

والسرقات الخطرة وغنت أغنية لتنويم الأطفال راحت تهدد أباها كأنها تهدد

ابنها . كان يتعامل فى النقود المزيفة وبيع الأراضى التى لا وجود لها إلا فى

مخيلته ، كان شريكا فى بيت القمار سئ السمعة ، يتردد على الأماكن المشبوهة، ويهدد الناس بنصل خنجره ليأخذ محافظ نقودهم، يعرف السجون على شفته السفلى آثار جرح ، وعلى يده ندبة من ضربة موسى ، لكنه فى هذه اللحظة كان ينام كطفل برىء كالطفل الذى تحمله «ليفيا» فى بطنها
أو كوليدها تهدده وينام

عندما جاء «جوما» كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة وضعت «ليفيا» رأس أخيها بحذر على الحصيرة وجرت نحو زوجها ، شرح سبب تأخره حدث طارئ أثناء عملية الشحن فى «مارجراندى» استيقظ «رودولفو» على صوت صهره

تعاقبا ذهب «جوما» يبحث عن «الكاشاسا» ليشريا كأسا من أجل الاحتفال بوصول «رودولفو» - كما قال - ولأنه أيضا كان مبلولا من شعر رأسه إلى أخمص قدمه

- إننى مبلل تماما

أحضرت «ليفيا» عشاء «جوما» وجلس «رودولفو» أمام كأس «الكاشاسا» راح «جوما» يلتهم السمك بسرعة ، وهو يبتسم مرة لزوجته ومرة لصهره ويشير برأسه إلى بطن «ليفيا» نظر «رودولفو» وتطلع مليا وهز رأسه ، لمس على شعره وشرب ما تبقى بالكأس

- حسن ، سوف أذهب

- اتذهب بهذه السرعة ؟

- لقد أتيت لأراكما

قالت «ليفيا»

- ولكنك لم تقل ما أردت أن تكلم «جوما» فيه ؟

- أردت أن أراه فحسب ، فمنذ مدة طويلة لم أراه

- نأمل أن تكون قد عرفت طريق البيت

ابتسم «رودولفو» ووضع قبعته بحذر حتى لاتشوش شعره ونظر في مرآة
أخرجها من جيبه ورحل وهو يصفر
تمت «ليفيا»

- لقد جاء يحدثك في أمر يبدو أنه يريد نقودا
أزاح «جوما» الطبق وناداه من النافذة

- «رودولفو» ! «رودولفو» !

كان الآخر عند نهاية الشارع فاستدار نصف استدارة توقف تحت النافذة
سأله «جوما» بصوت خفيض

- أنت مفلس ؟ أمن أجل ذلك أردت أن تتكلم ؟ بإمكانى أن أعطيك بعض
القطع النقدية

وضع «رودولفو» يده على كتف صهره ونظر إلى الوشم على ذراع «جوما»
ليس من أجل ذلك أخرج نقودا من جيبه وأراها له إننى مترع
بالنقود

- ما الأمر إذن ؟

- لاشئ ، لقد أتيت لأراكما

هبط الشارع من جديد كان يصفر لكن نون أن يفكر حتى بالموسيقى يفكر
بأنه جاء ليعرض على «جوما» واحدا من مشروعاته، شيئا بإمكانه أن يدر عليهما
المال بسهولة لكن قد يقودهما أيضا إلى السجن عض على شاربه المصقف
بعناية وصفر بقوة إن «ليفيا» قديسة وهو «رودولفو» سيكون له ابن أخت
ابتسم وهو يتخيل ما سيكون عليه وجه الطفل الباكي لحظة خروجه إلى الحياة
تعثر بحجر في طريقه وأخفق في مشروع جيد لكنه سرعان ما نسى كل ذلك
نسى أنه أخفق في مشروع جيد حتى لا يضيع «جوما» في موقف حرج بسبب أخته
وابن أخته ، وبدأ يتتبع خلاسية كانت أيضا تهبط الشارع

جاء العم وزوجة العم لرؤيتها فقد كانت أحوالهما على ما يرام ودكانهم قد توسع كان العجوز يرتدى ياقة مستعارة ، أحضرت زوجته خضراوات لليفيا عندما دخلا خرج العجوز «فرانشيسكو» لايحب النظرات التي يرمقان بها فقر المنزل مط العم شفثيه وقال لليفيا «مشروع المركب هذا لا مستقبل له ، لماذا لاتقنعين «جوما» بأن يتحول إلى المدينة وأن يترك البحر مرة واحدة وإلى الأبد ؟ يمكنه أن يبيع المركب ويدخل بثمنه كشريك فى تجارته يمكنهم توسيع المشروع ويمكنهم حتى أن يأسسوا حانوتا وأن يثروا ويؤمنوا مستقبل الطفل الذى سيولد ذلك أفضل له ، أن يهجر حياة الميناء والخطرة والإبحار فى النهر ، وأضافت زوجة العم أنهم لاي توقعان من «جوما» شيئا آخر إذا كان يحب «ليفيا» حقيقة كما يقول كانت «ليفيا» تنصت دون أن تتفوه بكلمة ، لكنها فى دخيلتها توافق وتتمنى أن يحدث ذلك

كانت على استعداد لأن تتخلى عن كل شئ لى يهجر «جوما» الميناء كانت تعرف أن البحار يهجر مركبه بصعوبة وأنه لا يذهب أبدا نحو حياة أخرى ويترك مياهه فمن يولد فى البحر يموت فى البحر لذلك لم تتكلم معه قط فى هذا الموضوع ولكن ذلك سيكون حلا لحياتها ، فأخيرا سيختفى خوفها الذى لم يتركها فى راحة وفوق ذلك ، فلن يولد ابنها فى الميناء ، ولن يشعر بأنه مرتبط بالبحر إن «جوما» يخطط منذ الآن لاصطحاب الطفل فى رحلاته وأن يعلمه بسرعة قيادة المركب بعد أن عانت كثيرا من أجل زوجها عليها أيضا أن تعانى ليالى فى انتظار ابنها

بمجرد أن ذهب العم والعمة أرادت أن تكلم «جوما» فى الأمر عليها أن تقنعه. سيبيع «الباسل» - بشئ من الألم بلاشك وهى أيضا سوف تتألم - ويذهب ليستقر مع أهلها - لن تعانى بعد ذلك من الخوف خططت لأن تحدثه ولكن عندما جاء «جوما» مبللا من البحر وهو لا يزال تحت تأثير الرحلة ، فقدت

ثباتها وشعرت بأنه من المستحيل أن تنتزعه من الميناء فمصيرها هو مصير الآخرين ، سوف تفقد رجلها فى ليلة عاصفة ، وسوف يكون ابنها قد تعود على الأشربة وقيعان المراكب وأغنيات البحر وصفارات البواخر ولن يستطيع شئ تغيير مصير السندباد البحار

توقف المطر ، وانقشعت الغيوم ، فشهد ديسمبر شهر أعياد فى المدينة وفى الميناء لكن القمر لم يظهر ، والسماة الرمادية لم تصبح زرقاء عند حلول الليل كانت الريح تحجب كل شئ وتقوم وحدها مقام المطر والبرق والرعد راحت تلعب أنوار الجميع والليلة ليلتها لم يسمع أحد الأغنية التى كان «جيريديه» يغنيها، كانت الريح تبعثرها راح البحارة المسنون يرتبون أشربة المراكب التى تدخل الميناء. الريح تهب بسرعة متزايدة ، وعلى المرء أن يكون بحارا ماهرا لكى يعرف كيف يوقف مركبا عند الرصيف فى مثل تلك الليلة كان كثيرون لايزالون فى عرض البحر، وكان آخرون يبحرون باتجاه الحاجز قادمين من النهر إن الريح من أعتى سادة الميناء - تقوم بتهيج المياه وبمقدورها أن تلعب بالمراكب وتقلبها فى البحر وتكسر معصم أولئك الذين يمسكون بالدفة كانت هذه الليلة ليلتها بدأت بأن أطفأت القناديل وحرمت البحر من أضوائه المنار وحده كان يسطع على البعد يدل المراكب الشراعية إلى الطريق لكن الريح كانت تجرفها عن الطريق وتجرفها إلى أعالى البحر حيث الأمواج أكثر شدة بالنسبة لمركب شراعى

لم يسمع أحد الأغنية التى يغنيها الجندى العجوز فى القلعة المهجورة ولم ير أحد ضوء المصباح الذى وضعه على حافة اللسان الممتد داخل البحر أطفأت الريح كل شئ ودمرت كل شئ المصابيح والأغنيات كانت المراكب تبحر بلا هدف على هوى الريح ، وتدور مثل لعب الأطفال ،

وكانت أسماك القرش تنتظر ساخطة عند الحاجز فغنائمها فى مثل تلك الليالى
مضمونة ، كانت المراكب الشراعية تترنح

اتشحت «ليفيا» بالوشاح بدت بطنها منتفخة لدرجة أنها أرسلت تستدعى
زوجة العم وهبطت الشارع. وعند باب حانة «منارة النجوم» كان العجوز
«فرانشيسكو» يتفحص الريح ، رحل معها، اما الآخرون فيشربون فى الداخل لكن
عيونهم متجهة الى الخارج الى الليل المنذر بالخطر
وفى الميناء كانت جماعات تتجاذب اطراف الحديث وفى مرفأ عابرات
القارات كانت الرافعات تتحرك من جانب إلى آخر. «ليفيا» أيضا خضعت لصفير
الريح

اقترب العجوز «فرانشيسكو» من إحدى الجماعات ليستمع إلى الأخبار
سمعت «ليفيا» من أطراف الحديث
لابد أن يكون فحلا بحق
إن هذه الريح أسوأ من أية عاصفة

انتظرت طويلا ربما لم يتعد الوقت نصف ساعة بالكاد ولكنه كان وقتا طويلا
جدا بالنسبة لها لم يكن الشراع الذى ظهر على البعد شراع «الباسل» بل يبدو
كشراع مركب المعلم «مانويل» كان قادما فى سرعة مجنونة والقائد منحيا فوق
الدفة استعدادا لعمل مناورة يوقف بها المركب كانت «ماريا كلارا» منحنية فوق
سطح المركب يتطاير شعرها فى الهواء ثبتت «ليفيا» الوشاح الذى ينزلق من
على كتفها وهى ترى الرجال يخوضون فى وحل الرصيف ويقتربون من
الشاطيء. رسى المركب وكانت «ماريا كلارا» منحنية فوق جسد وقبل أن تسمع
«مانويل» يقول «غرق الباسل» كانت تعرف أن «جوما» هو الذى هناك ممددا
فوق سطح «مسافر بلا مرفأ» ، كانت «ماريا كلارا» منحنية فوقه اقتربت «ليفيا»
كالكسكرة ولكنها سقطت فجأة فى الوحل الذى يفصلها عن المركب

الابن

استدعوا الدكتور «رودريجو». كان «جوما» مصابا فى رأسه فقد اصطدم بصخرة. عندما وصل الطبيب انشغل أولا بليفيا التى بسبب الهلع ولدت قبل الموعد بيضعة أيام. أخذ الطفل يبكى عندما استطاع «جوما» أن ينهض ورأسه ملفوف بالضمادات وذراعه معلقة فى عنقه بشريط من الشاش. نظر إلى الطفل الذى رأت «ماريا كلارا» أن رأسه يشبه رأس أبيه تماما:

– لاشئ ينقصه أو يزيد عليه. إنه «جوما» تماما

ابتسمت «ليفيا» فى وهن. طلب إليهم الدكتور «رودريجو» أن يخرجوا لكى تستريح «ليفيا». عاد المعلم «مانويل» إلى بيته، ولكن «ماريا كلارا» بقيت مع «ليفيا» حتى وصول زوجة العم. كان العجوز «فرانشيسكو» قد ذهب ليأتى بها ويخبر المعارف. قالت «ماريا كلارا» بمجرد أن أصبحت بمفردها مع «ليفيا»:

– اليوم كسبت ابنا وزوجا

– احك لى.

– ليس الآن، فأنت فى حاجة إلى الراحة. فيما بعد ستعرفين كيف حدث ذلك.

كانت الريح لاتحتمل...

راح «جوما» وغدا فى الصالة. لقد ولد ابنه ولم يعد له مركب يكسب به عيشه. لم يعد أمامه إلا أن يعمل كمراكبى فى أحد الزوارق. لم يعد له مركب ليتركه لابنه عندما يرحل نحو أرض «أيوكا». عليه أن يؤجر ساعديه، لم يعد له مركب خاص به، مركب يقوده، فكر بأن ذلك كان عقابا له لأنه خان «روفينو» وخان «ليفيا». إنه عقاب. لقد أقبلت عليه الريح وجرتة نحو الصخرة، لو لم يكن «مانويل» قد رآه فى الماء لم يكن «جوما» قد رأى ابنه.

دخل أقارب «ليفيا». قبلوا «جوما». كان العجوز «فرانشيسكو» قد شرح لهم كل شئ وهم قادمون. هموا بأن يروا «ليفيا». ذهبت «ماريا كلارا» لتعود فيما

بعد. نبهت بأن «ليفيا» نائمة حتى لا يوقظوها. بقيت زوجة العم فى غرفة النوم ولكن التاجر خرج منها لتوه ليكلم «جوما»:

– هل ضاع المركب تماما؟

– لقد غرق... كان مركبا جيدا.

– وماذا ستفعل الآن؟

– على أن أجد عملا فى أحد الزوارق أو فى المرفأ، لا أدرى..

كان حزينا، لم يعد له مركب ولن يكون لابنه. عندئذ اقترح عم «ليفيا»:

سيذهب «جوما» معه ليعتنى بالمشروع ويساعده. واقترح توسيع تجارته

– كنت أتحدث مع «ليفيا» فى ذلك. بأن تجد مشتريا للمركب وتدخل معى

كشريك. والآن لست فى حاجة لأن تدخل معى بأى شىء كان.

لم يجب «جوما». كان أليما بالنسبة له أن يغادر الميناء وأن يعترف بهزيمته. لم

يكن يود أن يقبل خدمة من عم «ليفيا». كان العجوز يأمل أن تتزوج زيجة ممتازة

لكى يوسع تجارته ويؤسس دكانا لقد عارض زواجها من «جوما» ومنذ ذلك الحين

تمت المصالحة وأصبح يفكر فيه كشريك. لقد انهارت كل أحلامه وكان عليه أن

يرضى بدكانه الصغير والذى على «جوما» أيضا أن يحصل منه على ما يتعيش

به. كان العم ينتظر إجابة.

دخل «فرانشيسكو». كان الحبر الطازج يلمع على ذراعه. كان قد كتب على

ذراعه اسم «الباسل» بجانب الأسماء الأربعة لمراكبه الأخرى: «تروفاو»، «نجمة

الصباح»، «لاجونا»، «فنتانيا». أضيف «الباسل» إليها. أظهر «فرانشيسكو» الوشم

الجديد بفخر. وضع الغليون وسأل «جوما»:

– ماذا ستفعل؟

– سوف أعمل بقالا

– بقالا؟

قال عم «ليفيا» بحزم:

– سوف يكون شريكى، سوف يهجر كل ذلك.

تناول العجوز «فرانثيسكو» الغليون وملاؤه بالتبغ ثم أشعله بينما واصل عم «ليفيا»:

- سوف يأتي ليعيش فى المدينة العليا. أنت أيضا يمكنك أن تأتى مع الجميع.
- لا يزال لدى مايكفى من الرجولة لأكسب عيشى دون صدقات.
- ظهرت زوجة العم على باب غرفة النوم واضعة إصبعها على فمها:
- اخفضوا صوتكم لكى تنام.
- استدرك عم «ليفيا» شارحا:
- لم أقصد إهانتك.
- فكر «جوما» فى عمه. ماذا سيفعل وحيدا فى الميناء؟ فبعد مدة قصيرة لن يكون باستطاعته أن يرتق الأشرعة ولن يكون بمقدوره أن يكسب عيشه.
- سحب العجوز «فرانثيسكو» نفسا من غليونه وسعل ثم قال:
- سأقول للدكتور «رودريجو» إنه لم يعد فى حاجة إليه...
- إلى ماذا؟
- «جواو كاسولا» يبيع مركبه «الهادر». لقد اشترى ثلاثة زوارق، ولم يعد فى حاجة إلى مركبه، إنه يبيعه بثمان زهيد. يكفى إعطائه نصف الثمن فقد قال الدكتور «رودريجو» إنه سوف يساعد.... لكنك سوف تصبح بقالا
- هل سيدفع الدكتور «رودريجو» نصف الثمن؟
- سوف يقرضك وترد له وقتما تستطيع، والنصف الآخر مؤجل، يسدد على أقساط شهرية.
- أهو مركب جيد؟
- لا يوجد أفضل منه فى هذا الميناء... «كان العجوز «فرانثيسكو» متحمسا»... لا أرى سوى «مسافر بلا مرفأ» وكل المراكب الأخرى أقل منه قيمة.. إنه يبيعه بثمان زهيد جدا.
- نطق بالثمن وأدرك «جوما» إنه ليس غالبا.. كان يفكر فى ابنه الذى باستطاعته هكذا أن يكون له مركب.

- هل «جواو كاسولا» هناك؟

- إنه فى رحلة ولكن عندما يعود سنتكلم فى الأمر.

- ألا يريد أحد مركبه؟

- ومن ذا الذى لا يريده؟ هناك أناس يتكلمون فى الصفقة، ولكننى رتبت الأمر

معه. إننى أعرف «جواو كاسولا» منذ أن كان صغيرا.

دخل عم «ليفيا» إلى غرفة النوم. نظر «جوما» إلى «فرانشيسكو» كمنقذ. كان

العجوز يدخن الغليون ماذا ذراعاه فوق المنضدة ليجفف الوشم. قال:

- إنه الذى مكث طويلا من بين مراكبى.

- «الباسل»؟

- أتذكر عندما خاطرت به فوق الصخور؟

ضحك. وضحك «جوما» أيضا ذهب ليحضر زجاجة «الكاشاسا».

- سوف نغير اسم «الهادر».

- وأى اسم نعطيه إياه؟

- عندى اسم رائع: «المركب السريع».

دخل بعض الأصدقاء. وسرعان ما فرغت زجاجة «الكاشاسا». كانت رائحة

الخزامى تفوح فى أرجاء المنزل.

عندما تمكن أن يتحدث معها بمفرده أخبرها كيف وقعت الكارثة. كانت تستمع

وعينيها نصف مغلقتين. وكان المولود نائما بجانبها. وما أن انتهى حتى قالت:

- الآن لم يعد لنا مركب سوف نبحث عن حياة أخرى.

- ولكننى أتفاوض بشأن مركب آخر.

شرح الصفقة التى أمامه.. بمركب مثل «الهادر» من المؤكد أنه سيجنى المال.

إنه مركب كبير وسريع.

- تعرفين جيدا أننى لا أستطيع أن أذهب إلى عمك وأدخل بلا شىء. عندما

نربح المال بواسطة المركب نستطيع أن نبيعه وننضم إليهما، ساعتها نعم.

- حقا؟

- أقسم على ذلك.

- وكم سيستغرق ذلك؟

- فى مدى ستة شهور أكون قد سددت.. بعد ذلك، خلال سنة أكون قد ربحت بعض المال ويمكننا بيع المركب. وبما يدفعه العجوز من جانبه نؤسس الدكان.

- أتقسم على ذلك؟

- أقسم.

عندئذ أشارت له على الطفل وبعينها كانت تقول إنه من أجله ومن أجله فقط.

توفيق العربى

جاء فى الدرجة الثالثة.. فى سفينة توقفت فى عشرين ميناء مختلفا. لقد أتى من بلاد على الجانب الآخر من العالم. كان لايحمل شيئا تقريبا فى حافظته الجلدية التى يضمها إلى صدره قبل أن يبدأ فى غزو شارع «الجبل». جاء فى ليلة عاصفة، فى الليلة التى غرق فيها مركب «جاك» بالقرب من الحاجز، بالدرجة الثالثة، عندما رأى المدينة الأجنبية أمامه، أخذ يبكى. لقد جاء من بلاد العرب، من قرية فى الصحراء، هزم بحار الرمال ليأتى يكسب عيشه على الجانب الآخر من الأرض. كان آخرون قد أتوا قبله. عاد بعضهم وأصبح لهم مزارع زيتون وبيوت نظيفة وأصبحوا أغنياء. كما جاء هو من أجل ذلك، رحل من الجبال، عبر فيافى واسعة من الرمال على ظهر جمل، وصعد فى الدرجة الثالثة فى سفينة وظل لعدة أيام فى البحر.

لايزال لايعرف اللغة فكان يبيع المظلات والحرائر الرخيصة والمحافظ الجلدية لموظفى وخدم «باهيا». وشيئا فشيئا تأقلم مع المدينة واللغة والعادات. كان يعيش فى الحى العربى فى شارع «بيلورينيو» يخرج من هناك كل صباح بحقيبته كبائع متجول. بعد ذلك سيزدهر وعندئذ يتعرف على «مراد» العربى أكبر ثرى فى المدينة.

كان محل الحرائر الكبير الذى يملكه «مراد» يحتل مجموعة كاملة من العمارات فى شارع «شيلى» يقال إنه أثرى من تهريب الحرير. كان الكثيرون من العرب الآخرين يكرهونه ويقولون إنه لا يساعد أبناء جلدته. والحقيقة أن «مراد» كان يلم بإحصاء حقيقى لأبناء وطنه من ساكنى «باهايا». وكلما اتضح له أن أحدهم نافعا له يستدعيه كان لديه دائما عمل فى تجارته المختلفة. ومنذ وقت طويل أخذ يهتم بتوفيق، لقد تسلم رسالة تخبره بوصوله وبالسبب الحقيقى لمجيئه، لم يأت «توفيق» من أجل السعى وراء الثروة فقط. لقد غادر وطنه لأنه أراد أن يكون منسيا هناك. لقد ترك وراءه بقعة من الدم. أبقاه «مراد» تحت المراقبة لعدة شهور ورأه كيف يزدهر بسرعة، لقد كان، قبل كل شىء، رجلا شجاعا يستطيع القيام بأى عمل يعود عليه بالمال، استدعاه «مراد» وألحقه بالعمل فى أكثر مشروعاته ربحا، منذ ذلك الوقت و«توفيق» هو الذى يتعامل مع الموردين وقباطنة السفن فى كل مايتعلق بشحن الحرير المهرب أظهر كفاءة، فلم تكن الصفقات قد راجت بمثل هذا القدر قط.

بعد بضع سنوات سيكون بإمكان «توفيق» أيضا أن يعود إلى بلاده، ويستطيع عندئذ أن يمحو بقعة الدم التى خلفها هناك بزراعة غابة من الزيتون فوقها كان يعرف الميناء جيدا وكان أصحاب المراكب الشراعية مألوفين له. يعرف أسماء جميع المراكب وإن كان ينطقها خطأ بطريقة مضحكة. كان «شافييه» صاحب المركب «كابوريه» يعمل لحسابه. وإذا كان «شافييه» لا يدخر مالا فذلك لأنه يزهد فى الحياة ولأن نقوده تكاد تكفيه ليشرب فى «منارة النجوم» ويلعب القمار فى بعض البيوت المشبوهة فى شوارع المدينة العليا لقد كان المركب «كابوريه» هو الذى يذهب بجوار السفن تحت جناح الليل ليأتى بمقاطع الحرير إلى أماكن لايعرفها إلا قلة من الناس. من كثرة ارتياد هذه الطرق المجهولة والخطرة أصبح «توفيق» العربى تقريبا بحارا حقيقيا، فعلى الأقل، أصبح مفتونا بالأغنيات التى يغنيها فى الليل الجندى العجوز «جيرييه» فى القلعة القديمة. وفى ليلة ضبابية،

غنى بلغته أغنية قد سمعها من أبناء بلده، بحارة الميناء الذى أبحر منه. أغنية غريبة تدور فى ضباب الليل. ولكن أغانى البحارة على اختلاف ألسنتهم وموسيقاهم تتحدث دائما عن الحب وعن الموت فى البحر. لذلك فكل البحارة يفهمونها حتى وإن غناها عريبى من الجبل سمعها فى ميناء متواضع فى آسيا.

المهرب

بدأ الطفل يمشى ويلعب بزوارق صغيرة من صنع العجوز «فرانشيسكو». وكان القطار الذى أحضره «رودولفو» ملقى فى أحد الأركان دون حتى أن يلتفت إليه الطفل وكذلك الدب الصغير الذى اشتريته «ليفيا» بثمن زهيد والدمية التى قدمتها له زوجة عم «ليفيا»، صنع الزورق من قطعة عصا أعطاهها العجوز «فرانشيسكو» قيمة أكثر من كل اللعب الأخرى. وفى الطست الذى تغسل فيه «ليفيا» الثياب كان يطفو تحت النظرات المفتونة للطفل والعجوز. يبحر بلا دقة أو دليل ولذلك لا يصل أبدا إلى الميناء أو يتوقف فى وسط الماء أو يذهب إلى المجهول. يتكلم الطفل بلسانه الذى يشبه لسان «توفيق» العريبى:

– بيبية، إعمل عاتقة (١)

كان العجوز «فرانشيسكو» يفهم أنه يريد أن تهب العاصفة على الطست. وكما تقوم «يمانجا» بإطلاق الريح على البحر، كان العجوز «فرانشيسكو» ينفخ شدقيه ويطلق «الرياح الشمالية الشرقية» على الطست. ويدور الزورق المسكين حول نفسه ويذهب على هوى الريح بسرعة، فيصفق الطفل بيديه الصغيرتين المتسختين وكان العجوز «فرانشيسكو» يزيد فى نفخ شدقيه ويزيد من قوة الرياح ويصفر مقلدا أغنية الموت للرياح الشمالية الشرقية، بقدر مياه الطست الهادئة مثل مياه بحيرة تتحرك وتكتسح الأمواج الزورق الذى ينتهى بأن يمتلأ بالماء ويفرق ببطء. عندئذ يخطب الطفل بيديه بينما ينظر العجوز «فرانشيسكو» فى حزن إلى الزورق يهبط

(١) بابا إعمل عاصفة

إلى القاع. فبالرغم من أن ذلك لعبة من صنع يديه فقد كان الأمر يتعلق بمركب يغرق. تهدأ أمواج الطست فيصبح مثل بحيرة. بينما يرقد الزورق على جانبه فى القاع ولكن الطفل يمد يديه فى الطست ويخرجه وتبدأ اللعبة من جديد. وهكذا يقضى الطفل والعجوز سهرتهما منكفئين على بحر مصفر ومركب مصفر، على المسير الحقيقي للمراكب ولرجال البحر.

وكانت «ليفيا» تنظر بقلق إلى الدب والقطار والدمية المهملين. لم يقم الطفل قط بإخراج القطار فوق رصيف البيت. ولم يقم قط بجعل الدب يضرب الدمية، فمصير الأرض لا يستأثر باهتمامه، كانت عيناه اليقظتان تتبعان الزورق الصغير فى صراعه ضد العاصفة التى تخرج من شدى العجوز «فرانشيسكو». بينما الدب والقطار والدمية مهملين. ذات يوم، ملأ الأمل قلب «ليفيا» يوم أن قام «فريديريكو» - فهكذا يدعى - بترك الطست فى وسط أشد العواصف هياجا وذهب يبحث عن الدمية. عندما وجدها أمسكها برفق. راحت «ليفيا» تتابعه بانتباه. هل تعب من العواصف ومن حوادث الغرق؟ هل كان يهتم بمصير الزورق فى حدود أنه شىء طريف؟ هل يعود متعبا إلى اللعب الأخرى المنسية؟ كلا. لقد وضع الدمية فى الزورق. أراد أن يجعل منها قائدا للزورق. لقد كانت قائد مركب غريب فى الحقيقة هذه الدمية ذات اللونين الأصفر والأزرق! ولكن هناك بحارة كثيرون فى ملابس غريبة لدرجة لا يستغرب معها أحد هذا اللباس القطيفى، ومنذ ذلك اليوم، وفى كل مرة يغرق فيها المركب كانت الدمية التى تصارع حتى آخر لحظة ضد العاصفة تغرق وتموت مثل قائد مركب، كان جسدها ينتفخ فى قاع الطست كأنها مملوءة بالكابوريا فيخبط الطفل بيديه ويضحك من جده، كما يضحك «فرانشيسكو» وتبدأ اللعبة من جديد.

كان الزورق يغرق دائما، وكان قائده يغرق أيضا حتى تلف القماش لدرجة أنه فى أحد الأيام نقصت منه ساق. لكن رجل البحر لا يطلب صدقة، واستمر البحار القليفة يصارع ضد العواصف بساق واحدة مستندا إلى صارى مركبه. كان الطفل يقول للعجوز «فرانشيسكو»:

- أثلتها الثمكة (١).

وكان العجوز «فرانشيسكو» يفهم أن سمكة القرش قد أكلت الساق. ثم أكلت الرأس التي انفصلت عن الجسد خلال إحدى العواصف الشديدة، وحتى بلا رأس إنه البجار الأكثر غرابة فى كل البحار و ظل على دفة زورقه يعبر به العواصف. كان الطفل يضحك والعجوز يضحك فالبجر بالنسبة لهما البحر صديق لطيف. «ليفيا» وحدها التي كانت لاتضحك. تنظر إلى الدب والقطار المتروكين بالنسبة لها كان البحر خصما أكثر ضراوة، والرجال الذين يحيون فى البحر هم مثل هذه الدمية من القطيفة الصفراء والزرقاء التي جعل منها مصيرها بحارا: حتى بلا ساق، حتى وهى مشوهة تصارع ضد غضب البحر، دون إشارة كراهية. كان الطفل والعجوز يضحكان، وتهب العاصفة الهائجة على الطست ويذهب الزورق فى مهب الريح ويحاول البحار بلا رأس وبلا ساق أن يوجه مركبه.

كان المركب «الهادر» قد تحول إلى «المركب السريع» وأعيد طلاؤه من جديد، تلزمه أشرعة جديدة ويصبح أسرع مركب فى ميناء باهيا. دفع الدكتور «رودريجو» نصف المبلغ الذى سيسدده «جوما» بعد أن ينتهى من سداد النصف الآخر لـ «جواو كاسولا» على عشرة أقساط شهرية، والنقود التي كان يحتفظ بها فى البيت دفعها فى إصلاحات المركب وعاد إلى البحر فى شجاعة، أما مهلة السنة التي حددها لـ «ليفيا» ليحصل على بعض المال ويدخل شريكا مع عمها فقد مددها لسنتين. ومع ذلك ففى نهاية السنة الأولى لايزال مدينا لـ «جواو كاسولا» بكل المبلغ تقريبا، لقد أصبحت حياة المراكبية وأصحاب المراكب الشراعية أكثر صعوبة، ليس فقط لقلّة عمليات الشحن بل بسبب الأزمة فقد انخفضت الأجر بسبب الزوارق التي تعمل بالبتروول، والتي جعلت النقل أكثر سرعة وأكثر رخصا، كانوا يحصلون على القليل من المال ولم يكن الميناء قد سمع قط مثل هذا الكم من الشتائم.

(١) اكلتها السمكة

كانت «ليفيا» قد تخلت عن أن يهجر «جوما» حياة البحر فى هذه السنة، فهو يعمل ليسدد ديونه ويصبح حرا بمركبه، وراح «جواو كاسولا» يلح عليه: لقد انقضت المهلة، «جواو كاسولا» أيضا لم يربح من الزوارق التى اشتراها، لم يطالبه الدكتور «رودريجو» ولكن «جواو كاسولا» لا يزال يلح عليه فهو كما يقال - لا يغادر باب «جوما» - ينتظره عند عودته من رحلاته، فالرحلات حينئذ قليلة، كان المراكبية وأصحاب المراكب الشراعية يقضون قسطا كبيرا من وقتهم أمام السوق يعلقون على الحياة الصعبة وأزمة نهاية السنة عندما لا يذهبون ليدفونوا أحزانهم فى «منارة النجوم» حيث يبيع المعلم «بابو» الكاشاسا» بالأجل ويسجل الديون فى كراسة قديمة ذات غلاف أخضر باهت. كان «جوما» يقبل كل الرحلات حتى عندما تكون الرحلة زهابا فقط. صار يقبل حتى الرحلات الصغيرة إلى «إيتاباريكا». ومع ذلك، لا يتبقى له فى نهاية الشهر نقود قط ليسدد «جواو كاسولا» وراحت «ليفيا» تساعد العجوز «فرانشيسكو» فى إصلاح الأشرعة، وتمضى وقتا طويلا من النهار والإبرة فى يدها منكب على القماش السميك لشراع مزقته العاصفة، ولكن كل هذا العمل تقريبا كان بالأجل لأن الأحوال كانت سيئة بالنسبة لكل من بالميناء. لقد ساءت الأحوال لدرجة أن عمال أحواض السفن أنفسهم هددوا بالإضراب، كان «جوما» يمضى وقته فى البحث عن عمل يقوم بالرحلات بأسرع ما يمكن حتى يحتفظ بالزبون. قام العديد من أصحاب المراكب ببيع مراكبهم وبحثوا عن أعمال أخرى فى الميناء: فى الأحواض، فى السفن التى تقوم برحلات طويلة، فى حمل أمتعة الركاب.

— لقد أتى السيد «جواو كاسولا».

ألقى «جوما» حقيبة السفر فوق السرير ونظر إلى ابنه الذى يلعب مع «فرانشيسكو». إنها نهاية الشهر وقد وعد بأن يسدد شيئا لـ «جواو كاسولا» ولكن لم يبق شيء. كان من المفترض أن تعود عليه هذه الرحلة الأخيرة بمبلغ زهيد. إنها

رحلة إلى «إيتاباريكا» راح الطفل يلعب بالقرب من طست الماء. لم يرغب «جوما» في الطعام وخرج في الحال. لم تمض خمس دقائق حتى طرق «جواو كاسولا» الباب.

– هل عاد «جوما» يا مدام «ليفيا»؟

– عاد ولكنه خرج توا يا سيد «جواو».

ومع ذلك ألقى «جواو كاسولا» نظرة مستريية إلى الداخل:

– ألا تعرفين إلى أين ذهب؟

– لا أعرف يا سيد «جواو». لقد كنت بالمنزل.

– إذن طابت ليلتك.

هبط «جواو كاسولا» الشارع وهو يعبث بشاربه، كانت المصابيح قد أضيئت في المساكن الفقيرة. دخل رجل سكران إحداها وسمع «جواو كاسولا» امرأة تقول

– هكذا تعود، أليس كذلك؟ كما لو كان هذا لا يكفي...

وعلى أرصفة الميناء وقفت جماعات تتناقش. سأل «جواو كاسولا» عن مكان «جوما». لم يروه.. ومع ذلك قال أحدهم أمام السوق إن «جوما» في «منارة النجوم».

– ينسى متاعبه..

وسأل آخر:

– كيف تسير الأمور مع مراكبك يا «جواو زينيو»؟

– كيف تريدها أن تسير؟ ما الذى يسير على خير هنا؟ إنها لاتعطى سوى

تكاليف.. تابع طريقة وقابل الدكتور «رودريجو» هابطا يدخن

– طابت ليلتك

– طابت ليلتك يا دكتور، أريد أن أقول لك كلمتين

– ماذا هناك يا «جواو»؟

- بخصوص مرض زوجتي ، لقد أتيت مرات كثيرة وجعلتها تقف على قدميها ،
بعد الله فأتت الذي أنقذتها ، وأنا لم أسدد لك بعد
- لا أهمية لذلك يا «جواو» أعلم أن الأمور ليست على ما يرام
- بل سيئة جدا يا دكتور ولكن لا بد أن أسدد لك ، إنك لا تعيش من الهواء
بمجرد أن تتحسن الأمور
- لا تقلق إنني أدبر أمرى
- شكرا يا دكتور

ذهب « رودريجو» وهو يدخل سيجارته فكر «جواو كاسولا» في «جوما» ، أراد
أن يعود على عقبه (الظروف صعبة للغاية..) بل قام بنصف استدارة لكنه اتخذ
قرارا واتجه إلى «منارة النجوم»

وفى الحال رأى «جوما» جالسا إلى طاولة وأمامه كأس « كاشاسا» كان معه
المعلم « مانويل» ، ومن فوق المنصة كان المعلم « بابو» كالتائم ينظر إلى زبائنه في
حزن رأى «جواو كاسولا» المعلم « مانويل» يرفع يده في إشارة يأس لم تواته
الشجاعة لأن يدخل نظر إلى «جوما» بشفقة كان شعره الطويل الأسود منسدلا
على وجهه ويبدو في عينيه الهلع ظنه «جواو كاسولا» خائفا وحاول أن يتقهقر من
جديد ، ولكن عليه أن يسدد أجور العاملين في مراكبه وتقدم ، حياه بعض رواد
«منارة النجوم» رد عليهم بإشارة وألقى بنفسه على كرسي بالقرب من «مانويل»
الذي قال

- كيف الحال ؟

- يبدو أنه انتزع هذه التحية بصعوبة

قال «جوما»

- سيد «جواو»

فرك «جواو كاسولا» شاربه وطلب « كاشاسا » كان المعلم «مانويل» يبدو
محبطاً ينظر إلى كأسه الفارغة فى صمت ، ظل ثلاثتهم للحظة صامتين سمعوا
زبونا يصيح فى أحد الأركان

- إذن سيأتى هذه القطرة أم لا ؟

كان المعلم « بابو» يسجل الأسماء فى كراسه ، وفجأة انتصب «جوما» ومرر
يده على رأسه وطوح شعره إلى الخلف وقال

- لا شئ بعد يا سيد «جواو» الأمور سيئة

كرر المعلم «مانويل» كالصدى

- الأمور سيئة

وسأل بصوت أكثر قوة

- كم من الوقت سيدوم ذلك ؟

نظر المعلم «بابو» ورفع يده من الكراسه وتوقف والقلم الرصاص فى الهواء
بدأ «جواو كاسولا» يسمع شكوى الأعمى الذى يغنى أمام الباب كانت هذه
الشكوى تتصاعد فى حزن لتستحوذ على «جواو كاسولا» ، أجاب المعلم «مانويل»
على نفسه

- أظن أن ذلك لن ينتهى أبدا سنموت من الجوع

وضع المعلم «بابو» القلم وخبط رأسه وابتسم دون أن يعرف لماذا أغلق
الكراسه وكف عن تسجيل المصروفات كان يضغط رأسه على ذراعه ويبدو
كالنائم

قال أحدهم

- لقد رفع الأشرعة

قال «جواو كاسولا» وهو يفكر فى الشهور التى مضت

- إنها سيئة ..

كانت شكوى الضرير تنتشر فى الخارج لم يسمع وقع قطعة النقود التى سقطت فى الكوز لأنه كان يغمى صار على «جواو كاسولا» أن يستمع لهذه الشكوى حتى وإن لم يرغب فى ذلك عاود «جوما» الحديث

- وددت أن أعطيك النقود هذا الشهر ولكنى لا أملك شروى نقير ، لم أحصل على شئ؛ إطلاقاً يا سيد «جواو»

دخلت امرأة ، كانت «مادلينا»، نظرت إلى الموائد لم يدعها أحد ابتسمت وصاحت بصوتها الغليظ

- أ يوجد مائم هنا ؟

استدار إليها الجميع تقريباً ، مد المعلم «مانويل» يده لقد كانا قبلاً عاشقين ولكنها بسبب «جواو كاسولا» أتت نحو المنضدة

- أتدفع لى ثمن كأس «كاشاسا» يا «جواو» ؟

أحضر النادل «الكاشاسا»

كانت شكوى الضرير الذى يتكلم عن فقره ويطلب صدقة مستمرة فى الخارج، واصل «جوما» حديثه

- يا سيد «جواو» اصبر قليلاً ، انتظر حتى تتحسن الأحوال

أبدى المعلم «مانويل» ريبة

- وهل هذه الأحوال ستتحسن يوماً ؟

نظرت «مادلينا» إليهما ثم صاحت على المعلم «بابو»

- ألن تشغل الفونوجراف اليوم يا «بابو» ؟

رفع «بابو» رأسه وتلفت حوله وذهب ليشغل الفونوجراف العتيق ملأت السامبا المقهى ، ولكن على الرغم من كل شئ كانت شكوى الضرير تتنامى إلى سمع «جواو كاسولا» .

- ولكن يا «جوما» ها أنذا فى ضيق أيضا ، فى ضيق مثل شيطان وعلى أن أسدد ثمن زوارقى الثلاثة فالزوارق لا تعود على إلا بالديون نظر إلى المعلم «مانويل» ثم إلى «مادالينا» ورفع يديه
- لا شئ إلا الديون

- أعرف يا سيد «جوا» أريد أن أسدد لكن كيف ؟
- إننى فى ضيق يا «جوما» إما أن أجد النقود وإما لا يبقى أمامى سوى بيع زورق لأسدد ديونى

كانت شكوى الضيرير تفرض نفسها على الرغم من السامبا خفض «جوما» رأسه ، كان المعلم «بابو» قد نام من جديد فوق كراسته ، وكانت «مادالينا» تتابع الحوار باهتمام

قال «جواو كاسولا»

- لقد فكرت

ولكنه لم يكمل الجملة

- بماذا ؟

- بأن نبيع المركب أنت تأخذ حصتك وأدبر أنا نفسى بالباقى وإذا أردت يمكننا ترتيب الأمر فتأتى لتعمل فى الزوارق
- نبيع المركب ؟

طفت شكوى العجوز تماما على السامبا التى كانت أكثر ضجيجا وقوة ، ومع ذلك لم يسمعوا إلا غناء الضيرير

ارحموا من فقد نور عينيه

المعلم «مانويل» أيضا لم يفهم

- تبيعان «المركب السريع» ؟

وضعت «مادالينا» يدها على المنضدة وقالت

- إنه مركب جميل
تساءل «جواو كاسولا»
- وإلا فكيف سندبر الأمر ؟
وكرر
- كيف ؟
- يا سيد «جواو» انتظر شهرا آخر ، سوف أجد النقود ، حتى إذا كان على
أن أعانى من الجوع فى هذا الشهر
- إنه ليس من أجلى يا «جوما» أنا أيضا على أن أسدد
كان خائفا أن يظنوه أنانيا ، كان غناء الضرير يعذبه
- تعلم جيدا أنتى لا أقدر على استغلال وضع سئ لأجزر صديقا ولكن
الموقف قاتم ولا أرى وسيلة أخرى
- فى نهاية الشهر
- إذا لم أسدد لعمالى غدا فسوف يتركون الزوارق
تساءل المعلم «مانويل»
- ألا يمكن إيجاد وسيلة ؟
- كيف ؟
- اقتراض المال
فكروا من يمكنه أن يقرض المال؟ ذكر «مانويل» اسم الدكتور «رودريجو»
ولكن «جوما» و «جواو كاسولا» كانا مدينين له بالفعل ، فاستبعده
وتابع «جواو كاسولا» اعتذاره
- اسأل العجوز «فرانشيسكو» إن كنت أنا رجلا يفعل مثل هذه الأشياء
إنه يعرفنى منذ زمن طويل .« ود أن يطلب الى الضرير أن يصمت» .
اقترحت عليهم «مادلينا» المعلم «بابو»

– من يدري إن كان يمكنه الاقراض ؟

قال «مانويل»

– محتمل

كان «جوما» ينظر اليهم كأنه يتوسل اليهم أن ينقذوه وتابع «جواو كاسولا» اعتذاره كان يرغب في إهداء المركب الى «جوما» والقاء نفسه في الماء لأنه لم تكن له الشجاعة على رؤية المراكبية محرومين من أجورهم نهض المعلم «مانويل» وذهب الى المنصة أمسك المعلم «بابو» من ذراعه برفق وقال: الى المنضدة. جلس «بابو»

– ماذا هناك ؟

خبط «جوما» على رأسه كان «جواو كاسولا» شاردا على شكوى الأعمى تكلم المعلم «مانويل»

– كيف تسير أحوالك المالية ؟

أجاب المعلم «بابو» ضاحكا

– عندما اتسلم كل ما يدينون به لى من ثمن «الكاشاسا» سأكون غنيا

– ولكن ألدك شيئا يمكنك اقراضه ؟

– كم تريد ؟

– لست أنا إنه السيد «جواو» و«جوما» التفت نحو «جواو كاسولا» كم

يلزمك فى الحال ؟

«جواو كاسولا» الذى كان يتابع سماع الأعمى يشكو ، تكلم شارحا

– إنه من أجل دفع أجور عمالى لى مبلغ من المال عن «جو» لكنك تعرف كيف

تسير الأمور إلى أسوأ

تدخل «جوما» مقاطعا :

- أنا الذى سوف استدين سوف أسدد حالما أجد النقود فالأمر بالغ الصعوبة

سأل المعلم «بابو»

- لكن كم ؟

أجرى «جواو كاسولا» عملية حسابية ثم قال

- بمائة وخمسين يمكننى أن أتدبر أمرى

- لكننى لا أملك نصف ذلك يمكننى أن أفتح لك الخزانة لترى بنفسك وفكر

- لو أن الأمر يتعلق بمبلغ خمسين ميلرايس

نظر «مانويل» الى «جواو كاسولا» وقال

- خمسين أيكفيك ذلك ؟

- خمسين تكفى لواحد بالمائة وخمسين سوف أسدد مجرد جزء

- كم عليك أن تسد يا «جوما» ؟

- مائة فى الشهر ولكننى متأخر فى الدفع

نهض المعلم «بابو» واختفى فى عمق الحانة أعلنت «مادالينا»

- لو كنت أملك النقود

توقف الفونوجراف كانوا يسمعون الضيرير فى صمت عاد المعلم «بابو»

بخمسين ميلرايس ورقا من فئة عشرة وخمسة أعطاهما لجوما

- سوف تسدد لى عند أول رحلة اتفقنا ؟

أعطى «جوما» النقود الى «جواو كاسولا» وضع المعلم «مانويل» يده على كتف

«مادالينا»

- ابحتنى عن كولونيل يقرضنا مائة

: ابتسمت :

- لو وجدت اليوم خمسة لكنت سعيدة جدا

قال «جوما» لـ «جواو كاسولا»

- انتظر بضعة أيام لأرى ان كنت سأجد المبلغ الباقي

أوما «جواو كاسولا» بالموافقة تنهدت «مادلينا» شاعرة بارتياح وبدأت تتكلم

فى افاضة

- أتعرفون «جوانا دوكا» ؟ إنك تعرفها يا «مانويل» أليس كذلك ؟ حسنا !

لقد كانت فى نافذتها اليوم عندما رأيت شخصا ينظر اليها مليا ثم تدخل

«جوما» مقاطعا

- تعرف أنتنى لا أملك شيئا سوى هذا المركب ، وحتى هذا المركب لأملكه

إننى مدين بئمنه كله تقريبا ، مدين به لك وللدكتور «رود رينجو» اذا بقيت بدون

هذا المركب فماذا عساي أن أترك لابنى ؟

فالمرء لايعيش طويلا ، ستأتى العاصفة يوما ويذهب المرء حتى ذلك الذى ليس

له ولد ولا زوجة

وعلق «مانويل»

- إنها حياة بائسة ، لذلك لا أرغب فى أن يكون لى طفل ، ولكن زوجتى ترغب

بشدة

قالت «مادلينا» لـ «جوما»

- إنها امرأة جميلة ، زوجتك

- هل تعرفينها ؟

- لقد رأيتها معك

كانت أغنية الأعمى تتواصل أمام الباب ، طلبوا المزيد من «الكاشاسا» وتكلم

«جواو كاسولا» :

- لو وجدت عشرة أخرى لأعطي لكل رجل عشرين ، فهكذا يصبحون أكثر
اطمئنانا

وأردف «مانويل»

- عشرة ، سوف أجهها صباح الغد ستكون مع المعلمة

قالت «مادلينا»

- إنها تشبه المرأة التي تعيش معنا الآن

- أهنك ماشية جديدة في بيتك ؟

- إذا كان الجديد هو هذا فليحفظك الله !

- من هي ؟

- عجوز نحيفة .. تقول إنها كانت زوجة «شافيه»

- «شافيه» ؟ صاحب المركب «كابوريه» ؟

- هو نفسه

قال «جوما»

- ذات مرة ، حكى شيئا عنها

أكد «مانويل»

- كنت حاضرا

- كان يحبها كثيرا ، لقد هجرته ومع ذلك أطلق اسمها على مركبه كانت

تسميه «كابوريه»

قطبت «مادلينا» وأضافت

- إنه شخص غريب لم أر أبدا مثيلا له

- كنت صديقا لـ «روفينو» ، أليس كذلك ؟

التفت «جواو كاسولا» الى «جوما»

- لماذا تسأل عن ذلك ؟

كانت أغنية الضرير تصل اليه بوضوح

- يقال كذلك إنه قتل زوجته لقد ركبت له قرونا وخانته مع بحار احدى

السفن

قالت «مادالينا»

- سمعتهم يتكلمون عن ذلك

- لقد علمت بذلك الآن لو كان قد فعل فقد أحسن صنعا لقد كان زنجيا

شريفًا

قال «مانويل»

- لم يكن هناك اثنان مثله فى هذا الميناء

سمع «جوما» «روفينو» يقول له «يا أخى ، يا أخى» لكنه ارتاح لفكرة أن «روفينو» مات دون أن يعرف أنه قد خانته انهى «جواو كاسولا» الحوار

- لو كنت أنا لقتلت الخلاسى أيضا

دخل «مانىكا ماورينيا» انضم الى الجماعة لكنه وجه كلامه الى جميع

الحاضرين:

- أتعرفون ماذا يقولون ؟

ترقبوا بقية الحكاية حكى «مانىكا ماورينيا»

- لقد باع «شافيه» المركب الى «بيدروكا» مقابل لاشيء تقريبا والتحق بهذه

السفينة اليونانية حيث ينقصهم بحار

- ماذا تقول ؟

- كما أقول لكم لم يتكلم مع أحد لقد رحل منذ نصف ساعة فقط تمتمت

«مادالينا» :

- ذلك بسبب المرأة

وقال زنجى

- يقال إن ماياكلونه فى السفن اليونانية شىء بائس

خرجوا وأمام الباب وقف الضرير يغنى مد الكوز الصفيح فأسقط فيه
«جواو كاسولا» قطعة نقدية لن يشتري تبغا لغيره هذه الليلة

كان «توفيق» العربى حانقا بسبب هروب «شافيه» فمن المقرر أن تصل احدى
السفن بعد خمسة أيام بحمولة كبيرة من الحرير المهرب كيف ينقلها من السفينة
الى المركب دون مراكبى يتق فيه ؟ شرح الأمر لـ «مراد»

- إنه شارب «كاشاسا» الأمر واضح إن رجلا يشرب لا يصلح لشىء
والآن سوف أعرث على رجل جاد

- حاول أن تعثر عليه فورا! لا بد من انزال الحمولة

جاء «توفيق» الى الميناء حاول أن يعرف من المعلم «بابو» الحالة المالية
لمختلف أصحاب المراكب علم بموضوع الأمس بالقرض الذى حصل عليه
«جوما» الذى كان عليه أن يبيع «المركب السريع» سأل

- أهو شخص جاد ؟

- جوما ؟

- نعم

- ليس هناك رجل أكثر منه استقامة فى الميناء

ذهب «توفيق» رأسا الى «جوما» وكانت «ليفيا» هى التى استقبلته

- لقد خرج «جوما» لكنه لن يتأخر ياسيد «توفيق» أتريد أن تنتظر ؟

رد بالإيجاب وانتظر جالسا فى الصالة يقلب قبعة بين يديه ، ويراقب الطفل

فى فناء البيت يوسخ نفسه فى بركة مياه ، وتذكر «توفيق» أنه سأل «رودولفو» ذات مرة إن كان «جوما» يريد أن ينخرط فى عملية التهريب هذه كان «رودولفو» قد أجابته «صهرى ليس الرجل الذى يناسبك ياتركى» (١) وأردف بأن «جوما» ليس بالرجل الذى ينخرط فى مثل تلك العملية تساءل توفيق عما اذا كان الانتظار يعود بالفائدة لابد أن يستبدلوا «شافييه» على وجه السرعة وكان «جوما» الشخص المشار اليه كان مدينا ، وكان واحدا من أحسن المراكبية فى الميناء ، يمتلك مركبا جيدا وسريعا ، ولكن هل لديه الشجاعة ليدخل فى مثل ذلك العمل ؟

لم يفكر «توفيق» بأنه يمكن أن يستولى عليه القلق ببساطة نهض ونظر من النافذة ظهر «جوما» فى نهاية الشارع ما أن لمح «توفيق» حتى أسرع الخطى

- خير ياسيد «توفيق» ؟

- أريد أن أتكلم معك

- تحت أمرك

جاءت «ليفيا» لتنصت من الغرفة المجاورة سألته «جوما»

- أتأخذ قليلا من «الكاشاسا» ياسيد توفيق ؟

- قليلا ، قليلا جدا

«ليفيا» كأس «كاشاسا» للسيد توفيق

أشار توفيق الى الطفل فى الحديقة

- اينك ؟

- نعم

احضرت «ليفيا» الكاشاسا شربها توفيق وعندما غابت «ليفيا» داخل

المنزل ، اقترب بكرسيه من الصندوق الذى يجلس فوقه «جوما»

(١) تطلق تركى على العربى فى البرازيل وسائر بلدان أمريكا اللاتينية

- معذرة ياسيد «جوما» اخبرنى كيف تسير أحوالك المالية ؟
- لست على مايرام ياسيد توفيق ، الأمور سيئة هل تعرف لماذا ؟
- أعرف الظروف صعبة صعبة للغاية لكن برغم ذلك باستطاعة رجل حازم أن يربح نقودا كثيرة
- بل ذلك صعب
- أنت لم تنته من سداد ثمن مركبك الجديد
- إننى متأخر فى السداد ، كيف يمكن للمرء أن يربح النقود ؟
- أعرفت أن «شافييه» قد رحل ؟
- نعم عرفت إنه بسبب امرأته
- إيه امرأة ؟
- امرأته لقد كان متزوجا
- إذن هذا هو السبب كان يعمل معى ، أتعرف ذلك ؟
- سمعت عن ذلك
- حسن لقد ترك «توفيق» كما يقولون فقد كان عمله يعود عليه بالمال الكثير
- كان يتسلم بضائع مهربة
- انها الطلبيات التى تأتى على ظهر السفن و...
- لا تحاول خداعى ياسيد توفيق كل الناس فى الميناء شبعوا من هذه الحكاية ، والآن تريد أن ترتب معى ؟
- يمكنك أن تسدد ثمن مركبك ، فى شهرين أو ثلاثة ، إنه عمل مربح يمكنك فى مرة واحدة أن تربح حتى خمسمائة ميلرايس
- لكن اذا تدخلت الشرطة سيقضى على
- بالطريقة التى نتصرف بها لايمكنهم اكتشاف شىء هل حدث شىء من قبل ؟

نظر الى «جوما» الذى بدا عليه التردد

- يوم الاربعاء ستصل سفينة ألمانية تحمل شحنة كبيرة انها صفقة مربحة لم يكمل جملته بكم لاتزال لدينا من أجل مركبك ؟ مبلغ كبير ؟
- حوالى ثمانمائة مليون

- إنه عمل من الممكن أن يعود عليك فى خبطة واحدة بخمسة. صفقة كبيرة تساوى ثلاث رحلات بمركبك فى أقل من ليلة يمكنك أن تضع يدك على المال راح يتكلم وهو يلصق رأسه برأس «جوما» يتكلم فى سرية كمتأم يسر بسرره الى شريكه ، فكر «جوما» أن بإمكانه أن يقوم بهذا العمل مرة أو مرتين ، وهو مايلزم لسداد ثمن مركبه ، وبعد ذلك يترك «توفيق» ولكن يبدو أن العربى كان يخمن

- بعمليتين أو ثلاث يمكنك أن تسدد ثمن المركب ، وبعد ذلك تترك العمل إن أردت ساكون أنا قد تدبرت أمرى لأننى الآن لا أجد أحدا وتكون أنت قد تحررت من ديونك ومن ناحية أخرى ، ليس هناك الا شحنة واحدة أو شحنتين فى الشهر ، وبقية الشهر تقوم برحلات دون أن يلحظ أحد راح توفيق ينتظر ردا بينما أخذ «جوما» يفكر لن يفعل ذلك الا مرة أو مرتين. سوف يسدد ثمن المركب ثم يترك هذا العمل لقد قالها له «توفيق» بنفسه لم يكن خائفا ، كان يحب المغامرات الخطرة ، ولكنه كان يخشى قلق «ليفيا» اذا ماقبض عليه لقد كانت تعانى قبلا بسبب أخيها !

كان يسمع صوت «توفيق»

- أأنت فى حاجة الى المال ؟

رأى «جواو كاسولا» الذى كان لايسطيع أن يسدد أجور عمال مركبه والذى أراد أن يبيع مركبه

- إذا دفعت لى مائة مليون مقدما سأقوم بالعملية .

وضع العربي يده فى جيب سرواله وأخرج حزمة أوراق خطابات وإيصالات ،
كانت النقود مختلطة بهذه الأوراق القذرة

- أتعرف أين كان «شافيه» يفرغ الحرير ؟

- أين ؟

- فى ميناء سانتو انطونيو

- بالقرب من منارة الحاجز ؟

- بلى

- حسن

أخذ المتئى ميليريس دخل العجوز «فرانشيسكو» قال «توفيق» وهو ينصرف
لجوما بصوت خفيض

- الأربعاء ، فى الساعة العاشرة ، كن مستعدا بمركبك

حياه العجوز «فرانشيسكو»

- صباح الخير ياسيد «توفيق»

جاءت «ليفيا» تستفسر

- ماذا كان يريد

- يريد أن يعرف شيئاً عن «شافيه» الذى رحل ، يبدو أنه مدين له بالمال

نظر العجوز «فرانشيسكو» بارتياب ، وأضافت «ليفيا»

- كنت أعتقد أنه لن يذهب

وفى الحديقة أخذ الطفل يبكى فذهب «جوما» ليأتى به

بدأ الليل ساخنا على البر اما فوق البحر فقد كان النسيم عليلا ينساب
فيجعل الاجساد تقشعر وفى السماء المرصعة بالنجوم يسطع هناك قمر كبير
أصفر كان البحر وديعا ، وكانت الأغاني التى تأتى من كل جانب هى وحدها

التي تكسر الصمت ، وعلى مسافة قريبة من «المركب السريع» كان «مسافر بلا مرفأ» فكان «جوما» يسمع تأوهات الحب الصادرة عن «مارياكلارا» كان المعلم «مانويل» يمارس الحب هناك فى مركبه المربوط فى الميناء ، فى الليالى المقمرة كان المعلم «مانويل» يمارس الحب هناك فى مركبه المربوط فى الميناء فى الليالى المقمرة وكان البحر الفضى يمتد حولهم فكر «جوما» فى «ليفيا» التي لا بد أنها فى هذه اللحظة قلقة فى البيت لم تكن قد تعودت على حياته ومنذ كارثة «الباسل» وهى تعيش فى قلق دائم ، متوقعة عودة «جوما» ميتا فى نهاية كل رحلة، لو تعلم أنه من الآن فصاعدا سيعمل بتهريب الحرير لن تحظى أبدا بلحظة طمأنينة لأن ذلك سيضيف الى خشية الموت خطر السجن

أقسم «جوما» أنه سيهجر التهريب بمجرد أن يسدد ثمن مركبه

ستكون أول مرة هذه الليلة ويحصل على خمسينة ميلرايس ويذهب ليسدد كل ما يدين به لجواو كاسولا ، ويقول له إنه استطاع أن يقترض ثم لن يبقى سوى الدكتور «رودريجو» ولكنه لايلح عليه بعد رحلتين سيكون «جوما» قد سد ثمن مركبه ، عندئذ سيجنى بعض المال ويقوم ببيع «المركب السريع» ويدخل كشريك مع عم «ليفيا» فى دكان أيببيع «المركب السريع» ؟ بعد أن قام بكثير من التضحيات من أجل شرائه سيكون أمرا مؤلما يبعه ليصبح شريكا فى مشروع صغير أيهجر البحر والمراكب وميناءه ؟ إن ذلك شئ يسبب الألم للبحار ، خاصة عندما يكون الليل رقيقا ، مليئا بالنجوم وبقمر يمثل هذه الروعة مرت الساعة العاشرة ولم يأت «توفيق» بعد

رأى «جوما» سفينة البضائع الألمانية فى حوالى الثالثة بعد الظهر كان فى مركبه لم تدخل السفينة لأنها كانت كبيرة جدا بالنسبة للميناء فظلت خارج الميناء تطلق دوامات من الدخان ، ومن «المركب السريع» كان «جوما» يرى أضواء السفينة . كانت «ليفيا» تعتقد أن «جوما» قد ذهب فى رحلة وأن مركبه الآن يشق

مياه النهر حاملا شحنة الى «مار جراندى» سوف تنتظره حتى مطلع النهار لابد
أنها قلقة للغاية ، مفعمة بالخوف ، وما أن يعود حتى تسأله متى يغادران الميناء ،
وكان يبيع مركبه يغادر ميناءه لقد كان يفكر فى ذلك عندما خان «روفينو»
وعندما فقد «الباسل» ولكنه الآن لم يعد يريد فالمرء يموت على اليابسة مثلما
يموت فى البحر سواء بسواء ، كل ذلك تفاهة من «ليفيا» ولكنهم الآن يغنون هذه
الأغنية القديمة التى تقول مصير بائس مصير زوجات البحارة»

داعب «جوما» جسم «المركب السريع» سريع ليس له مثيل للمقارنة معه فى
هذا الميناء ليس هناك سوى مسافر بلا مرفأ وكذلك لأن له قائد مثل «مانويل» كان
المسافر أيضا مركباً جيداً ، ولكنه مع ذلك ليس فى جودة «المركب السريع» العجوز
«فرانشيسكو» نفسه ، بخبرته الطويلة بالمراكب الشراعية ، والمراكب الأخرى ، كان
يقول إنه لم ير أبدا مركباً مثل ذلك المركب ، والآن عليه أن يبيعه ؟

انتظر «توفيق» الذى قفز الى المركب جاء معه عربى آخر كان على الرغم من
حرارة الجو يضع كوفية يلفها حول عنقه قدمه «توفيق»

– السيد «حداد»

– المعلم «جوما»

رفع العربى يده الى رأسه كأنه يؤدى نوعا من التحية العسكرية قال «جوما»

– مساء الخير

تفحص «توفيق» المركب

– إنه كبير بقدر كاف ، هه !

– فى هذا الميناء لاتوجد مراكب أكبر من ذلك

– أعتقد أنك فى رحلتين ستحمل كل شىء

هز «حداد» رأسه موافقا . وتساءل «جوما»

- هل سنرحل الآن ؟

- سوف ننتظر لايزال الوقت مبكرا

جلس العريبان على حافة المركب وبدءا يتكلمان فيما بينهما كان «جوما»
يدخن فى صمت ويستمتع للأغنية التى تأتى من القلعة القديمة

لقد بقى تحت الأمواج

لقد رحل غريقا

واصل العريبان محادثتهما كان «جوما» يفكر فى «ليفيا» إنها تظنه فى
رحلة ، يعبر الحاجز فى هذه اللحظة استدار «توفيق» فجأة وقال

- أغنية جميلة ، أليس كذلك ؟

- بلى

- جميلة جدا

لم يقل العربى الآخر شيئا أغلق معطفه وتمتم شيئا بالعربية ضحك
«توفيق» كان «جوما» ينظر إليهما سكت الصوت فى القلعة القديمة فكان
بإمكانهم أن يسمعوا بوضوح تأرجح الأجساد فى مركب المعلم «مانويل»

فى منتصف الليل تقريبا قال «توفيق»

- يمكننا أن نذهب إلى هناك

رفع «جوما» المركب (رأى «حداد» الوشم على ذراعه) ورفع الشراع بعد
المنورة أخذ المركب سرعته كانت أضواء السفينة ظاهرة وبدأت الأغنية من
جديد فى القلعة القديمة من الطبيعى أن يغنى «جيريميه» للقمر فى ليلة كهذه
مرصعة بالنجوم كانوا صامتين فى المركب وعندما أصبحوا على مقربة من
السفينة قال «توفيق»

- توقف !

توقف «المركب السريع» وبأمر من «توفيق» للمم «جوما» الأشرعة كان جسم المركب يتأرجح ببطء صفر «حداد» بطريقة غريبة لم يتلق إجابة صفر من جديد وفى المرة الثالثة سمعوا صفيرا كإجابة ، قال حداد

- يمكننا أن نذهب إلى هناك

أمسك «جوما» بالمجدافين ولم يرفع الأشرعة دار المركب حول السفينة والتصق بجسمها من الجانب المواجه لإيتاباريكا أطل أحدهم برأسه تكلم مع «حداد» بلغة غريبة بالنسبة لجوما واختفى فى الحال ، ثم جاء اخر ودارت محادثة جديدة طلب «حداد» إلى «جوما» أن يقترب بالمركب أكثر قليلا تقدموا بالقرب من فتحة واسعة وبدأ رجلان فى إنزال مقاطع الحرير التى أخذ «جوما» و«توفيق» يكومانها فى قاع المركب لم يزعجها أحد

ابتعد المركب عن السفينة ببطء ويمجرد أن أصبح بعيدا بقدر كاف ، بعد أن تخطى حاجز الأمواج فرد أشرعته وأسرع ، ومصباحه مطفأ كانت الريح تدفعه وصل بسرعة إلى ميناء «سانتو أمارا» ، كانت الأمواج مرتفعة قليلا والبحر أقل هدوءا ولكن «المركب السريع» كان مركبا كبيرا يمكنه المقاومة

قال توفيق

- وصلنا بسرعة

وقف بعض الرجال ينتظرون المركب تقدم أحدهم مرتديا ملابس أنيقة

- كل شئ على ما يرام ؟

- كم من رحلة أخرى ؟

- بهذا المركب ، تكفى رحلة أخرى

لاحظ الرجل الأنيق «جوما» الذى كان يساعد فى إفراغ الحمولة سوف يذهب
الحريير إلى كهف فى أحد المنازل بالقرب من الميناء

- أهذا هو الشاب ؟

- إنه هو يا سيد «مراد»

نظر «جوما» إلى الرجل الغنى كان رجلا ضخما ، حليقا ، مرتديا ملابس
سوداء ، وضع يده على كتف «جوما»

- أيها الشاب ، يمكنك أن تبيع كثيرا من المال معى الأمر يتطلب أن تكون
منضبطا

ألقى نظرة أخرى على تفريغ الحمولة وقال لتوفيق

- راقب جيدا كل ما يحدث سأنصرف لأن «أنطونيو» مريض

«انطونيو» هو ابنه الذى يدرس الحقوق كان مشغوقا بهذا الابن المثقف
العرييد ، وكان يغفر له كل شئ كان يحب رؤية اسمه فى الصحف فى ذيل
المقالات ، من أجل ذلك تساعل «حداد»

- «انطونيو» مريض ؟ اذهب حضرتك لزيارته

قبل أن يذهب «مراد» وضع يده مرة أخرى على كتف «جوما»

- كن منضبطا معى ، ولن تندم على ذلك

كانت السيارة تنتظر عند منعطف الشارع ، وبعد أن تمت عملية التفريغ رحل
المركب ومن جديد كان قاعه قد امتلأ بالحريير كان «جوما» قد أخطأ حساب
الطرود التى أنزلت أعطى «توفيق» أوراق مالية لواحد من الرجال أخذ يحصيها
على ضوء مصباح جيب

قال الذى كان واقفا فى الخلف بلكنة غريبة

- مضبوط

رحل المركب ومن جديد ، اتجهوا إلى ميناء «سانتو انطونيو» ناشرين الأشرعة

ووصلوا بدون حوادث فى هذه المرة قدم «توفيق» لجوما كأس «كاشاسا» تم إفراغ المركب وكان «حداد» قد غاب داخل المنزل ، أشعل «جوما» غليونته تقدم «توفيق» نحوه

- سوف أطلبك فيما بعد حينما أكون فى حاجة إليك

أخرج ورقتين من فئة المائتى ميلرايس وأعطاهما له وأضاف

- إنك لم تر هذا المنزل قط ، مفهوم ؟

- إنك تتحدث إلى بحار

ابتسم توفيق

- إنها أغنية جميلة ، أليس كذلك ؟

زرر سترته ودخل المنزل أحكم «جوما» قبضته على الورقتين أدار مركبه ورحل عند بزوغ الصباح ، وفى وسط الماء شعر بتعب فى ساقيه وذراعيه ، تمدد فى مركبه وتمتم

- كما لو أننى كنت خائفا طوال كل هذا الوقت

كانت منارة الحاجز تومض فى الفجر

قال له «جواو كاسولا»

- إنك رجل نزيه

- لقد اقترضت من عم زوجتى والآن سوف أسدد له إن دكانهم يدر دخلا جيدا ، ربما يفتتح محلا إنه حتى طلب منى أن أشاركه

- رأيتك مرة عندك

-إنه رجل طيب

- هذا واضح

بعد عشرة أيام من ذلك جاء «رودولفو» كان «جوما» قد عاد فى اليوم السابق من رحلة إلى «كاشويرا» كان لا يزال نائما وكان العجوز «فرانشيسكو» قد خرج ليقوم ببعض المشتريات انتظر «رودولفو» وهو يلعب مع ابن أخته ويتكلم مع «ليفيا»

- أما تزالين خائفة ؟

- يوما ما ، سوف اعتاد

لقد تأخر ذلك اليوم !

نظر إلى ابن أخته الذى يجذبه ليريه مركبه الصغير فى الطست قال رودولفو لأخته

- ألا تريدان أن يدخل فى التجارة مع العجوز ؟

- نعم ، أريد

- حسن ! إنه الوقت المناسب

سألت «ليفيا» فى قلق

- ماذا تريد أن تقول ؟

نظر إليها خلسة ، لو علمت لازدادت معاناتها

- لا شئ ، بسبب الصغير سوف يكبر وينتهى به الأمر أن يتعود على الحياة

هنا اطمأنت قليلا ، لكنها لا تزال مرتابة

- أعتقد أن هناك شيئا ما

ثم سألته فجأة

- أين وجدت النقود التي أقرضتها لجوما ؟

- أنا ؟ (ولكنه فهم فى الحال) لقد وجدت مكانا جيدا كنت سأنفقها
فيما لا نفع فيه

أقتربت منه وداعبت رأسه

- إنك طيب جدا

استيقظ «جوما» وبينما كانت «ليفيا» تعد القهوة ، قال له «رودولفو»

- إنك تعمل بالتهريب ، أليس كذلك ؟

- كيف عرفت ؟

- إننى على علم بكل ذلك بل إننى جئت إلى هنا ذات مرة أبحث عن

«توفيق» ولكننى لن أقول شيئا إشفاقا على «ليفيا»

- فى اليوم الذى

- بلى

- لكننى لن أستمّر الوقت الكافى لسداد ثمن المركب ولم يعد يتقضى

الكثير

- خذ حذرك فلو انكشف هذا الأمر ، ستكون فضيحة شنيعة لن يحدث

شئ لمراد قلديه من المال أكثر من عشرة آلاف كنتو وسوف يتدبر أمره ولكن

الهرابة ستهبط على ضلوع الفقراء من أمثالك فكن حذرا

- لن أستمّر فى هذه العملية ، لا أريد لليفيا أن

- ولكنها سوف تعرف ، اليوم أو غدا ، كم أخذت منى من النقود ؟

قال له «جوما» ضاحكا

- وأنت ، تحملت مداعبات ليفيا ؟

- قليلا ، لقد ارتبكت خذ حذرك إنها لعبة خطيرة
دخلت «ليفيا» حاملة القهوة وقطعة جاتوه ارتابت فى هذه المحادثة التى
تجرى بصوف خافت
- ما هذا السر ؟
- لا يوجد سر نحن نتحدث عن الولد
قالت «ليفيا»
- «رودولفو» كذلك يعتقد أن عليك أن تذهب مع العم
أضاف «رودولفو»
- بسبب الصغير
- دعيني انتهى من سداد ثمن «المركب السريع» أيتها الزنجية ، وأربح بعض
المال ، ثم نقدم بالمشروع لقد اقتربنا كثيرا
أمسك نعجته من خصرها ، فجلست على ركبتيه
- إننى خائفة جدا
طأطأ «رودولفو» رأسه

فى المرة الثانية كانت حمولة صغيرة من جوارب السيدات والعمطور
فرنسية الصنع ، تسلم «جوما» مائة مليرايس مر كل شئ على خير وجه هذه
المرة ؟ صعد «مراد» فى المركب ليدخل فى محادثة طويلة مع شخص من السفينة
بعد ذلك دفع مبلغا كبيرا من المال بعد عودتهم قال «مراد» لجوما وقد اكتسى
وجهه بالجد

- انت لم ترن أبدا أصعد فى أى سفينة ، مفهوم يا ولد ؟

- لا داعى لأن تنبهنى

- لقد علمت أشياء عنك يقولون إنك ولد شجاع بكم لا تزال مدينة من ثمن مركبك ؟
- عندما أسدد المائة ميلرايس هذه ، لن أكون مدينة إلا بثلاثمائة وخمسين
- بضع رحلات أخرى وتكون حرا بمركبك بعد ذلك هل ستركنا ؟
- أن أتوقف عن العمل معك ؟ أعتقد أن نعم
- هل فكرت فى ذلك ؟
- هذا ما قلته للسيد توفيق التحق بهذا العمل ولكننى أستطيع أن أخرج منه عندما أريد ، لم التحق إلا لأسدد ثمن مركبى
- لن يمنعك أحد من الرحيل
- لا تخف ، لن يفتح فمى ليقول أى شئ
- لا أخاف من ذلك أعرف أنك ولد منضبط لكننى أرى أنك لو بقيت معى ستربح أموالا كثيرة
- وضع يده على كتف «جوما»
- هل تجد هذا العمل خطر للغاية ؟
- لدى زوجة وولد غدا ، إذا وقعت فى قبضة الشرطة
- (تذكر كلمات رودولفو) بالنسبة لك لن يحدث شئ السيد متخم بالثروة وسيقع كل شئ على خفض مراد صوته أكثر
- أعتقد أن أحدا لا يعرف أننى أقوم بالتهريب ؟ هناك فى الشرطة أناس تم شراؤهم سيكون من الصعب إيجاد ولد مثلك
- واصلوا رحلتهم فى صمت ، وعندما أوشكوا على الوصول نصحه مراد مرة أخرى :

- إذا أردت الاستمرار فسوف تربح كثيرا من المال

- سوف أفكر إذا قررت

أخبره «توفيق» أنه بعد شهر ستصل حمولة كبيرة ربما يربح مائتى ميلرايس أو أكثر

فى اليوم التالى ، سوف يذهب بالمائة ميلرايس إلى الدكتور «رودريجو» لقد ربحها خلال رحلته كما قال له لقد لعب مصادفة دور «روليت» فى «كاشويرا» راهن بحوالى خمسة ميلرايس وانتهى به الأمر أن ربح مائة وعشرين وبما أنه قد انتهى من سداد نصيب «جواو كاسولا» فإنه يأتى ليرد نصيب الدكتور فى البداية لم يرد «رودريجو» أن يقبلها قائلاً إن «جوما» ربما يحتاجها ولكن «جوما» أصر كلما أسرع فى سداد ثمن المركب كان ذلك أفضل

خرج من عند الدكتور ليتفق على رحلة إلى «سانتو أمارو» سوف يذهب لاحضار حمولة «كاشاسا» إنه يعيش من رحلاته فنقود التهريب كانت مخصصة لسداد ثمن المركب بعد أن يسدد كل شئ يمكنه أن يستمر فى هذه العملية لبعض الوقت حتى يجنى خمسمائة ميلرايس تقريبا عندئذ يكون باستطاعته أن يرضى رغبة «ليفيا» سوف يذهب ليستقر فى المدينة ويفتح الدكان مع عم زوجته ، وربما لا يكون محتاجا لبيع «المركب السريع» وقد يمكنه أن يشارك عليه مع المعلم «مانويل» أو «مانىكا ماوزينيا» ، فكل منهما سيكون سعيدا أن يمتلك مركبين وفوق ذلك ، فإن «مانىكا ماوزينيا» ليس به إلا زورق سوف يكون «جوما» كذلك سعيدا جدا أن يعتمد على «المركب السريع» ؟ فسوف يربح أموالا كثيرة ولن يكون مضطرا لأن ينفصل تماما عن الميناء سيكون بمقدوره العودة من وقت لآخر ليقوم هو أيضا برحلاته سوف يستمر كبحار ، يهتم بالبحر والملاحة . سوف يرضى «ليفيا» ويرضى نفسه أيضا ، لن يغير حياته كلية إنها

خطة جيدة ولكن من أجل تحقيقها عليه أن يواصل عمله فى التهريب ليربح الأموال اللازمة للمشاركة مع عم «ليفيا» بضعة شهور أخرى بضع رحلات ويكون قد جمع هذه الأموال إنه عمل يعود بالربح لكن لابد من مواجهة خطر أن يرى كل شئ ينتهى فى خبطة واحدة ويجد نفسه فى السجن ولو انكشف ذلك ستكون فضيحة مدوية إن «رادا» بأمواله الكثيرة (عشرة آلاف كونتو) سيكون محمى الظهر لا يمكن أن يحدث له شئ بل يحدث لجوما الذى يمتلك مجرد مركب لم يكن خائفا وإذا كان يفكر فى مخاطر التهريب فذلك بسبب «ليفيا» وابنه كان «جوما» يرى الطفل يلعب بالقرب من حوض الماء بالمركب الصغير كان يحب أشياء البحر لقد كان بحق ابن بحر عندما يكبر سوف يقود هو أيضا «المركب السريع» ويبحر أيضا فوق هذه المياه سوف يقولون إن أبيه واحد من أفضل قادة المراكب الذين ظهروا حتى الآن ، والذى حتى بعد رحيله إلى المدينة لم يبيع مركبه ، ويعود من وقت لآخر ليقوم برحلات فى البحر كان «جوما» يداعب جسم «المركب السريع»

ذهب لينظر فى قاع المركب فرأى هناك مقطع الحرير الذى كان قد نسيه تماما والذى أعطاه له «مراد» فى اليوم السابق ، قائلا

- لتقدمه إلى زوجتك -

فى تعجله العودة إلى المنزل كان قد نسى مقطع الحرير ستكون «ليفيا» مسرورة ، فلديها القليل من الفساتين وهى فساتين متواضعة ، من الآن فصاعدا سيكون لديها فستان جميل ، فستان امرأة أنيقة أرسى المركب واتجه إلى المنزل ، وكان قد غادره بعد الافطار ، كانت «ليفيا» تنتظره فى النافذة والطفل على ذراعها عند وصوله أراها مقطع الحرير .

- كنت قد نسيتته فى المركب

- ما هذا ؟

- انظرى

دخلت غادرت النافذة ووضعت الطفل على الأرض ونظرت إلى
قطعة القماش

- ولكنها من الحرير الغالى ! (كان هناك تساؤل فى عينيها)

- لقد ربحتها فى سوق خيرية فى «كاشويرا»

- إنك تكذب ، لماذا لم تقل لى ؟

- أقول ماذا ؟ لقد ربحتها فى سوق خيرية ، نعم

طبقت قطعة الحرير ، وصمتت لحظة ثم قالت فجأة

- لماذا تريدنى أن أعلم بكل شئ من أفواه الآخرين ؟

- ماذا ؟

- إنه شئ فظيع

- أنت مجنونة

- أعتقد أنى لا أعرف ؟ إن الأمور السيئة يعلمها المرء على الفور أنت تعمل

بالتهرب ، أليس كذلك ؟

- «رودولفو» الذى أخبرك ؟

- لم اره منذ فترة طويلة ، لكن فى الميناء ، الجميع يعلمون أنك أخذت مكان

«شافييه»

- هذا كذب

ولما كان من المستحيل أن ينكر ، رأى من الأفضل أن يقول كل شئ

- ألا ترين أنه لم تكن لنا وسيلة أخرى للخروج من المائزق ؟ لقد أراد «جواو

كاسولا» أن يبيع «الركب السريع» ؛ وكنا سنبقى بلا بكى ، ولم يكن أمامى إلا أن
أعمل كمراكبى ، ولم نكن لنغادر الميناء أبدا كما ترغيبه

كانت «ليفيا» تستمع فى صمت دخل الطفل ي رى وتشبث بملابسها تابع
«جوما» حديثه

- رأيت لم أقم إلا بثلاث رحلات لهم ، وهذا أكاد أسدد ثمن المركب
كلية فى بضع شهور سيكون لى ما يكفى من امل لكى نستقر مع عمك
وأضاف بصعوبة

- إذا كنت قد دخلت فى هذه العملية فمن أجلك وطيباً أجل الصغير

- إنى خائفة ، يا «جوما» ، هذا المال ليس حالاً ، يوماً ما سوف يتقلب
كل شئ كنت من قبل خائفة ، والآن فإن خ ، فى قد ازداد كثيراً

- لن يستمر ذلك طويلاً لن يعرف أحد بذلك را من ذا الذى يستطيع أن
يكشفه ؟ أعتقدين أن الشرطة لا تعرف ؟ إن الشرطة سبعت من معرفة ذلك ، ومن
ملء الجيوب بأموال السيد «مراد»

- ربما هناك شرطى أو اثنان فى العملية ويوما ال سيتم إبدالهما برجل جاد
وينتهى كل شئ

- ولكننى حينئذ لن أكون هناك لن أبقى إلا ثلاث شهور أو أربعة ولو
قدر أن وقعت مثل هذه الحكاية سيكون لى الوست لجمع بعض المال
قال «ليفيا» وهى محبطة

- والآن لم يعد هناك شئ تفعله ، لكنك وعدت أن لترك ذلك عندما تريد ، وأن
تذهب معى إلى المدينة العليا ؟
- أعدك بذلك

عندئذ فردت لفة الحرير إنها من القماش الجز . لفتها حول جسدها
وابتسمت :

- لن أصنع ثوبى إلا عندما تترك هذا العمل

- لن يتأخر ذلك

وبدأ «جوما» يحكى عن المخاطر التى يواجهها فى عمليات التهريب

لم يدر العمل الجديد على «جوما» إلا ما وعده به «توفيق» ، فكمية البضائع التى كانوا ينتظرونها لم تأت ، هكذا شرح شخص من السفينة الأمر لجوما بلغة غير مفهومة ، فى حوار لا ينتهى تسلم «جوما» مائة وخمسين ميلاريس فقط وأعلن «توفيق» أنهم ينتظرون وصول شحنة أخرى خلال الاسبوع كان ذلك وقت اضراب عمال الشحن انضم إليهم أصحاب المراكب الشراعية وقسم كبير من المراكبية

كسب عمال الشحن والتفريغ وارتفعت كذلك أجرة النقل فى المراكب الشراعية والزوارق ولكن كانت هناك مطاردات فقد قام أحد العمال ويدعى «أرمان» بالهرب فى مركب «جوما» الذى خرج تلك الليلة يحمل شحنة بالأجرة الجديدة وفى الليل المرصع بالنجوم حكى له الحمال عن أشياء كثيرة بالنسبة لجوما لم يكن الليل بل كان الفجر الذى يبزغ

منح الدكتور «رودريجو» مساندة كبيرة لعمال الشحن ، وعندما انتهى كل شئ كتب قصيدة تنتهى بالقول بأن المعجزة التى كانت تنتظرها دونا «دولشى» بدأت تتحقق عبرت عن موافقتها بابتسامة لقد كانت فى كل مرة تبدو محدودة ولكنها انتصبت لتسمع القصيدة كانت تبتسم من البهجة ، كانت قد تعلمت كلمات جديدة لتقولها فى بيوت الميناء الفقيرة من الآن فصاعدا سيمكن نعتها بالطيبة والصديقة كانت تعرف كيف تشكرهم لقد تحدث على إيمانها ولكن ذلك الإيمان كان مختلفا بعض الشئ

وفى سماء «سانتو امارو» كانت نجمة «بيسورو» قد اختفت ، لأنها كانت مع
عمال الشحن

سيقوم «جوما» ببعض الرحلات لحساب «توفيق» ويسدد ثمن مركب ، ربطته
صداقة بالعربي الذي كان لطيفا دوما ظل «حداد» صامتا والكوفية حول رقبته
ولم يكن «مراد» يظهر إلا نادرا ، عندما يكون لديه شئ مهم ليعالجه كان لجوما
عنده مائتان وخمسون ميلرايس وكان قد تحرر من كل ديونه .وكانت «ليفيا» تتكلم
عن اليوم الذى ينتقلون فيه إلى المدينة العليا كيوم قريب جداً عندما يكون قد ربح
«كوتتو» سيمكنه أن يدخل كشيريك مع عم زوجته والعجوز الذى لا يستطيع أن
يعمل كما ينبغى له ، سوف يستريح ، وسوف يظل المركب مع «مانىكا ماوزينيا»
الذى سيسدد ثمنه على أقساط شهرية للعجوز «فرانشيسكو» لم تعد «ليفيا»
خائفة كانت تنتظر هادئة وقد تلاشى قلقها كثيرا كان كل شئ يسير على
مايرام فى الآونة الأخيرة حتى الأجرة قد ارتفعت وعادة الحياة فى الميناء إلى
طبيعتها ،لقد استطاعوا أن يتجاوزوا الأزمة

كانت تحب الذهاب فى المركب فى الليالى التى يذهب فيها الصغير ليتجول
عنده جده كانت تتمدد بجوار «جوما» ، تستمع إلى أغانى فى الميناء ، وتتنظر إلى
القمر الأصفر والنجوم التى لاحصر لها ، تشعر بوجود «يمانجا» التى كانت تمد
شعرها فوق الماء كانت تفكر بأن البحر صديق ، صديق جميل ، لقد كانت من
أجل أن يغادر «جوما» الميناء ويهجر مصيره ، ولكنه لن يبيع مركبه ! سوف يأتيان
من وقت لأخر عندما يكون البحر هادئا ليقوما بجولة فوق الأمواج لمشاهدة
النجوم والقمر وسماع أغانى الميناء الحزينة ، وفوق ذلك ، سوف يمارسان الحب
فى مركبهما - سوف تغسل الأمواج جسديهما وسيكون الحب ذا مذاق أفضل
وسوف يكون لجديهما نكهة المياة المالحة سوف تستمع أذانها لهمس الرياح

وأهات الهارمونيك والقيثارات بين أصابع الزنوج ، وصوت «جبريميه» يغنى فى القلعة القديمة ولكنهما لن يسمعا صوت «روفينو» لأنه قتل بسبب خلاسية خاتته سوف يشاهدان أسماك القرش تعبر الماء ، وشعر «يمانجا» الجميل ، ملكة البحار والمراكب ، لسوف يندمان على كل ما تركاه ، كان «جوما» يمرر يده على جسد «المركب السريع» الحميم ، وسف يتذكران «الباسل» ولكن التفكير فى الابن الذى سوف يكبر فى شوارع المدينة ويكون له مستقبل أفضل سيسفى قلبيهما من كل ما سيضحيان به

ولكن على الرغم من ذلك سيسعران بأسف عظيم كمن بأسف على مخلوق حبيب أو صديق من الممكن أن نحب البحر بمرارة قد يكون حباً مشوباً بالخوف أو الكراهية لكنه حب لا يمكن للمرء أن يخونه أو يتخلى عنه قط ، لأن البحر صديق صديق جميل وربما لأن البحر هو الوطن الحقيقى لآيوكا ، لأنه وطن البحارة

أراضى «آيوكا»

لم تعد «روزا بالميراو» تحمل مدية تحت تنورتها ، ولا خنجرا تحت قميصها بلغتها رسالة «جوما» فى أراضى الشمال ، فى بنسيون من الدرجة الأخيرة لا تدفع فيه إيجاراً لأن المالك كان يخاف منها ، عندما عثر عليها البحار وقال لها «أرسلنى «جوما» لأقول لك إن ابنك قد ولد» ، نحت المدية من تنورتها والخنجر من قميصها ومع ذلك ، فقد استخدمتها أكثر من مرة لكى تستطيع أن تدفع ثمن رحلة العودة

استقبلتها «ليفيا» كما لو كانت صديقة لم ترها منذ وقت طويل

- البيت بيتك

خفضت «روزا» رأسها وضمت إليه الطفل الذى كان يهرب منها فى البداية

حاولت أن تبتسم

- إن «جوما» محظوظ .

تساءل الطفل إن كانت زوجة «فرانثيسكو» بما أنها جدته ، عندئذ بكت لأنه لم يعد لها مدية تحت تنورتها ولا خنجر تحت قميصها كانت ترتدى ملابس محتشمة، تجلس أمام باب البيت والصغير فى حجرها ، وكانت فى بعض الليالى تسمعهم يغنون سيرتها الأسطورية فى الميناء ، كانت تنصت إليها مندهشة كما لو كانت سيرة شخص آخر إنه البحر وحده يمنح مثل هذه الهبات لأبنائه

للمرة الأولى يواجهه «جوما» عاصفة وهو ينقل البضائع المهربة لكنه رأى أن «ليفيا» لم تكن قلقة وأنها كانت هادئة - كل شئ على وشك الانتهاء - ورحل راضياً

كان «توفيق» ينتظره فى المركب، وهذه المرة ، كان مع «حداد» شاب عربى آخر إنه «أنطونيو» ابن «مراد» ، الطالب والكاتب أحياناً ذهب من باب الفضول ليرى كيف يهربون البضائع

تراكمت السحب فى السماء وكانت الريح تعصف غاضبة ومن المركب كانوا يلحظون بصعوبة السفينة فى عرض البحر قال «توفيق»

- أعتقد أن العاصفة ستهب ؟

- ومن أشد العواصف

التفت العربى إلى ابن «مراد»

- من الأفضل أن تعود إلى البيت ، يا سيد «أنطونيو»

- دعك من ذلك إنه حتى هكذا سيكون الأمر أكثر اثارة سيكون مشهدا

مكتملا والتفت إلى «جوما»

- أتظن أن الأمر سيكون خطراً يا معلم ؟

- دائماً هناك خطر

- إذن فهذا أفضل

رحل المركب لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى حاجز الأمواج عندما تساقط المطر ولكن «جوما» نجح فى أن يخفض الأشرعة وينتظر أن تأتية اشارة من السفينة اقتربوا من السفينة بصعوبة بقوة المدافين كان توفيق «عصبياً ، أحكم «حداد» الكوفية حول رقبتة وكان «أنطونيو» يصفر مظهراً لا مبالاة لم تكن له فى الحقيقة.

اقترب المركب من السفينة وبدأت بالات الحرير تظهر لكن العمل أصبح صعباً لأن الأمواج كانت متلاحقة والمطر يهطل فى عنف ، كان المركب يعطو ويهبط فيبتعد عن السفينة، وأخيراً انتهوا من نقل البضاعة ناور «جوما» بالمركب واجتازوا حاجز الأمواج متجهين نحو ميناء «سانتو أنطونيو» ولكن الريح الغاضبة كانت تسحبهم لم يكن هناك إلا زورق فى البحر كان رأسياً عند القلعة القديمة ولم تواته الشجاعة ليوصل طريقه كانت الريح قد جرفت «المركب السريع» الذى كان محملاً أكثر من اللازم عن وجهته ، وأصبحت المناورات صعبة كان «جوما» مقرفصاً أمام الدفة ، وكانت المياة تكنس المركب تتمم «حداد»

- سوف يفسد الحرير

ويحدث عن بعض الألواح ليغطى القاع لم يكن يرى العاصفة لم يكن يرى الموت لم يكن يرى إلا الحرير الذى ابتل نظر «جوما» إليه بإعجاب، كان «توفيق» عصبياً

كان «جوما» قلقاً من أجل ابن المعلم الذى كان شاحباً متشبثاً بالصارى
سأل جوما

- أعتقد أننا سنموت ؟

- أحياناً ننجو الأمر كله مجرد مصادفة

الترزوا الصمت اتبعوا الطريق الصحيح ولكنه كان بعيداً فى عرض البحر الذى لم يكن بحر المراكب الشراعية كان «جوما» يبحر فى بحر السفن الكبيرة

كما لو كان يحقق حلمه فى السفر نحو أراض بعيدة مثل «شيكو تريستييا» رأوا منارة الحاجز مضاءة كرمز للخلاص لكنهم كانوا قد توغلو كثيرا فى عرض البحر، فى بحر مجهول واسع ، بحر الحكايات والمغامرات الكبرى التى يحكونها فى الميناء ، فى مواجهتهم تماما كان ميناء «سانتو أنطونيو» ، لكنهم كانوا بعيدا فى عرض البحر ، كان «جوما» يناور ليتجه إلى الميناء ، وأمامهم بمسافة قليلة كانت الصخور تغطيها المياه حالفه الحظ فى المناورة ولكن الأمواج ارتفعت فى جبروت وسحبت المركب نحو الصخور، كان المركب محملا أكثر من اللازم فانقلب مثل لعبة فى يد البحر، جاءت أسماك القرش لا أحد يعرف من أين ، أنها دائماً تكون بالقرب من المراكب الغرقى

رأى «جوما» «توفيق» يتخبط ، وكان هناك ضوء واهن يلمع ، ويأتى شعاع من الضوء من منارة الحاجز ويضئ الطريق لجوما نظر خلفه فرأى أسماك القرش حول المركب وأذرعاً تتحرك

ألقى بتوفيق على الشاطئ ، وما كاد ينهض حتى سمع صوت «مراد»

- وابنى ؟ ابنى «أنطونيو»؟ كان معكم ، أليس كذلك ؟

- لقد كان هناك

- هيا انقذه ! هيا ! سأعطيك كل ما تريد

كان «جوما» قد نهض واقفا بصعوبة ، وكان «مراد» ضاماً يديه

- أنت أيضاً لديك ابن هيا ، محبة بابنك !

تذكر «جوما» «جودو فريديو» ، يوم السفينة «كانا فييراس» كل من لهم أبناء

يتضرعون هكذا، هو أيضاً له ابن ، ومن جديد ، ألقى بنفسه فى الماء

كان يسبح بصعوبة ، كان قد تعب من الرحلة الشاقة التى قطعها حاملاً توفيق

على ظهره ، يسبح فى العاصفة ضد التيار وضد الريح ، الآن يشعر بقواه تخور

فى كل لحظة ولكنه يواصل ، وصل فى الوقت المناسب ليجد «أنطونيو» لايزال

متشبهًا بجسم المركب المقلوب ، الذى يشبه جسم الحوت ، أمسك الفتى من شعره وبدأ الرحلة ، كان البحر هائجاً وكانت أسماك القرش التى التهمت «حداد» قد جاءت للقاءه كان «جوما» يحمل سكينه فى فمه ويمسك «أنطونيو» من شعره كان يرى «ليفيا» أمامه «ليفيا» تقريباً هادئة ، «ليفيا» التى تنتظر أن يتم كل شئ على مايرام ، «ليفيا» التى لها منه ابن ، «ليفيا» أجمل امرأة فى الميناء ، جاءت أسماك القرش من خلفه واقتربت ، خارت قواه ، لم يعد يرى حتى «ليفيا» كان يدرك بالكاد أن عليه أن يسبح لأنه يجر ابنا من شعره ، ابن «مراد» أو ابنه ، لم يعد يعرف . «ليفيا» . «ليفيا» تذهب أمامه كانت الأمواج عاتية والريح تعصف ، ولكنه يسبح ويشق الأمواج ، يحمل ابنا ، أهو ابنه ؟

بالقرب من الرمال الموحلة لميناء «سانتو أنطونيو» لم يعد يتمالك قواه ترك الفتى ، ومع ذلك كانوا على مقربة من الشاطئ لدرجة أن المياه حملت «أنطونيو» إلى ذراعى «مراد» الذى هتف ابنى ! ثم أضاف
- طيب بسرعة !

«جوما» أيضا يريد الإفلات ، ولكن ضربة من ذيل سمكة القرش أرغمته أن يعود والسكين فى يده إنه الصراع من جديد كان قد جرح إحدى أسماك القرش وانتشر الدم فوق المياه الهائجة ، جرته أسماك القرش نحو هيكل «المركب السريع» المقلوب

بعد لحظات هدأت العاصفة ، ظهر القمر وفردت «يمانجا» شعرها فوق المكان الذى اختفى فيه «جوما» ، واصطحبت نحو أراضى «أيوكا» العجيبة حيث يذهب الجسورون ، الأكثر جرأة فى الميناء
وكانت الريح قد حملت «المركب السريع» إلى رمال الميناء

البحر صديق وديع

هاهنا قد اختفى جسد «جوما» أوقف المعلم «مانويل» مركبه وخفض الأشرعة كان الدكتور «رودريجو» و «مانويل» والعجوز «فرانشيسكو» و «مانيكما ماوزينيا» و «ماريا كلارا» و «ليفيا» بلا دموع ، على متن المركب «مسافر بلا مرفأ»
جاءوا فى الصباح وأعادوا «المركب السريع» ، كان به ثقب لكن ليس خطيرا
تم صلاحه فى بضع ساعات قام المعلم «مانويل» بإعادة المركب إلى الميناء
وذهب إلى «ليفيا» فى منزلها بعد الغداء كانت «روزا بالمراو» وزوجة عم «ليفيا»
مع الطفل وكان «مانيكما ماوزينيا» قد جاء معهم
هنا بالضبط اختفى جسد «جوما» الآن أصبحت المياه هادئة زرقاء وكانت
بالأمس هائجة خضراء ، ولكن فى عيني «ليفيا» المياه نائمة ولونها بلون الرصاص كأن
البحر قد مات مع «جوما»

كانوا صامتين أشعل العجوز «فرانشيسكو» شمعة وجعل بضع قطرات من
الشمع تتساقط فوق اللوح الخشبي ، التصقت ووضع اللوح بحذر فوق مياه البحر ،
تركزت كل العيون عليه. لم يعتقد الدكتور «رودريجو» أن شمعة باستطاعتها أن
تدل على مكان الغريق ، ولكنه لم يقل شيئاً

ابتعدت الشمعة ببطء هائمة فوق الماء ، كانت تعلق وتهبط وكأنها زرق صغير
على وشك الغرق كانت العيون مثبتة عليها والأفواه صامته استعاد الدكتور
«رودريجو» رؤية «جوما» حاملا «تيريرا» الجريح فى مركبه ، منقذا السفينة «كانا
فييراس» ، منقذا الناس فى العاصفة ، حاملا البضائع المهربة ليسدد ديونه رأى
العجوز «فرانشيسكو» مركبه يشق المياه ، وتراءى لمانويل وجه «جوما» فى «منارة
النجوم» يتكلم بصوت رصين، مطوحا شعره البنى الطويل للخلف وكانت «ماريا
كلارا» تفكر فيه وهو يقود المركب ، على رنين صوتها ، من أجل كسب السباق
وتذكر «مانيكما ماوزينيا» المشاجرات التى دارت بينهما ، ورغم ذلك كانا صديقين

حميمين أما «ليفيا» فلم تكن ترى «جوما» ، ولا تتذكره كانت لاتزال تأمل فقط فى العثور عليه

راحت الشمعة تجرى فوق المياه بالنسبة لليفيا كانت مياه من رصاص ، مياه بحر ميت مياه بلا أمواج مياه بلا حياة توقفت الشمعة قال العجوز «فرانشيسكو» بصوت خفيض

- إنه هنا

نظر الجميع خلع المعلم «مانويل» قميصه وقفز إلى الماء وفعل «مانيكيا ماوزينيا» مثله غطس الاثنان عادا إلى السطح ثم غطسا من جديد ولكن الشمعة ابتعدت مواصلة البحث وعاد السباحان إلى المركب

فى الغد سوف يقوم العجوز «فرانشيسكو» بوشم اسم «جوما» على ذراع حيث الأسماء الخمسة لمراكبه وحيث اسم أخيه «جوما» والآن سيضيف اسم ابن أخيه الاسم الوحيد الذى لم يشمه على ذراع هو اسم أخيه «ليونسيو» الذى لم يكن له ميناء على الأرض وربما يسجل على ذراع اليسرى اسم ابن «جوما» «فريديريكو» الصغير سيكون هناك إذن اسمان متشابهان اسم الجد واسم الحفيد ولكن «ليفيا» سوف تنتزعه من الميناء وتذهب به إلى المدينة العليا لتعيش عند عمها هكذا لن يسجل اسم ابن «جوما» على ذراع «فرانشيسكو» بجانب الكثير من الأسماء كانت الشمعة تتقدم فى ببطء

«إنها ليست بأئسة تماما» ، هكذا فكر الدكتور «رودريجو» فلا يزال لديها عمها وزوجة عمها سوف تعيش معهما ، تساعدهما فى تجارتها ، إن الأخريات أكثر شقاء فليس أمامهن إلا الدعارة ، إن «ليفيا» تستحق مصيرا آخر كانت تحب زوجها كثيرا ومن أجله رفضت زيجة أفضل والآن لديها ابن ومركب تالف إنها تبحث عن جثة زوجها بشمعة ، كان ضوء الشمس ينعكس على البحر بدت الشمعة وكأنها لاتريد التوقف قط راح المعلم «مانويل» ينظر لقد كان

«جوما» بحارا ماهرا ، الوحيد فى الميناء القادر على هزيمة «مانويل» فى سباق
قال من بين أسنانه لماريا كلارا

- كان ولدا طيبا ، كان شجاعا حقا

وقف الجميع ينصتون كان ولدا طيبا ، مات فى شرح الشباب الوحيد الذى
كان قادرا على هزيمة «مانويل» فى السباق تذكرت «ماريا كلارا»

- هزمك ، ذات مرة

- ولكننى ربحت فى المرة الأولى كنا متعادلين

وقفت «ليفيا» تنظر إلى الميناء كانت عيناها جافتين ، بلا دموع بكت كثيرا
عندما علمت بالخبر لكن دموعها جفت ، لم تعد تفكر فى شئ أو تنتظر شيئا
كان الأمر كأنهم يتكلمون بعيدا عنها ، عن موضوع لايهمها تنظر إلى الشمعة
تتجول فوق المياه تبدو كالمذهولة وهى تكاد تتذكر ما حدث ترغب فى رؤية «جوما»
للمرة الأخيرة ، أن ترى جثته وتنتظر فى عينيه وتقبل شفثيه

ماذا يهم فى هذه اللحظة أن يكون قد انتفخ وتشوه أن تكون سراطانات
البحر قد ملأت جثته وأكلت لحمه ! ماذا يهم إنه زوجها ، إنه رجلها فجأة عاد
إلى وعيها كل ما حدث لن يمارسا الحب بعد ذلك أبدأ على متن «المركب السريع»
لن تراه أبدأ يدخل غيلونه ، ويتكلم بصوته الرصين سوف تدوم فقط حكايته بين
الحكايات الكثيرة التى يعرفها العجوز «فرانشيسكو» لن يبقى منه شئ ولا حتى
ابنه الذى سيذهب إلى مصير آخر ، فى المدينة العليا ، ناسيا الميناء والمراكب
والبحر الذى أحبه أبوه كثيرا لن يبقى شئ من «جوما» لاشئ سوى حكاية
سوف يتركها العجوز «فرانشيسكو» للرجال فى الميناء عندما يذهب مع «يمانجا»
توقفت الشمعة قفز «مانىكا ماوزينيا» إلى الماء ، وسبح وغطس ولكنه لم يجد
شيئا ومع ذلك ، ظلت الشمعة فى نفس المكان ، أخرج «مانىكا» رأسه إلى سطح
الماء

- لا يوجد شئ

غطس المعلم «مانويل» أيضا ومن جديد لم يجدا شيئا صعد «مانيكيا
ماوزينيا» إلى المركب ، كانت الشمعة قد توقفت تماما لاتبرح مكانها سبح
«مانويل وغطس وبحث فى قاع المياه لم يجدوا جثة «جوما» ، كانت قد اختفت
تماما ، قال العجوز «فرانشيسكو» فى يقين
- إنه هنا ، هذا أكيد

غطس «مانيكيا» و«مانويل» ولما لم يجدا شيئا سبحا حول المكان خلع
العجوز «فرانشيسكو» قميصه وقفز إلى الماء كان لديه يقين
لكنه أيضا لم يجد شيئا دفعت الأمواج التى أحدثوها فى الماء
الشمعة فأبتعدت من جديد ، وصعد السباحون ، لم يفقد العجوز «فرانشيسكو»
إصراره
- لقد كان هنا ولكنه رحل

بدى الاخفاق على «ليفيا» ، كانت تعرف أنه لابد من العثور على جثة «جوما»
كان ذلك كل ما تعرفه لابد أن تراه مرة أخيرة وتقول له وداعا عندئذ فقط
سوف تذهب وتدير ظهرها للميناء وللبحر ، إلى الأبد
ابتعدت الشمعة كثيرا ، يتبعها المركب كان الدكتور «رودريجو» متبرما من
خط سير الشمعة إنه هو الذى قال وهو يكاد يضحك
- لقد توقفت

قال «فرانشيسكو»

- إنه هناك

غطسوا من جديد بلا جدوى لم تتوقف الشمعة وواصلت طريقها وهم
يتبعونها كان المركب يتقدم ببطء شديد
لن يمارسا الحب أبدا راقدين على متن «المركب السريع» ولن يسمعا معا
أغنيات البحر لابد من العثور على جثة «جوما» حتى يقوموا معا للمرة الأخيرة ،

برحلة بالمركب لقد مات لينقذ اثنين ، لقد لقي أشجع ميتة فى الميناء ، ميتة الأبناء
المفضلين لدى «يمانجا» لقد ترك ذكرى طيبة ، كان بحارا نادرا لكن «ليفيا» لاتريد
أن تتذكر ثبتت عينيها على الشمعة التى تبحث بلا جدوى والطفل فى البيت ، لابد
أنه يبكي ويطلبهما ، هى وهى «وروزا بالميراو» لابد أن عينيها مغرورقتين بالدمع
كانت تحب «جوما» كابن تركت «ليفيا» رأسها تسقط فوق ذراعها وضع
الدكتور «رودريجو» يده عليها ، وساد الصمت من جديد
أشعل المعلم «مانويل» غليونه ، واحتضنت «ماريا كلارا» «ليفيا» تحاول أن
تعزيها «إنه قدر الجميع»

لكن «ماريا كلارا» ولدت بالقرب من البحر ، وعاشت دائما هناك ، وبالنسبة لها
كان الأمر مثل قانون صارم فى يوم من الأيام ، يذهب الرجل تحت الماء ويموت
مع مركبه الذى يفرق وتقوم المرأة بالبحث عن جثته وتنتظر أن يكبر الابن لكى تراه
يموت هو الآخر ولكن «ليفيا» لم تولد فى الميناء ، لقد جاءت من المدينة ، من مصير
آخر وطريق البحر الواسع لم يكن طريقها لقد سلكته بسبب الحب من أجل ذلك
لن تستطيع الاستسلام لن تقبل هذا القانون كقدر محتوم كما تقبله «ماريا
كلارا» سوف تناضل وتنتصر سوف تنتصر على

لكن الحادثة لم يمض عليها وقت كثير وانفجرت «ليفيا» فى النحيب
نكس العجوز «فرانشيسكو» رأسه مدت «ماريا كلارا» يدها نحو «مانويل»
فبدت وكأنها تريد حمايته وكأن الموت يحوم حوله ، كانت مياه البحر هادئة
ولكنها عند «ليفيا» كانت مياه ميتة

مرة أخرى ، توقفت الشمعة ، حل المساء واختفت الشمس ، غطس «مانويل»
وغطس «مانيكما ماوزينيا» والعجوز «فرانشيسكو» أيضا صععدوا قد التصقت
ملابسهم بأجسادهم حل المساء قال «مانيكما ماوزينيا»
- ربما يعود فى الليل إنهم يعودون دائما فى الليل .
وأكد العجوز «فرانشيسكو»

- سوف يعود ، هذا مؤكد

أعطى الدكتور «رودريجو» حقنة لليفيا عادت وكأنها ميتة هي الأخرى ، وفي

الميناء راحوا يغنون الأغنية القديمة

لقد رحل غريقا

فتحت «ليفيا» عينيها من أسرار الليل الذى هبط يأتى صوت الأغنية الحزينة.

رحل رجلى

بعيدا تحت الأمواج الخضراء،

ظلت «ليفيا» تنصت لقد رحل تحت أمواج البحر الخضراء ووقفت «ماريا كلارا» توازرها كان «المركب السريع» راسيا فى الميناء ، يتأرجح بهدوء ولكن قائده رحل تحت أمواج البحر الخضراء اجتاحت الأغنية الميناء وبدت كقبيلة أن تحنى هامة الرجال الذين يقفزون من المركب لقد هبط الليل

خلق الليل من أجل الحب

أم «جوما» تنتظره لقد جاءت دون موعد قالت لليفيا إنها رأت ابنها منذ سنين طويلة ، أصبحت عجوزا ، شبه عمياء تجر ساقها

- إننى أعيش تقريبا من الصدقات وبعض الأصدقاء يأتون لمساعدتى

لم تقل إنها عاملة نظافة فى ماخور لاحظ العجوز «فرانثيسكو» مدى الشيخوخة التى بلغت منذ حوالى عشرين سنة كانت قد جاءت مرة إلى الميناء تبحث عن ابنها كانت تريد أن تأخذ «جوما» لكنها قوبلت بمعارضة لو كانت قد أخذته لكان أفضل من المؤكد أن «ليفيا» لن تبكى الآن فالطفل لا يصبح يتيماً بسرعة لكن القدر شئ لايمكننا تغييره

خرجت «روزا بالميراو» من غرفة النوم وقالت إن «ليفيا» يجب أن تأكل شيئاً

تساءلت أم «جوما»

- لم يجدوه ، أليس كذلك ؟

- لا

- إذن ، سأعود غدا فى الصباح لا أستطيع أن أذهب فى وقت متأخر
وذهبت ، عمياء تقريبا ، تتلمس طريقها فى الظلام القمر يضىء طريقها ، ضمت
«ليفيا» ابنها إلى صدرها وظلت هكذا لوقت طويل عمها ينظر إليها وزوجة عمها
تبكى فى صمت أحضرت «روزا بالميراو» الطعام بلا جدوى

للمرة الرابعة ، جاء «توفيق» العربى عند «ليفيا» استقبلته «روزا بالميراو»

- لقد وصلت أخيرا يا سيد «توفيق»

دخل العربى إلى غرفة النوم هاهنا قد دعا «جوما» ليقوم بالتهريب ، هاهنا
قد دعاه إلى الموت ، دخلت «ليفيا» نهض «توفيق» لا يعرف ماذا يقول لها
انتظرت

- كان رجلا مستقيما

وصمت كانت عيناها ذاهلتين تبدو وكأنها لم تر شيئا ولم تسمع شيئا
واصل حديثه

- لقد أنقذ حياتى وأنقذ حياة «أنطونيو» أيضا إننى لا أعرف حتى

شعر أن الأمر لا يزال صعبا ، لأن هذه اللغة ليست لغته

- أحتاجين لشيء ؟

- لاشيء

- إننى هنا لأن السيد «مراد» أرسلنى يقول إنك إذا احتجت إليه فستجدينه

صديقا رهن إشارتك .

وضع النقود فوق المنضدة وتناول قبعته لم تكن له الشجاعة
ليوصيها ألا تقول شيئا عن رحلة التهريب لأحد خرج متقهقرا ، شيئا
فشيئا نحو الباب
- طابت ليلتك

خرج مسرعا إلى الشارع واصطدم بأحد المارة ؟ ملأته غصة فى حلقه ورغبة
شديدة فى البكاء

فى البيوت التى يمكنها سماع بعض محطات راديو باهيا ، فى هذه الساعة
من المساء ، سمع الناس المذيع يعلن
«من الميناء ، نطلب إلى السيدات أن يقلن «يا أبانا» (١) حتى يمكن العثور
على جثة بحار غرق فى الليلة الماضية»
كانت إحدى الفتيات تنصت - إنها خطيبة لبحار - شعرت بقشعريرة
نهضت. ودخلت إلى غرفتها تصلى

وصل «رودولفو» وهم على وشك الرحيل لقد علم بالأمر منذ دقائق ، كان
نائما طوال النهار ، التحق بالجماعة التى كانت زاهبة نحو المركب فى هذه المرة
سيخرج مركبان سوف يأخذ «مانىكا ماوزينيا» «المركب السريع» ويذهب معه
«رودولفو» والعجوز «فرانشيسكو» ويتجهون إلى ميناء «سانتو انطونيو»

الشمعة فى نفس المكان ظل المركبان بجوار بعضهما فى ليل مرصع بألف
نجمة ، تجرى الشمعة فوق سطح البحر بحثا عن جثة وكل العيون تتبعها فى
شغف تذهب على غير هدى من مكان لآخر ، ولا تتوقف ، أنزلوا أشرعة

(١) يقصد صلاة «يا أبانا الذى فى السماء»

المركبين القمر يضيئهم وينشر ضوءه الناعم إن ليالى الميناء ، عندما تكون بمثل هذا الجمال ، تكون قد خلقت للحب فى تلك الليالى تتلقى النسوة اللاتى يخفن كثيرا على أزواجهن ، كثيرا من الحب كم من ليلة شبيهة بتلك الليالى - كانت «ليفيا» خافضة رأسها تتذكر - أمضتها بجانب «جوما» سائدة رأسها على ركبتيه وضوء الغليون الذى يدخنه يختلط بضوء الألف نجمة ؟

عندما كان يعود فى ليلة عاصفة ليلة تعانى فيها كثيرا من القلق ، كانا يذهبان كلاهما فى المركب ويمارسان الحب تحت المطر ووميض البرق وقد تملكتهما رغبة يمتزج فيها الخوف والقلق الذى لا يمكن تفسيرهما كأن فى هذا يقين بأنها سوف تفقده ذات يوم فى العاصفة هذا اليقين الذى أحال حبها إلى حنق لقد رحل غريقا إنها على يقين من ذلك من أجل ذلك كانت تحبه فى كل مرة كأنها المرة الأخيرة بدت ليالى العاصفة وكأنها خلقت من أجل الحب ، ليالى حب لكليهما فى الليالى التى كانت تأوهاتا تعبر المحيط كصيحات تحب كانا يمارسان الحب فى العاصفة فى الليالى الغائمة القاتمة بون نجوم وبلا قمر كانا يجتمعان وكان للحب مذاق الفراق والغناء فى تلك الليالى ، كانت الريح تستبد سواء كانت شمالية شرقية أو جنوبية ، تعصف بعنف جاعلة قلوب نساء الميناء تخفق ، فى تلك الليالى ، كانا ينفصلان كما لو كان عليهما ألا يلتقيا أبدا كان الأمر هكذا فى المرة الأولى لم يكونا قد تزوجا بعد ، ومع ذلك مارسا الحب كأنها ستصبح أرملة بعد ذلك على الفور حدث ذلك فوق نهر «الباراجواى» بالقرب من المكان الذى يظهر فيه الحصان المسحور

غطس «مانويل» وقفز «مانىكا ماوزينيا» من «المركب السريع» توقفت الشمعة خلع «رودولفو» سترته وقفز أيضا شقت الأجساد الثلاثة المياه الخضراء فى هذه الساعة من الليل كان «مانويل» هو الذى عاد أولا :

- إنه لم يرجع بعد .

فكرت «ليفيا» بأنه لو عاد في هذه الليلة فإنهما سيمارسان الحب برقة لأن الليل جميل تزينه النجوم ، والقمر ينشر ضوءه الفضى فى الليالى الممائلة ، كان يبقى فوق مركبه يدخن الغليون بينما تتمدد فوق المركب ، ينصتان للحن موسيقى يأتى لا أحد يعرف من أين ، ربما من مركب آخر ، من القلعة القديمة ، من زورق ثم تلتصق به وتريح رأسها على صدره العريض ، تنصت إلى الحكايات التى يرويها عن آخر رحلاته ، وتستمع لمشروعاته ، تعذبها رغبة خجلى ينظران إلى البحر ويفكران بأنه صديق وديع ، وأن الليل خلق من أجل الحب يتحد الجسدان دون عنف ليست هناك صيحات ، بل تأوهات متباعدة كانت أغنية الزنجى «الحرينة» ، الباعثة على الحنين ، تغمرها هكذا كانت الليالى الممائلة ، لكنه لن يعود لأنه يقوم برحلته الأخيرة رحلة البحارة الشجعان بحثا عن أراضى «أيوكا» ، «لقد رحل غريقا» كما تقول الأغنية إن مصير أهل البحر مكتوب بأكمله فى الأغاني

الدكتور «رودريجو» يدخن سيجارة اثر سيجارة كان غليون العجوز «فرانثيسكو» مطفاً يطلب من الدكتور ثقابا

- أسمح لى بالثقاب يا دكتور ؟

وفى قاع «المركب السريع» كان المعلم «مانويل» و«مانىكا ماوزينيا» مبللين يتكلمان مع «رودولفو» الذى ترك الجماعة وقفز إلى «مسافر بلا مرفأ» ، وذهب إلى «ليفيا» مرر يده على وجهها كانت يده مبللة تماما بماء البحر

- كيف حالك الآن ، يا «ليفيا» ؟

نظرت إليه دون أن تفهم ، لم تكن مقتنعة تماما أن كل شئ قد تغير

- سوف تذهبين لتبقى مع العم وزوجته أليس كذلك ؟ المعلم «مانويل» و«مانىكا ماوزينيا» على استعداد لاستئجار مركبك ، وإشراؤه إذا بعته بالتقسيط . وهذا أفضل ما تفعلينه .

أدارت رأسها ، ونظرت إلى «المركب السريع» ، أحد أفضل المراكب فى الميناء وأسرعها لا يوجد مثل هذا المركب إلا القليل قال «جوما» ذلك بزهو ! كان يحب مركبه ، لقد اشتراه من أجل ابنه ، ومات لكى يحتفظ به وهى تبيعه الآن ؟ هى تعطى لرجل آخر كل ما تبقى من «جوما» فى البحر ؟ وكأنها تمنحه جسدها وتترك نفسها لآخر يضاعفها

- دعنى أفكر أولا

تذكرت ما قالته لها «روزا بالميراو» بعد الظهر «لا يمكننا أن نغير مصير أحد» سألت أختها

- ألدى «مانويل» حمولات كثيرة للنقل ؟

- إنه لا يبحر خاليا

- إسأله إن كان يترك لى بعضها

- ومن الذى سيقود المركب ؟

- أنا

- أنت ؟

لم يفهم «رودولفو» ومن يمكنه أن يفهما ؟ العجوز «فرانشيسكو» هو الذى فهم وغضب لأنه عجوز لا يستطيع أن يمسك بدفة مركب ، نظرت «ليفيا» إلى «المركب السريع» وشعرت بمحبة كبيرة أن تبيعه كأنها تبيع جسدها ، فكلاهما يخضان «جوما» ولا يمكنها أن تبيعهما

توقفت الشمعة ، وغطس «رودولفو» ، وغطس العجوز «فرانشيسكو» بعده ،

يريد هو أيضا أن يفعل شيئا كان الدكتور «رودريجو» يراقب «ليفيا» التي لا تكف عن النظر إلى السباحين لاتزال هناك أشياء كثيرة لا يفهمها الدكتور «رودريجو» ولكنه رأى أن قرار «ليفيا» بالآ تسلك طريق الدعارة ، وأن تتركس نفسها للعمل فى البحر يشكل جزءا من المعجزة التي تنتظرها دونا «بولشى» فالمعجزة تتحقق فى هذه اللحظة سمعوا نداء بعيدا لإحدى السفن قال «مانويل»

- إنها تطلب النجدة -

ومع ذلك ، كانت الليلة جميلة هادئة إنهم يسمعون نداءات النجدة لسفينة مفقودة مثل جثة «جوما» التي يبحث عنها الرجال فى البحر على ضوء شمعة. سفينة لا تجد ميناءها ، ضلت طريقها التفتت العيون نحو المكان الذى يأتى منه النداء كان صغيرا مكروبا . وشكوى حزينة فى هذه الليلة المقمرة صعد الذين يبحثون عن الجثة وسارت الشمعة من جديد الدكتور «رودريجو» يعرض على سيجارته مرت من بعيد سفينة قاطرة فى طريقها لنجدة السفينة

أخذ «رودولفو» يتحاور مع المعلم «مانويل» الذى بدت عليه الدهشة

تمددت «ماريا كلارا» فى أحد الأركان بالنسبة لها كان كل شئ مؤلما كانت تتذكر الليلة التي مات فيها «جاك» عندئذ بكت وقلبت «ليفيا» لقد كانتا كأختين متى تأتى ساعة زوجها ؟ متى يبحثون عن جثته فى مياه بحر ميت ؟

اختفى ضوء السفينة القاطرة

عاد «رودولفو» نحو «ليفيا»

- إنه يسأل إن كنت تقبلين القيام برحلة إلى «إيتاباريكا» غدا . لديه حمولة

كبيرة لنقلها إلى هناك

- أوافق -

كان المركبان يتأرجحان فوق مياه بلا أمواج تقريبا

وفى منتصف الليل ، ابتعدت الشمعة وتبعها المركبان وألقى المعلم «مانويل» والعجوز «فرانشيسكو» و«رودولفو» بأنفسهم فى الماء مرة أخرى وكان «مانيكما ماوزينيا» متأهبا للقفز فى حالة عثورهم على الجثة فكر بأن «جوما» لابد أن يكون مملوءا بسرطين البحر منتفخا ومشوها مرر يده على وجهه ليترد الفكرة

الأمواج هنا أكثر ارتفاعا سمعوا نداء السفينة للمرة الأخيرة ولكنها الآن تنادى بطريقة مختلفة ، من المؤكد أنها وجدت سفينة الإنقاذ صعد الرجال نون أن يجدوا شيئا كانت الشمعة تدور حول المركب أراحت «ليفيا» رأسها بين كفيها كانت رغبة «جوما» ، رغبة جسده ، وصوته ونكهته البحرية تغمرها إنها أسيرة هذه الرغبة كلية ، وعندئذ أيقنت أنها لن تنالها أبدا ، وأن اللبالي لن تكون من أجل الحب أبدا انتحبت ، وبكت أيضا «ماريا كلارا» التى ظلت تجتهد فى مواساتها موقنة أنها ستعانى يوما بنفس الطريقة

راحت الشمعة تدور قلبتها موجة سريعة ففرقت قال العجوز «فرانشيسكو»

- لا داعى للتعب إنه لن يعود قط عندما تغرق الشمعة

رفعوا أشرعة المركبين أحنث «ليفيا» رأسها ، فالريح تطير شعرها اختلطت دموعها بالبحر الذى هو بحرها للأبد ، ففيه يرقد «جوما» ولكى تشعر من جديد أنها مع «جوما» ، عليها أن تاتى فوق هذه المياه ، سوف تجده هناك دائما فى

ليالى الحب ومن خلال دموعها رأَت مياه البحر يعلوها الزيت وشبك الدكتور «رودريجو» يديه ، كان يريد أن ينتهى كل ذلك حتى يكف الجميع عن المعاناة ولكنه فكر بأن «ليفيا» سوف تعانى إلى الأبد فراح يعض على سيجارته

فى البحر سوف تجد «جوما» فى ليالى الحب وفى المركب ، سوف تتذكر ليالى أخرى ، ستكون دموعها بلا نهاية «ليفيا» ساكنة ، تعقد ذراعيها على صدرها البرد يخترق جسدها ، ولكن الأعمية تأتى كحرارة ، كدفء وبهجة

كان رجلها قد مات فى البحر «ليفيا» الجامدة ، «ليفيا» الناضجة ، ينساب شعرها المبلل على كتفها لم تر جثة «جوما» التى تعب الرجال من البحث عنها بشمعة فوق البحر الساكن الذى يعلوه الزيت ، الجامد مثل جسد «ليفيا» يحوم الآخرون حول بابها إنهم يحومون حول جسدها الذى فقد سيده جسدها الفاتن إن «ليفيا» التى يشتهيها الجميع تعقد ذراعيها على صدرها لا مشقة تهز رقبتها السمراء كانت أغنية الزنجى الدافئة تصل حتى هناك «جميل أن نموت فى البحر»

لا زفرة لاشيء سوى البرد الذى يغمرها ورؤية البحر الميت تحت هذا البحر المغطى بالزيت ، تجرى جثة «جوما» مثل سفينة بلا دفة لابد أن الأسماك تحوم حولها لاشك أن «يمانجا» ذاهبة معه ، تغطيه بشعرها إن «جوما» فى طريقه نحو أراض أخرى مثل بحار فى سفينة كبيرة إنه يتجول بصحبة «يمانجا» فى الأنحاء الأكثر غرابة فى البحر سوف يتابع طريقه كبحار يبحث عن مينائه .

«ليفيا» تنظر إلى البحر الميت ذى المياه الرصاصية ، بحر بلا أمواج ، ثقيل ، بحر من الزيت ، أين السفن والبجارة والغرقى ؟ بحر من التنهيدات ، ميت ، أين هن النسوة اللاتي لم يبكين أزواجهن المفقودين ؟ أين هم الأطفال الذين يموتون فى ليلة العاصفة ؟ أين هو شرار المركب الذى ابتلعه البحر ؟ وجسد «جوما» الذى يطفو بشعره الأسود الطويل فوق المياه الزرقاء ؟ فوق مياه بحر ميت ، ثقيلة بلون الرصاص بحر من الزيت ، وضوء الشمعة يجرى كطيف بحثا عن غريق إنه البحر الذى مات ، إنه البحر الذى مات ، الذى أصبح زيتا ، وظل ساكنا بلا أمواج بحر ميت ذو مياه ثقيلة حيث لم تعد تنعكس أضواء النجوم

لو يأتى القمر لو يأتى القمر بضوئه الفضى ، فقد تبحر فوق البحر الميت وتبحث بالشمعة عن جثة «جوما» ذى الشعر الطويل الأسود ، الذى رحل فى طريق البحر ، فى درب البلاد المجهولة ، بالقرب من «أيوكا»

كانت «ليفيا» تنظر من نافذتها إلى البحر الميت بلا قمر يزغ الفجر والرجال الذين يحومون حول بابها ، حول جسدها الذى بلا صاحب ، عادوا إلى منازلهم ، الآن ، كل شئ غامض توقفت الأغنية وشيئا فشيئا بدأت الأشياء تتحرك والديكورات تنتقل والرجال يتحركون طلع الفجر على البحر الميت

وحدها «ليفيا» لها جسد بارد ، وقلب أيضا كان باردا بالنسبة لـ «ليفيا» الليل متواصل ، ليل بلا نجوم لبحر ميت

النجمة

كانت دونا «دولشى» تنظر من المدرسة الليل لايزال يصارع الصباح رحلت المراكب ابن «ليفيا» عند عمها ومن جديد ، حملت «روزا بالميراو» المدية تحت تنورتها والخنجر تحت قميصها كانت تبدو كرجل فوق «المركب السريع» ولكن «ليفيا» امرأة كاملة الأنوثة ، امرأة رقيقة

شق المركب «مسافر بلا مرفأ» المياه أولا ، راحت «ماريا كلارا» تغنى أغنية من أغنيات الميناء التى تتكلم عن الحب والندم وتقدم المعلم «مانويل» فاتحا الطريق وهو ينظر خلفه ليرى كيف تتصرف «ليفيا» وامسكت «روزا بالميراو» بالدفة دفعت «ليفيا» بيديها - يدى الأنتى - الأشرعة ، وهى واقفة يتطاير شعرها فى الهواء لحقت بالمركب «مسافر بلا مرفأ» ، تركها المعلم «مانويل» تمر أمامه ، كان يحرس «المركب السريع»

أخذت طيور البحر تطلق حول المركب وتمر بالقرب من رأس «ليفيا» وهى واقفة منتصبه تفكر بأن تصطحب ابنها فى رحلة قادمة فمصيره هو البحر توقف صوت «ماريا كلارا» فجأة لأنه عند طلوع النهار راح زنجى يعنى مهمينا بصوته على البحر العجيب
«مرحبا ، نجمة الصباح»

نجمة الصباح على الرصيف ، كان العجوز «فرانشيسكو» يهز رأسه ذات مرة ، فعل ماكان يفعله أى قائد مركب أبدا ، لقد رأى «يمانجا» ملكة البحر أليست هى التى تبحر الآن واقفة على متن «المركب السريع» ؟ أليست هى ؟ نعم إنها هى إنها «يمانجا» التى هناك وصاح العجوز «فرانشيسكو» على من بالميناء

- انظروا ! انظروا ! إنها «يمانجا»

نظروا ورأوا نظرت دونا «دولشى» أيضا من نافذة المدرسة ، رأت امرأة فوية تتأضل النضال كان معجزتها التى بدأت تتحقق كان البحارة فى الميناء ينظرون إلى «يمانجا» ذات الاسماء الخمسة وكان العجوز «فرانشيسكو» يصيح بأنها المرة الثانية التى يراها فيها

ذلك ما كانوا يحكونه على طول أرصفة الميناء

ريودو جانيرو ، يونيه ١٩٣٦

رقم الايداع ٥٢٤٠ / ١٩٩٦

I.S.B.N

977-07-0486-5

هذه الرواية



جورجي أمادو

● روائي برازيلي مولود في «باهيا» عام ١٩١٢، وهي المنطقة التي صارت مسرحاً لأغرب رواياته.

● حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٣٥، ونشر روايته الأولى «بلد الكرنفال» عام ١٩٣٢، ثم جاءت روايته «بحرमित» ١٩٣٦، ومن أعماله الأخرى «فرسان الرمال» ١٩٣٧، «دروب الجوع» ١٩٤٦، «جابريللا»، «قرنفل وقرفة» ١٩٥٨، «دونا فلور وزوجاها» ١٩٦٦، و«تيريزا باتيستتا التي ارهقتها الحرب» ١٩٧٢، و«اكتشاف الأتراك لأمريكا» ١٩٩٠.

● له العديد من المجموعات القصصية، وكتب الأطفال، وهو يتمتع بنفس شعبية لاعب الكرة «بيليه» جرب لذة وعذاب المنفى خارج بلاده لأسباب سياسية، ومنعت كتبه من النشر لعدة سنوات.

تشكل هذه الرواية منعطفا حقيقيا في عالم جورجي أمادو فنحن أمام ملحمة انسانية حقيقية عن علاقة الانسان بالبحر، حيث ترتبط مصائر كل من يقيم على ساحل باهيا ، أو فوق مياهها ، بالبحر.. هناك تدور قصص حب ملتعبة، وحكايات غانيات، وتمتزج بها مشاعر البهجة واليأس.

في هذه الرواية يقدم لنا أمادو قصيدة حقيقية، وان كانت قصيدة نثرية تحتل فيها الموسيقى والغناء مكانا بارزا وتلعب فيها أساطير أمريكا اللاتينية دورا بارزا ثريا بلغتها، وتراثها العتيق.

والحب هو أحد أبرز عناصر هذه الرواية، لكنه حب غريب الشكل، يتدرج من المشاعر الرقيقة الى العواطف الجامحة، ويصير الحب والموت قطبين في عالم مليء بالإثارة والغموض.

«بحرमित» أول رواية تترجم في مصر لواحد من عمالقة القصص الحديث: جورجي أمادو.

عائلة روايات الهلال

● اذا كنت من هواة قراءة الابداع الراقى عربيا وعالميا ، فشارك معنا عائلتنا الابداعية: «عائلة روايات الهلال».

● احرص على اقتناء نسختك الشهرية ، أو احرص على الاشتراك فيها تصلك بالبريد المضمون الى عنوانك

● ٤٧ عاما من الابداع المثالى

● تم اختيار أعمالنا لتكون أفضل الاصدارات للسنوات الأخيرة بصفة متتالية.

● يتم اختيار رواياتنا لتصير مسلسلات تليفزيونية وأفلاماً سينمائية ، وتحصل على جوائز أدبية وتتم ترجمتها إلى لغات العالم.

● مرة أخرى إذا كنت من قراء الابداع الجيد فانضم الى «عائلة روايات الهلال»



أدبيات

نوع الآداب والثقافة المعاصرة

من: أدب، قصة، ودراسة، وسيرة، وبحث، وفكر، ونقد، وشعر، وبلاغة، وعلوم،
وتراث، ولغات، وقضايا، وتاريخ، واجتماع، وعلم نفس، ورحلات، وسياسة... الخ.

صدر من هذه السلسلة :

- الإنسان الباهت .
- الحياة مرة أخرى .
- التنويم المغناطيسى .
- نوم العازب .
- من شرفات التاريخ ج ١ .
- أم كلثوم .
- المرأة العاملة .
- قادة الفكر الفلسفى .
- الملامح الخفية (جبران ومي) .
- عبد الحلیم حافظ .
- انقراض رجل .
- الشخصية المتطورة .
- محمد عبد الوهاب .
- الشخصية السوية .
- الشخصية القيادية .
- الإنسان المتعدد .
- الشخصية المبدعة .
- فكر وهن وذكريات .
- ساعة الحظ .
- سيكولوجية الهدوء النفسى .
- الإعلام والخدرات .
- من شرفات التاريخ ج ٢ .
- الشخصية المنتجة .
- الأسرة مشكلات وحلول .
- ظلال الحقيقة .
- شعرة معاوية ، وملك بنى أمية .
- مذكرات خادم .

- طيبة أحمد الإبراهيم
- نوال مصطفى
- يوسف ميخائيل أسعد
- محمد حسن الأنفى
- د . محمد رجب البيومى
- مجدى سلامة
- سوزان عبد الحميد أفا
- يوسف ميخائيل أسعد
- لوسى يعقوب
- مجدى سلامة
- طيبة أحمد الإبراهيم
- يوسف ميخائيل أسعد
- مجدى سلامة
- يوسف ميخائيل أسعد
- يوسف ميخائيل أسعد
- طيبة أحمد الإبراهيم
- يوسف ميخائيل أسعد
- لوسى يعقوب
- محمد حسن الأنفى
- يوسف ميخائيل أسعد
- د . نوال محمد عمر
- د . محمد رجب البيومى
- يوسف ميخائيل أسعد
- مجدى سلامة
- طيبة أحمد الإبراهيم
- عرفات القصبى قرون
- طيبة أحمد الإبراهيم

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - القطائع ٨ ، ١٠ ، ١٢ شارع ١٧ المنطقة الصناعية
بالمعاديبة - الكليات ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدى بالقنطرة - ٤ شارع الإسماعيل بمنشية الكبرى - رمسيس - مصر
المستديرة - القاهرة ٥ - ٢٨٩٥٥٤٤ - ٠١٠٨٤٥٥٥ - ٢٨٩١١٤٧ ج . م . / ع - فاكس ٢٥٩٦٦٥٥